

القافلة

مجلة ثقافية منوعة تصدر كل شهرين . العدد 2 . مجلد 68 . مارس / أبريل 2019

القافلة

مجلة ثقافية منوعة تصدر كل شهرين

العدد 2 • مجلد 68

مارس / أبريل 2019

توزع مجاناً للمشتركين

• العنوان: أرامكو السعودية

ص.ب 1389 الظهران 31311

المملكة العربية السعودية

• البريد الإلكتروني:

Alqafilah@aramco.com.sa

• الموقع الإلكتروني:

Qafilah.com

• الهاتف:

فريق التحرير: 0175 876 13 966+

صورة الغلاف



هذا الغلاف | لقطة للمصوِّر طالب المرّي أثناء رحلته إلى جزيرة سفالبارد في القطب المتجمِّد الشمالي.

صورة الغلاف: طالب المرّي

أرامكو السعودية
saudi aramco

الناشر

شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية)

الظهران

رئيس الشركة، كبير إدارييها التنفيذيين

أمين بن حسن الناصر

نائب الرئيس لشؤون أرامكو السعودية

نبيل بن عبدالله الجامع

مدير عام دائرة الشؤون العامة

فهد بن خليفة الضبيب

رئيس التحرير

بندر بن محمد الحربي

تصميم وتحرير

المحترف
al mohtaraf

Mohtaraf.com

طباعة

شركة مطابع التريكي

Altraiki.com

ردمد ISSN 1319-0547

• جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.

• ما ينشر في القافلة لا يعبِّر بالضرورة عن رأيها.

• لا تقبل القافلة إلا أصول الموضوعات التي لم يسبق نشرها بأية وسيلة من وسائل النشر.

شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية)، شركة مؤسسة بموجب المرسوم الملكي رقم م/8 وتاريخ 1409/04/04هـ، وهي شركة مساهمة بسجل تجاري رقم 2052101150، وعنوانها الرئيس ص.ب. 5000، الظهران، الرمز البريدي 31311، المملكة العربية السعودية، ورأس مالها 60,000,000,000 ريال سعودي مدفوع بالكامل.

محتوى العدد

الرحلة معاً

المحطة الأولى

علوم وطاقة

حياتنا اليوم

أدب وفنون

التقرير

الملف

دليل المعلِّمين لمحتوى القافلة

هذه الصفحة هي للتفاعل مع المعلِّمين والمعلِّمات ومساعدتهم على تلخيص أبرز موضوعات القافلة في إصدارها الجديد، وتقريبها إلى مفهوم وأذهان الفئات العمرية المختلفة للطلاب والطالبات.



قرار وزارة التعليم بتدريس الفلسفة والفكر الناقد في المرحلة الثانوية هو التطوُّر الذي يشغل الطلاب والمدرّسين بشكل خاص، وقد خصَّته القافلة بجلسة النقاش الشهرية لهذا العدد، وفيها آراء بعض ذوي الاختصاص في هذا الشأن.



الإنتروبيا، فرع جديد من فروع الفيزياء يهدف إلى قياس الفوضى في نظام معيَّن، والدراية به بعيدة عن معارف الكثيرين. وفي القسم العلمي من هذا العدد، مقال موسَّع يشرح ما هية الإنتروبيا وتاريخ نشأتها الحديثة، من المفيد أن يطَّلع عليه طلاب العلوم بشكل خاص.



براءات الاختراع، الكل سمع بها ويعرف أنها لحماية حقوق المخترعين والمبتكرين. أما أنواعها ومفاعيلها القانونية والإشكالات الكثيرة التي تثيرها، فهي مفصَّلة في بحث خاص في هذا العدد.



الصباح، هو موضوع الملف في هذا العدد، وإضافة إلى ما يحتويه من معلومات حول تجليات الصباح في الآداب والفنون والحياة الاجتماعية، يشكِّل هذا الموضوع مادة دسمة للحوار بين المدرِّسين وطلابهم.

"الرحلة معاً"

مِن رئيس التحرير

الفلسفة مهارة متأنية

تحية وبعد

معلومة طريفة تقول إن أول ساعة منبِّه عملية في العالم اخترعت عام 1876م، ومنذ ذلك الحين أحكمت قبضتها على أوقات الناس وانتباههم. قادت الساعة إلى السرعة، والسرعة إلى الإجهاد وتشتُّت الانتباه، وأثار اختفاء تنبيهاتها لوقت طويل التململ، وظهـرت في تلك الفترة لأول مرة كلمة الملل!

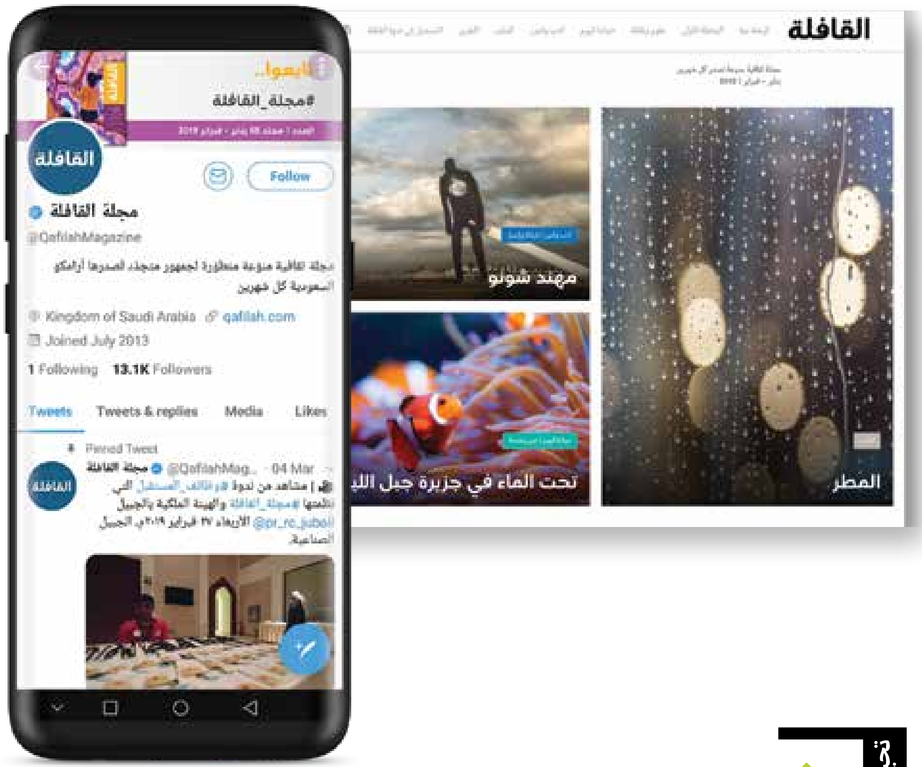
كتب الروائي ميلان كونديرا عن أثر السرعة: "عندما تجري الأمور بسرعة كبيرة، لا يمكن لأحد أن يكون متأكداً من أي شيء على الإطلاق، ولا حتى من نفسه". واليوم، فقد خبت الآراء التي تربط بين ألعاب الشباب مثل "بلايستيشن" وزيادة سلوك العنف لديهم، ولكن ظهرت مؤشرات عن تأثيرها في بحثهم المستمر عن "متعة السرعة" في كل شيء. هذا مثالٌ واحد. ولكن يبدو في الواقع أن "كل شيء" حولنا يقول: استعجل!

إن التوجه اليوم إلى تدريس الجيل الجديد بعضاً من المهارات العقلية العالية كالتفكير الفلسفي واللغات الأجنبية كالصينية، يضيف قيمة معرفية وتنموية كبيرة إلى مخرجات تعليمهما، ويُمثل أيضاً وسيلة لشحذ قدرات أساس لمتعلميها مثل فن التفكير المتعمق، والتأمل المُنتبه، والتأني السليم. وكما قال الحكيم الصيني كونفوشيوس: "لا يمكن للمرء أن يحصل على المعرفة إلاَّ بعد أن يتعلَّم كيف يفكِّر"، فقد قيل أيضاً: "فلسفة التأني تمنحنا الوقت الكافي لإنجاز الأمور بدقة". وهذا الوصف ينطبق أيضاً على تعلّم المهارات المتأنية الأخرى مثل الرسم والموسيقى.

في نهاية جلسة النقاش التي نظمتها مجلة القافلة عن "تعليم الفلسفة، الفلسفة في الحياة"، علَّق الشاب فارس، الطالب في المرحلة الجامعية، قائلاً إنه كان يحاول أن ينشر بين أصدقائه منذ أن كان في المرحلة الثانوية أهمية الأفكار الفلسفية وما تقدِّمه من إجابات علميـة على الظواهـر التي تبدو كأنها في حالة فوضى، إلاَّ أنه يفاجأ برد بعض أقرانه: "إن تعلُّم الفلسفة طريق طويل ومعقَّد".

لقد حظيت هذه الجلسة التي ننشر تغطيتها في هذا العدد، على تفاعل الحضور، الذي شمل مستويات ثقافية متنوعة في المجتمع، من أكاديميين وطلاب ومهتمين، وكذلك كان الأمر مع مستوى الطـرح والنقـاش، ممّا يدلِّل على مكانة الفلسفة وفائدتها. هذه المادة "المعقَّدة ذات الطريق الطويل" مهمَّة، خاصة في هذا الوقت الذي تماهت فيه حواسنا مع منتجات الإعلام والترفيه المرئي والمسموع طوال اليوم، واضطرت للتعامل معها بسرعة، وبانتباه مشتّت.

إنه وقتٌ مناسب لطرح مثل هذه المهارات للنقاش، وتعليمها لأصدقاء فارس؛ فهم في عين التحوُّلات المستقبلية المتسارعة التي تحمل كثيراً من التحديات والفُرص. وتعلُّم هذه المهارات -صديقة التأني- ستساعدهم على الاستعداد للمستقبل وما تتطلَّبه الأعمال في الغد من مهارات توصف أيضاً بالناعمة؛ مثل الابتكار والانتباه للتفاصيل والإقناع والقدرة التحليلية العالية، التي تدعم الصناعات الإبداعية وتكون مكمِّلة للمجال التقني الذي يميِّز الثورة الصناعية الرابعة، وهذه هي المهارات المطلوبة في هذا الوقت والمتوقعة للمستقبل.







تحية وبعد

بداية، يسر القافلة أن تعبِّر عن اعتزازها بالقرّاء الذين يدقِّقون في كل كلمة ترد على صفحاتها، فيعقِّبون، ويوضِّحون ويصحِّحون أينما كان هناك خطأ مهما كان صغيراً. ومن هؤلاء الأخ **عدنان قاضي** الذي كتب إلينا يصحح خطأً ورد في أحد الأخبار العلمية المنشورة في العدد السابق بعنـوان "إنجاز صيني في مجال الانصهار النووي"، حيث وردت كلمة "كوكب" الشمس، وهذا خطأ. لأن الشمس نجم وليست كوكباً.
والقافلة تشكر الأخ عدنان على ملاحظته.

واللافت في تفاعل القرّاء مع القافلة، ظهور مواكبة ملحوظة على مواقع التواصل الاجتماعي مع بعض موضوعات المجلة قبل نشرها. فحضور جلسة النقاش حول تعليم الفلسفة (المنشورة في هذا العدد)، لم ينتظروا صدور المجلة ليدلوا بدلوهم بشأنها على تويتر.
فالمتابع **"أندلسي"** غرّد يقول: "جلسة رائعة بلا خلاف. وتنظيم رائع تُشكرون عليه. سعدت بالتدخل في اللقاء وتجاذب الأفكار معكم".
وأضاف: "التلازم الذي ذكره الأستاذ شايع الوقيان بين الفيلسوف واحترام الآخرين لم يكن موفَّقاً. ففلسفة القوة مثلاً لا تحترم الآخرين، ناهيك ببعض الفلاسفة وسلوكهم".

وأثنت المتابعة **مشاعل** على الجلسة، ووصفتها بأنها ممتعة. غير أنها عبّرت عن استيائها من إغلاق باب الأسئلة والاكتفاء بالمداخلات. ويهم القافلة أن توضِّح أن باب الأسئلة لم يُغلق، بل كان النقاش متاحاً لمدة ساعة ونصف الساعة تقريباً، وتعذّرت إطالته أكثر من ذلك.

أما الأخت **شروق المرزوق** فعبّرت عن أمنيتها حضور جلسات النقاش المقبلة، والقافلة ترحِّب بها. فالدعوات إلى جلسات النقاش هي عامة ومفتوحة، ويعلن عنها على تويتر.

وعلى تويتر أيضاً، شاركنا **المهندس خليل فران** مجموعة صور لمدينة الخُبر ومعالمها وأبنائها، سبق أن ظهرت في أعداد القافلة خلال الثمانينيات والتسعينيات الهجرية.

كما شاركته الفكرة نفسها المتابعة **ولاء**، وقالت إنها عثرت على نسخة قديمة تعود إلى عام 1405هـ في مكتبة والدها الذي لا يزال يحتفظ بنسخ من المجلة حتى الآن.

ومن مصر كتب **أيمن عبدالسميع**: "مع تنامي الزيف والفجاجة في عالمنا المعاصر، نرى هذه المجلة الرائعة الماتعة، تضرب بجذورها في أرض الوعي، والفكر والإنسانية. إنها القافلة التي تخطو دائماً نحو التميُّز والتفرُّد، فتجمع ما بين الخيرين، الحداثة والأصالة معاً..
إن العارف ببواطن الأمور، يراها تربة ثرية مراوغة تنبض بالحضور، تجهض العتمة فينا، وتحيل الليل صباحاً مشرقاً بهيجاً، تأتينا من الغلاف للغلاف، كمعين لا ينضب، تركن في محطات عدّة: علوم وطاقة، أدب وفنون ولغويات، وملف العدد؛ فتفجّر في داخلنا كوامن الثقافة العربية والعالمية، وتحملنا على بساط الريح السحري، نجوب العالم بما له وما عليه. إنه إخلاص البذل من القائمين عليها، فلهم جزيل الشكر والتقدير.
والقافلة تشكر الأخ أيمن على عاطفته، وتؤكِّد حرصها على أن تبقى عند حُسن ظن جميع القرّاء المخلصين.

قراءة حول الموت في الأدب الشعبي للأطفال

(الحدوتة أنموذجاً)

قرأت في مجلتنا الموقَّرة (القافلة العدد "2" مجلد "67" مارس/أبريل 2018م) مقالاً بعنوان "الموت في أدب الأطفال" للدكتورة فاطمة اللواتي، تناولت فيه ثلاثة نماذج من القصص المؤلفة هي: "الخفي" لأمل فرح، و"أنا وماه" لابتهاج الحارثي، و"أشتاق.. أشتاق" لناهد الشوا. وأشارت الكاتبة في أكثر من موضع إلى وجود نقص كبير في قصص الأطفال التي تعالج مسألة الموت قياساً إلى أدب الأطفال في الغرب.

أعجبني المقال، وأتفق مع ما ذهبت إليه الكاتبة من حيث النقص الكبير في أدب الأطفال المكتوب الذي يتناول ظاهرة الموت. واستكمالاً لما أوردته الكاتبة، أود أن أضيف قراءة حول "فكرة الموت في الأدب الشعبي للأطفال / الحدوتة أنموذجاً".

فقد تناولتْ فكرة الموت في حكايات الجدَّات الشعبية للأطفال، لما تحظى به الحكاية الشعبية من انتشار واسع في العالم العربي والغربي على حد سواء، ولما يميزها من عالمية وشعبية ومجهولية المؤلِّف، وارتباطها بالوجدان، واتفاق الذات الجمعي حول ذيوعها وانتشارها وتأثيرها التربوي في مرحلة الطفولة، ولا سيما في ما يتعلـق بفكرتها الرئيسـة وهو ما نركِّز عليه هنا استكمالاً لما ورد في مقال الدكتورة اللواتي.





فنحن نلاحظ مثلاً في حكايتين شعبيتين هما: حكاية "ست الحُسن والجمال"، وحكاية (حدوتة) "الشاطر حسن" وأخته "تمنطر"، أن الموت /الفقد /الرحيل قد ورد واضحاً بقوة وبشكل مباشر في بداية السرد واستهلال الحكاية. فهو يقودك مباشرة إلى معمعة الأحداث بعد تأكيد الرحيل والفقد: في الأولى موت ورحيل الأم، وفي الثانية موت ورحيل الأبوين معاً، ولتبنى بقية الأحداث على هذه الفكرة (الموت) وكيف يتصرَّف الآخرون حياله، لا سيما إذا كان الموت هنا هو موت العزيز الغالي وأقرب المقرَّبين للأطفال، وهما الأم أو الأب أو كلاهما معاً.

ويعود الموت ليظهر مرة أخرى داخل الحدوتة، أو في منتصفها تقريباً ليجدّد فكرة الموت والفقد مرة أخرى، ولو كان لحيوان مثل بقرة ست الحُسن. لكنه حيوان يلعب دوراً كبيراً داخل السرد. فهذه البقرة ليست مجرد حيوان وإنما هي أداة مساعدة تَنضجُ الأحداث بها، حتى بعد موتها حين تترك وصية نافعة، فورود ذلك في قالب خيالي فانتازي هو من سمات الحكاية الشعبية نفسها.

أما الموت في منتصف حدوتة الشاطر حسن فيأتي انعكاساً لصورة الشر، حيث تريد زوجة الشاطر حسن التخلص من شقيقته، وتتأكد من أنها قُتلت. ولكن الشقيق يترك شقيقته ويرحل، ويذبح غزالة. وتستمر الأحداث والتصعيد الدرامي داخل الحدوتة الطويلة، لنرى كيف تنقذها الأقدار، وتتعقَّد الأحداث لتنفرج عن انتصار الخير في النهاية على الشر. فبعد فرقة الأخوين بالحيلة والخداع، يسهّل القدر أمور الاجتماع وتبرئة ساحة تمنطر من التهمة التي ألصقتها بها زوجة أخيها، وتتزوج تمنطر من حاكم المدينة البعيدة الذي يبحث من أجلها عن الشاطر حسن حتى يجده، وتتكشف الأسرار ويترك الشاطر حسن زوجته، ويعيش الجميع معاً في محبة وسلام ووئام. هكذا يكون الختام مثل حدوتة ست الحُسن والجمال بانتصار الخير دوماً على الشر.

وهنا نلحظ بعض الاستلهام الشعبي من قصة يوسف -عليه السلام- وأخوته الشهيرة، منذ عقد النية على التخلص منه بقتله وانتهاءً بإلقائه في الجُب. ففي الحدوتة يترك حسن أخته في الصحراء لتلقى مصيرها على يد الذئاب والضباع، لكن عناية الله تنقذها على يد أحد المارة مثل يوسف أيضاً. وهنا نجد أن الموت في الحالة الثانية لم يكن حتمياً، حيث لا يشاء الله، فيحوّله عز وجل من موت محتمل إلى حياة سعيدة، فها هو الرجل الذي ينقذ تمنطر يكون هو نفسه حاكم المدينة وأميرها فيتزوجها، كما اعتلى يوسف خزائن مصر.

د. أميمة جادو



تحية وبعد

باعترافــه شخصياً الرحلة الحجازية هي الأهم في حياة طه حسين

في عدد يناير/ فبراير 2019م، طالعت إهداء عميد الأدب العربي طه حسين إلى أهالي المنطقة الشرقية الذي خص به القافلة ونشرته في عددها السادس (أبريل 1955م).

والحقيقة أن طه حسين قام برحـلات عديدة وزيارات خارجية كثيرة. وكانت رحلته الأهم والأشهر وذات التأثير العميق في تطوره الفكري إلى الحجاز عام 1955م.

ففي جمادى الأولى 1374هـ يناير1955م قام طه حسين برحلته الحجازية، حيث كان يهفو إلى زيارة الأراضي المقدسة. وقد جاءته الفرصة حينما صار رئيساً للجنة الثقافية في جامعة الدول العربية، بل إنه لم يكن ليقبل اختياره لهذا المنصب لولا أنه علم أن دورة هذه اللجنة ستعقد في المملكة العربية السعودية. وقد عبَّر عن ذلك في حفل افتتاح دورة اللجنة الثقافية التاسعة التي عقدت في جدة. وحينما تهيأ طه حسين للقيام بالعمرة، عُهد إلى الشيخ عبدالله المنيعي مدير إدارة الثقافة بوزارة المعارف السعودية ليرافقه في رحلته الروحية لأداء العمرة. كانت الرحلة الحجازية لطه حسين على النحو التالي:

- وصل طه حسين إلى جدة وألقى بها خطابه التاريخي في الدورة التاسعة للمؤتمر الثقافي لجامعة الدول العربية.
- وفي جدة احتفل الأساتذة المصريون العاملون في المملكة بطه حسين، وتباروا في الترحيب به -شعراً ونثراً- وكان الشيخ محمد متولي الشعراوي أحد الذين حيّوا طه حسين بقصيدة عصماء.
- أحرم طه حسين في جدة وركب السيارة قاصداً مكة لأداء العمرة. ودخل الحرم من باب السلام. وتوجَّه إلى الكعبة، فتسلَّم الحجر وقبَّله، واستمر يطوف في خشوع ضارع وبكاء خفي حتى أتم عمرته، وقد أخذ منه الإرهاق النفسي أكثر من البدني كل مأخذ.
- وبعد أداء العمرة طلب طه حسين ترتيب السفر إلى المدينة. ولكن الطريق البري كان مغلقاً بسبب السيول التي حدثت في ذلك العام، وطه حسين لا يركب الطائرات أبداً! لكنه صمم على السفر إلى المدينة وإن بالطائرة. ووصل إلى المدينة على متن طائرة خاصة مع الوفد المرافق له يوم الأربعاء 2 جمادى الآخرة 1374هـ 26 يناير 1955م.

بعد العودة من الرحلة الحجازية، أجرى الشاعر والكاتب كامل الشناوي مع طه حسين حديثاً نشرته مجلة آخر ساعة في 16 فبراير سنة 1955م. وسأله كامل الشناوي: علمت أنكم سافرتم إلى المدينة المنورة في طائرة صغيرة خطرة، مع أنكم لا تركبون الطائرات أبداً، وسبق أن رفضتم دعوات مهمة جداً لأمريكا وروسيا والهند لأن تلبيتها كانت تستلزم ركوب الطائرة، ولم تلبُّوا حتى دعوات ابنتكم وصهركم لزيارتهما وهما في أي منصب في السلك الدبلوماسي في أي بلد لهذا السبب؟

فقال الدكتور طه حسين: لم يكن من الممكن أن أتخلَّف عن هذه الزيارة، ولم تكن هناك طريقة أخرى غير الطائرة، كنت أحس أنه لا بد لي من زيارتها، لولا خوف الغرور لقلت إنها كانت دعوة من خارج نفسي. دعوة آمرة.

ويستفهم كامل الشناوي: دعوة آمرة؟

ويقول طه حسين: دعوة آمرة لا بد أن تلبّى. لقد قال لي الأستاذ أمين الخولي: "إن الطريق البرّي إلى المدينة مقطوع بسبب السيول الغزيرة التي هطلت هذا العام. ألا تؤجل زيارة المدينة هذه المرَّة؟ فقلت له: "لن أغفر لنفسي أبداً. شوقي إلى هذه الزيارة يتزايد منذ أكثر من سنتين".

وتحدِّثنا سوزان زوجة طه حسين في كتابها (معك) عن أثر هذه الرحلة على طه حسين، فتقول: "وما كان يواسيه شيء لو لم يتمكّن من رؤية المدينة المنورة، وأعرف كم كان متأثراً عندما يقول لي: حقاً إن الإسلام دين الصفاء والتسامح".

صلاح الشهاوي

مصر


77 | 76
ذاكرة القافلة

إهداء من الدكتور طه حسين.. إلى أهالي المنطقة الشرقية

القافلة
يناير / فبراير 2019

تكرّم الدكتور طه حسين، رئيس المؤتمر الثقافي العربي التاسع، الذي انعقد في جدة بتاريخ 21 جمادى الأولى سنة 1374هـ، وخص مجلة "قافلة الزيت" في العدد السادس (شعبان 1374هـ، أبريل 1955م) بإهداء جميل موجّه إلى أهالي المنطقة الشرقية في المملكة وذلك بمناسبة زيارة أعضاء الوفود العربية المشتركة في المؤتمر إلى المنطقة. وقد نشرت تفاصيل هذه الزيارة، في عدد (رجب 1374هـ، مارس 1955م).

لم أسعد بشيء كما سعدت بزيارة هذه البلاد العزيزة على كل مسلم، الأثيرة في قلب كل مؤمن، التي هي الوطن الروحي الأصيل لنفس كل عربي مهما نأت به الدار، وكل مسلم مهما يكن مكانه من الأرض.
ولا أعرف شيئاً أدعى للغبطة ولا أشدّ دعاءً للرضا من هذا الأمل المحبب العزيز الذي يشرك في النفوس فيملؤها بهجة وسروراً حين يلم العربي أو المؤمن بهذه الأرض الكريمة المطهَّرة فيرى بشائر هذه النهضة التي نشهد أولها ولا نستطيع أن نقدِّر عواقبها، وما تحفل به من الخير للعرب والمسلمين خاصة وللإنسانية عامة.
فقد أبلى الله إلَّا أن يكون الإنسان عوناً للإنسان، وإلَّا أن يكون الضعف في كل موطن من مواطن الأرض ضعفاً للناس جميعاً، وأن تكون القوة في كل قطر من أقطارنا قوة لهم جميعاً. فهذه الحياة الجديدة التي تدب في قلوب العرب كما يدب البرء في السقم لا يستمتع العرب وحدهم بها، وإنما هي نعمة يسبغها الله على الشعوب القريبة منهم والبعيدة عنهم. فكيف وموطنهم موطن الإسلام، منه أشرق النور الذي أحيا القلوب بعد موتها، وأيقظ الضمائر بعد نومها، وأخرج العقول من الظلمات إلى النور.
وهذه النهضة المباركة التي نشهدها، فتشيع في قلوبنا الغبطة وفي نفوسنا الرضا لها مصدران خطيران:

فأما أحدهما فهو هذا العزم الصادق المصمم الذي امتاز به جلالة الملك سعود -أيده الله- ووالده العظيم -رحمه الله-، وأسرته الكريمة أسبغ الله عليها النعمة وشملها بالعافية وكتب لها التوفيق في كل ما تحاول من إصلاح العرب والمسلمين، وهذا الحرص الشديد على الخير والإقبال العظيم على كل ما يجعل حياة الناس يسراً ويملؤها خيراً وبراً.
وأما الثاني فهي هذه القوة القوية التي تكمن في نفوس العرب ولا تحتاج إلَّا إلى من يثير نشاطها، ويذكي جذوتها لتملأ الأرض خيراً وبراً وعدلاً وإحساناً. وقد فعلت ذلك فيما مضى من تلك العصور الرائعة التي لا ينساها إلا الجاحدون، وهي جديرة بأن تفعل هذا ليكون الأبناء أكفاء لآبائهم، جديرين بالانتساب إليهم والاعتداد بهم، والاعتزاز بما كان لهم من قوة وبأس، ومن سمو عن النقائص وارتفاع عن الدّنيَّات.
وكم أتمنَّى مخلصاً للعرب جميعاً، ولأهل هذه البلاد العزيزة خاصة، أن يتمثّل كل واحد منهم في نفسه هذه المعاني، وأن يحضرها في قلبه، كلما أقدم لتزيده إقداماً وكل ما هم بإحجام أو كسل لتردّه عنهما ردّاً. فالله لم يخلق العربي للإحجام، ولم يرخص له في الكسل والخمول، وإنما خلقه للإقدام المتصل والنشاط الذي لا يفتر ولا يلين، وأمره أن يجدّ ويكدّ ليكون جَدُّه وكَدُّه مصدر سعادة متصلة لنفسه وللناس.
كم أحب مخلصاً أن يشعر كل عربي عامة، وكل عربي من أهل هذه الأرض الكريمة خاصة، بأنه لا يخطو خطوة في سبيل العمل ولا ينفق جهداً في سبيل الخير، إلَّا كان له الأثر كل الأثر في إسعاد أمته وإسعاد الإنسانية وإرضاء ربه الذي يأمر الناس بالعمل، ويحاسبهم آخر الأمر على ما قدَّموا لأنفسهم من الخير والمعروف.

اقرأ المزيد
Qafilah.com
@QafilahMagazine

أعضاء وفود المؤتمر الثقافي العربي لجامعة الدول العربية، وقد أخذت هذه الصورة أمام مصفاة رأس تنورة

جلسة نقاش

إثر إعلان وزارة التعليم في المملكة عن استحداث مادة جديدة يدرسها طلاب وطالبات المرحلة الثانوية، وهي "مهارات التفكير الناقد والفلسفة"، ونظراً لما يُتوخى من الفلسفة أن تؤديه من تطوّر على الصعد الفكرية والعلمية ليصبّ في النهاية لصالح المجتمع، نظمت القافلة في الرياض جلسة نقاش بعنوان "الفلسفة في الحياة والتعليم"، شارك فيها عدد من المتخصِّصين في هذا الموضوع. وقد هدفت القافلة، من خلال طرق هذا الموضوع الجديد والمهم أن يتعرَّف أفراد المجتمع على أهمية الفلسفة وما تضيفه للفكر المجتمعي، عبر إثارة الأسئلة الأكثر حيوية، من أسباب التقدُّم وبناء الفكر الناقد.

وليد الحارثي
تصوير: فتحي العيسى

الفلسفة في الحياة والتعليم



تولَّى **المهندس عبدالله النفيعي** مهمة إدارة الحوار، فثمّن للحضور المميّز تجشم عناء مشاركتهم في هذا النقاش الفكري ورحَّب بالمشاركين واصفاً الندوة بالفريدة لحدث فريد ولموضوع مستجد ومهم، وهو تعليم الفلسفة في مدارس المملكة. وأضاف: "فعلى أثر قرار وزارة التعليم، بدأ حوار كبير ومتنوِّع سواء في الصحف أو الإعلام المرئي أو وسائل التواصل الاجتماعي حول هذه الخطوة وما أثرها، وما الإيجابيات المنتظرة منها"، منوهاً أن هناك من لديه استدراكات حول هذه الفكرة ولكنها بلا شك خطوة كبيرة جداً ومتَّسقة مع التغيرات الكبرى التي تتوالى منذ إعلان رؤية المملكة 2030م.

كيف يمكن للفلسفة أن تساعدنا وتجعلنا نعيش حياة أفضل؟ كان هذا السؤال حجر الزاوية في موضوع الجلسة.



الفلسفة باعتبارها فنّاً للعيش

كان سقراط ينزل إلى عامة الناس، ويجادل ويحاور كل من يقابله في الشارع، أما أفلاطون فقد وضع الواقع نفسه نصب عينيه عندما كان يتحدَّث عن نظرية المُثل، محاولاً تقديم حلول للمشكلات آنذاك. هكذا استهل **الأستاذ شايع الوقيان** عضو حلقة الرياض الفلسفية الجلسة محاولاً تصحيح بعض المفاهيم الشائعة حول الفلسفة، مشيراً إلى أن الفلسفة اشتهرت في تصوُّر أغلب الناس كعلم تجريدي منعزل عن الواقع الحي، أو الوجود المعيش، وأن الفلاسفة يهيمون في مفازات التجريد. وقد يكون لهذا التصور ما يبرِّره، علماً أنه خطأ، لأن الغاية من الفلسفة والتجريد هي فهم الوجود اليوم كما كان يفعل سقراط وأفلاطون.

وأضاف: "في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ظهرت فلسفات حديثة ضاقت ذرعاً بتلك التي كانت سائدة في ذلك الوقت والتي تجاوزت الواقع الحي، تسمى فسلفات الحياة، كما هو الحال عند نيتشه، وعند فلاسفة الوجودية أمثال هايدغر وجان بول سارتر وغيرهما، وحال الفلسفة البراجماتية مع وليم جيمس، حيث ظهر نوع من العودة إلى عالم الأشياء نفسها ومحاولة فهم الوجود اليومي".

حياة أفضل مع الفلسفة

إذاً، هل يمكن للفلسفة أن تساعدنا على أن نعيش حياة أفضل؟ وكيف؟ كان هذا السؤال حجر الزاوية في الجلسة، ومنه انطلق **الوقيان** ملاحظاً أنَّ كثيراً من الناس يحملون موقفاً سلبياً من الفلسفة، في الوقت الذي ظهرت فيه تطوُّرات مهمة على مستوى

شايع الوقيان

الوعي النقدي ليست له علاقة بكم المعلومات بل بطريقة التفكير. فالشك منهج ضروري لكل تفكير علمي أو فلسفي على ألا يكون مَرَضياً بل شك منهجي نستخدمه بشكل مؤقت لتتحرَّر عقولنا من أغلال الأفكار السائدة.



تعريف الفلسفة

استهل **الدكتور عبدالله المطيري** أستاذ فلسفة التربية بجامعة الملك سعود وعضو حلقة الرياض الفلسفية مداخلته بالتعريف اللغوي المباشر للفلسفة وهو حب الحكمة. وهي تعنى بالشغف الإنساني بالمعرفة. هذا الشغف الذي انطلق مع بداية وجود الإنسان وتطوّره مع التاريخ فأصبح هناك ما يمكن تسميته بالمنهج الفلسفي وهو طريقة التفكير الفلسفية وكذلك المضمون الفلسفي وهو مجمل الموضوعات والأسئلة والمباحث في المعرفة والأخلاق والماورائيات والجمال. والواقع أن تحديد الفلسفة هو من الصعوبة إلى درجة أنه أصبح هو نفسه مادة نقاش فلسفية.

أما المنهج الفلسفي فيقوم على التساؤل والمناقشة والجدال بالمنطق وتقديم الحجج في نسق منتظم.

تعريف التفكير الناقد

التفكير النقدي هو العناية النشطة والمستمرة والدقيقة بأي اعتقاد أو معرفة مفترضة في ضوء الأسس التي تدعمها والنتائج التي تؤدِّي إليها، وهو تعريف فيلسوف التربية جون ديوي. ولذا تهتم مناهج التفكير النقدي بأنواع المنطق، مثل: المنطق الاستنباطي، والمنطق الاستقرائي، وتصنيف الحجج، وكيفية تحديد المقدّمات من النتائج في الحجج، وإعادة ترتيب الأطروحات، ودراسة الحيل والمفارقات، وتمييز الحجج من الدعوى، وبهذا المعنى يسمى التفكير الناقد المنطق العملي (Practical logic) أو المنطق غير الرسمي (Informal logic) إذ يستخدم الأمثلة الحياتية البسيطة في حين أن المنطق الصوري يستخدم الرموز في تفسير الظواهر.





جانب من الحضور



ضحى المعتاز

علاقة الإنسان المعاصر بالفلسفة مثل ظهور عيادات فلسفية على غرار العيادات النفسية، وهذا شيء غريب وجديد علينا، أن تذهب إلى فيلسوف ليحل لك مشكلاتك بدلاً من الطبيب أو المعالج النفسي. لكن لدينا ثقة بأن "الفيلسوف الأصيل" يستطيع مساعدة الإنسان الذي يعاني من مشكلات في الحياة العامة، أو في تصوّره لذاته وللآخرين وللوجود عموماً، من أن يضع نفسه ضمن سياق طبيعي معقول ومفهوم.

د. عبدالله المطيري

تطوَّرت الفلسفة إلى شقين: التفكير الفلسفي والمضمون الفلسفي. التعقّل هو الأساس في التفكير الفلسفي، حيث يحاول الفلاسفة تقديم حجج عقلانية للكشف عن الجوانب اللاعقلانية لدى الإنسان.

لتوضيح ذلك، عدّد الوقيان خمس نقاط مهمة حول ما الذي يمكن أن تقدّمه لنا الفلسفة؟ وما الفوائد التي سنجنيها منها في حياتنا:

• **العيش بشكل أصيل،** بمعنى أنّ الوجود الإنساني هو وجود مع الآخرين، وهي مسلّمة نبهنا إليها هايدغر الذي حاول تجاوز ما كان يقوله ديكارت من قبله، بأنه موجود ولكنه لا يدري هل العالم الخارجي موجود أم لا، وهو لا يلام على ذلك؛ لأنه استخدم منهجاً معيَّناً للوصول إلى الوجـود هو منهج "الشك المعرفي"، فقد كان هايدغر يقول إنه لا بد من البدء من مسلّمة أكيدة وهي أنني موجود في العالم وموجود مع الآخرين، ولذا فإنه يجب علينا عندما نتفلسف أن ننطلق من هذه المقولة. الوجود نوعان: وجود أصيل، ووجود مزيَّف.



فالمزيَّف هو نوع من الوجود الاتكالي، بمعنى أن يضيق الإنسان ذرعاً بنفسه، فيكسل ويعجز، ويتابع الناس، ويذهب معهم في مذاهبهم الفكرية، يشتغل بنفس أشغالهم، وليست لديه قناعة ذاتية فيسقط في الثرثرة دون أن يكون لكلامه معنى. أما الوجود الأصيل فهو أن يتحمَّل الإنسان وجود نفسه ومسؤولية ما يفعله، وحين يتشبع الإنسان بالفلسفة فإنه يبدأ بالجنوح إلى هذا النوع.

• **الوعي النقدي،** الفلسفة عموماً هي علم شكّي نقدي لا يبدأ من تصورات أو مسلّمات مسبقة، بل من "وضع قناعاتنا جانباً" ولو بشكل مؤقَّت كما يقول ديكارت وأبو حامد الغزالي، بمعنى أننا لا ننكرها تماماً ولكننا نضعها جانباً لكي نرى الواقع كما هو، وليس كما يصوِّره لنا الآخرون. والشك المنهجي غير المرضي مهم جداً ويقي من الوقوع في الخرافات.

• **احترام الآخرين،** فالفلسفة تُعلّم احترام الآخرين إذا قرأها الإنسان وتشبَّع بها. والقراءة الصحيحة هي أن تقرأ وتتفلسف أثناء القراءة، بمعنى أن تحاجج الكاتب وتناقش أفكاره. فعدم انعزال الإنسان يفرض عليه احترام الآخرين؛ لأنهم يشكِّلون جزءاً من ماهيته.

• **حُب المعرفة،** إذا كانت الفلسفة تقوم على إثارة الأسئلة، أكثر من تقديم الأجوبة فإنها بالضرورة ستدفع الإنسان إلى أن يواصل المعرفة وألاَّ يتوقف، وستظل كل صغيرة وكبيرة تثير عنده الأسئلة، لكن من دون الوصول إلى حالة الوسوسة، وأن يعرف كيفية طرح السؤال الصحيح إزاء الظواهر اليومية، والكون، والعالم. الأسئلة التي تثيرها القراءة الفلسفية تجعل العقل متوثباً دائماً باحثاً عن إجابة وهذا يدفع إلى الاطلاع والبحث والقراءة.

• **تعليم الحرية والكرامة**، حيث على الفيلسوف أن يعرف ذاته بشكل جيِّد، ويعطيها قدرها من دون تعظيم أو تحقير، لأنه لن يرضى بالانحطاط إلى الحالات التي تنتهك كرامته وحريّته، إذا حمل التصوُّر الحقيقي عن نفسه وعن الآخرين.

الفلسفة وعلاقتها بالتفكير الناقد

وانطلق **الدكتور عبدالله المطيري** في شرح مستفيض عن تلك العلاقة من خلال إعلان وزارة التعليم في المملكة أخيراً استحداث مادة جديدة يدرسها طلاب وطالبات المرحلة الثانوية، هي: "مهارات التفكير الناقد والفلسفة". هذا الإعلان أحيا الأسئلة حول علاقة الفلسفة بأشياء كثيرة، ومن ضمنها علاقتها بالتفكير الناقد تحديداً؛ لأن الناس ليسوا على اتفاق حول هذه العلاقة، بين مَنْ يرى أنها أساسية ومهمة، وبين مَنْ يرى إمكانية تدريس التفكير الناقد من دون اللجوء إلى تدريس الفلسفة، في وقت وضعت وزارة التعليم الفلسفة والتفكير الناقد في مقرر واحد وكتاب واحد وكأنها تقر هذا الارتباط بينهما.

فهل هذه العلاقة موجودة فعلاً؟ وإذا كانت كذلك، فهل هي علاقة متميزة، وأفضل من أي شيء آخر؟ قال **الدكتور المطيري** "ثَمَّة نوعان من العلاقة تجمع بين الفلسفة والتفكير الناقد، هما: العلاقة العملية والعلاقة المفهومية. فالعلاقة العملية هي ممارسة تدريس التفكير الناقد أو تدريس الفلسفة. والفلسفة ترفع احتمالات التفكير الناقد عند المتعلّم. أما من حيث العلاقة المفهومية فهي علاقة ضرورية ولا يمكن ممارسة الفلسفة بدون النقد؛ لأن النقد جوهري في أي أطروحة، إذ لا تُعدّ فلسفية إلاّ إذا تضمَّنت نقداً فلسفياً. وهذا ما يقودنا إلى سؤال آخر أيضاً: هل العلاقة تبادلية بين تعلّم الفلسفة وتعلّم التفكير النقدي؟ والجواب هو أنها ليست تبادلية، لأن الإنسان قد يتعلَّم التفكير النقدي، ولكنه لا يتعلَّم الفلسفة بسبب وجود منهج ومضمون خاص بها". ويبقى السؤال: هل للفلسفة امتياز على غيرها من العلوم في تدريس التفكير الناقد؟ خلف هذا السؤال أطروحات تقول إنَّ تعليم التفكير السليم مبثوث في كافة العلوم وشرط أساسي من شروطها وبالتالي فلا امتياز للفلسفة على غيرها في هذا المجال. الجواب عن هذا السؤال حسب **الدكتور المطيري** هو أن الفلسفة تمتاز على غيرها من العلوم في علاقتها بالتفكير الفلسفي من وجهين: أولاً، أن الفلسفة لا تتطلب التفكير السليم فقط ولكنها تشترط أن يكون التفكير السليم نقدياً كذلك. التفكير السليم قد يحصر عمله في تطبيق القواعد المستقرة بشكل سليم ولكن التفكير النقدي يتطلَّب عمليات مراجعة للمبادئ والأسس، وهذا ما تختص به الفلسفة. شهادة الدكتوراة حسبما هو مستقر في الأكاديميا العالمية تسمى شهادة الفلسفة في مجال معيَّن. وهذا يعني أن حامل أو حاملة هذه الشهادة قد تمكّن ليس فقط من تطبيق المناهج العلمية (فهذا قد تحقق مثلاً في الماجستير) ولكنه أيضاً قد تمكن من ممارسة النقد للمبادئ والمنطلقات الأولى في مجال تخصّصه.

بينما تهتم مناهج التفكير النقدي بأنواع المنطق، فإن الفلسفة تهتم بالمناقشة والتساؤل والجدال بالمنطق وتقديم الحجج في نسق منتظم.



ولكن يمكننا الاعتراض على النقطة السابقة بالإشارة إلى أن الفلسفة ليست العلم الوحيد الذي يدرس التفكير، فلدينا مثلاً علم النفس يدرس التفكير البشري بأنواعه وأشكاله المختلفة. هذا صحيح ولكن هناك فرق جوهري يفصل بين طبيعة دراسة علم النفس للتفكير ودراسة الفلسفة للتفكير. يمكننا القول إن علم النفس يدرس التفكير الإنساني بينما تدرس الفلسفة ماذا يجب أن يكون عليه التفكير الإنساني. بمعنى أن علم النفس علم وصفي والفلسفة معيارية. الجانب الفلسفي المعني بمعيارية التفكير هو المنطق وهنا تتضَّح الصورة أن التفكير الناقد ليس في الحقيقة إلا تدريساً للمنطق ولكن هذه المرة ليس من خلال رموز ولكن من خلال أمثلة الحياة المباشرة.

تعليم الفلسفة في المدارس

وتميَّزت مشاركة **الأستاذة داليا تونسي**، مؤسسة مركز بصيرة لتعليم الفلسفة للأطفال في جدة، في الجلسة بأنها كانت ضمن الفريق الذي شارك

داليا تونسي

"اهتمت الوزارة بفكرة أساسية وهي: "ما الذي سوف يُقدَّم للطلبة من خلال منهج وعادات التفكير الفلسفي التي أسميها "الإمكانات"؟





د. فارس بوخمسين

المتحدِّثون في الجلسة

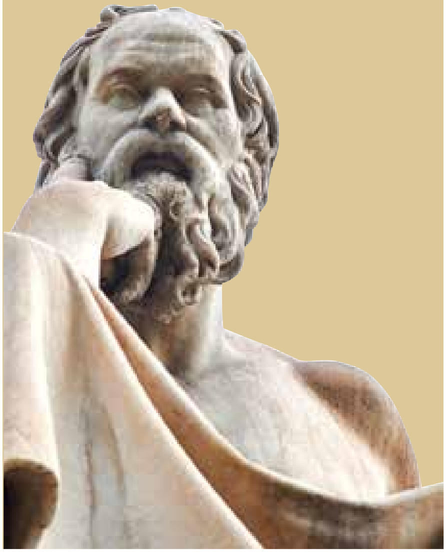
- **د. نور الدين بن محمد السافي**
أستاذ الفكر الإسلامي في جامعة الملك فيصل، وخبير مناهج الفلسفة بوزارة التربية في تونس.

- **د. عبدالله بن محسن المطيري**
- أستاذ الأصول الفلسفية للتربية بجامعة الملك سعود.
- كاتب وعضو مؤسس لحلقة الرياض الفلسفية.

- **أ. شايع بن هذال الوقيان**
- ماجستير في الأصول الاجتماعية والتاريخية والفلسفية للتربية من جامعة ولاية فلوريدا عام 2015م.
- كاتب ومتخصِّص في القضايا الفلسفية والعلمية والنقدية، وعضو مؤسس لحلقة الرياض الفلسفية.

- **أ. داليا بنت عبدالله تونسي**
- مديرة البرامج التعليمية في مؤسسة بصيرة الأفكار للاستشارات التعليمية والتربوية.
- حاصلة على درجة الماجستير في علم اجتماع الطفولة من جامعة كارديف ببريطانيا، ومتخصِّصة في تصميم البرامج التربوية للأطفال والناشئة وحلقات النقاش السقراطي وتعليم للفلسفة.

- **م. عبدالله فهيد النفيعي**
- بكالوريوس هندسة مدنية من جامعة الملك سعود.
- عضو مؤسس في حلقة الرياض الفلسفيّة.



في وضع منهج الفلسفة والتفكير الناقد في وزارة التعليم. وقالت في كلمتها: "اهتمت الوزارة بفكرة أساسية، وهي: "ما الذي سوف يُقدم للطلبة، من خلال منهج وعادات التفكير الفلسفي، التي أسميها "الإمكانات". فمقدِّمة المنهج الذي يدرسه الطلاب اشتملت على العودة إلى المنهج السقراطي الذي يختلف عن المنهج المدرساني الذي يهتم بالمحتوى الفلسفي. وهناك فروق أساسية بين الفلسفة في المنهجين. فهي في المنهج المدرساني تُعدُّ محتوى متكاملاً للتعلُّم، ودوغمائية تبدأ بنظريات كلية، وتنحصر في الأكاديميين. بينما هي في المنهج السقراطي عملية فاعلة، تبدأ بالسؤال، وهي للجميع".

واستعرضت **تونسي** تجربة أكاديمي في الستينيات اسمه ماثيو ليبمان Mathew Lipman المعروف بمؤسس الفلسفة للأطفال Philosophy for Children، كان أستاذاً في الجامعة، وقرَّر أن يعود بالفلسفة من المرحلة الجامعية إلى مرحلة رياض الأطفال، وعمل على ذلك بذكاء شديد، حيث إنه حوّل المحتوى الفلسفي إلى عملية تفكير فلسفي، وقدَّمها في خطوات بسيطة، تُناسب المعلِّم العادي. وقالت: هذا يقودني إلى التأكيد على أن فكرة تعليم التفكير الفلسفي ليست محصورة في الأكاديميين في الجامعة، بل إنها تصلح أيضاً للتعليم العام العادي. لكننا سنواجه عديداً من التحديات الكبيرة، منها: سُمعة الفلسفة، والمحاورات المرتبطة بها، والمحتوى التعليمي وإدخاله في المناهج عموماً أم كمادة مستقلة، وعلاقة المعلِّم بالمتعلِّم.

أنواع مناهج التفكير الفلسفي

وتناولت **تونسي** مناهج تعليم التفكير الفلسفي، فقالت: "هناك ثلاثة أنواع من المناهج: نوع متمركز حول المعلِّم وهو المنهج المهتم بالمحتوى، ونوعان متمركزان حول الطالب، وهما: المنهج المهتم بالأهداف، والمنهج المهتم بالعملية التعليمية. بالنسبة للمنهج المتمركز حول المعلِّم يكون فيه الطالب أشبه بعبوة فارغة، يمتلك المعلّم فيه سلطة كاملة، والمحتوى دائماً محدّد ومنفصل، حيث تكون مادة التعبير منفصلة عن مادة الأدب. أما في ما يتركَّز حول الطالب من المناهج التي تهتم بوضع أهداف لا منهجية، يبقى المعلّم هو من يملك السلطة الكبرى. ولذا فإن المناهج التي تتمركز حول المعلِّم تطرح سؤالاً، والإجابة عنه هي عبارة عن نفق طويل يسير فيه الطالب حتى يخمِّن إجابة محدَّدة وفقاً لما يريده المعلِّم. هذا الأمر يقودنا إلى الدراسة البريطانية التي وجدت أن المعلِّم يسأل 400 سؤال في اليوم، لكن 60% منها أسئلة إجرائية، والـ 40% الباقية أسئلة من المراتب الدنيا (مثل: من هو ومتى)، لأنه توجد أسئلة محدَّدة تسمى: أسئلة المراتب العليا حسب تقسيم العالِم لون (مثل: كيف يمكن)، وهذه أسئلة تخمينية يسألها المعلِّم بنسبة 6% فقط خلال اليوم الدراسي. هذا المنهج يُهمل الاختبارات أو النتائج، ويهتم بما يحدث أثناء العملية التعليمية في الأخير، وهي طريقة تؤسس لعلاقة مختلفة بين المعلِّم والمتعلِّم".

تجربة تونس مع الفلسفة

بعد ذلك، تحدث **الدكتور نور الدين بن محمد السافي** أستاذ الفكر الإسلامي بجامعة الملك فيصل عن التجربة التونسية، وتجربته شخصياً في تعليم الفلسفة. إذ بدأ التدريس الجامعي عام 1984م، وخاض تجارب عديدة جداً وصعبة. فقال إن في النصف الأول من القرن العشرين، تبيَّن أن مادة الفلسفة مادة أساسية في تكوين الطالب أياً كان، وأياً كان تخصصه العلمي، فوضعت وزارة التربية والتعليم التونسية المنهج الأول للفلسفة، وكان الدكتور السافي قد تعلَّم الفلسفة في فرنسا، ويتحدَّث باللسان الفرنسي. ومن حُسن حظّ جيله في ذلك الوقت أنه درس في كلية الآداب بجامعة الزيتونة على أيدي فلاسفة فرنسا.



منيرة القحطاني

إذا كان تعليم الفلسفة هو وسيلة لتحقيق هدف الارتقاء والتقدُّم والابتكار، فسيحتاج الأمر إلى منظومة كاملة تبدأ ببيئة محفّزة تعطي مساحة للإبداع والابتكار.

ثم صدر في عام (1975-1976م) قانون تعريب الفلسفة في تونس ضمن موجة تعريب التعليم تعريباً كاملاً. وظهر أول برنامج متكامل للفلسفة وأول كتاب للطالب والأستاذ يتكوَّن من ثلاثة مجلدات يحتوي على نصوص الفلاسفة وملخصات الدروس حسب البرنامج الرسمي وقتها. كما كان هناك تجديد وتطوير لبرنامج الفلسفة، تضمَّن الابتعاد عن تاريخ الفلسفة ومدارسها وتوجيه التعليم إلى التفلسف نفسه من خلال مسائل فلسفية. إضافة إلى ظهور القانون التربوي الجديد للمنظومة التربوية عام 1991م، وظهور القانون التوجيهي المنظم للحياة المدرسية عام 2002م، وإعادة تنظيم التعليم في تونس وإعادة بناء برنامج الفلسفة من جديد بناءً مغايراً في التدريس وهندسة الكتاب ومحتوى المقرَّر.

كان لا بد للكتاب المدرسي في ذلك الوقت أن يتكوَّن من شيئين:

- النص الرسمي الذي يحدّد أهداف التدريس وغاياته في البلاد التونسية.
- الواقع البيداغوجي كما هو ممارس في فصول التدريس، وكما هو ملاحظ في العمل اليومي عند المدرّسين.

وكان المسعى في ذلك الوقت أن تتم دراسة المدرسة الوجودية، والمدرسة الماركسية، والفلسفة الإسلامية، والفلسفة السكسونية، ويخرج الطالب عارفاً بكل المدارس الفلسفية، فقد كان الطالب يدرس الفلسفة 7 ساعات في الأسبوع.

وعرض للأهداف العامة من برامج الفلسفة في التعليم الثانوي التي تركِّز على فكرة الحرية والتحرير، وأن بلوغهما يتم بفضل ممارسة التفكير من خلال أعمال كبار الفلاسفة والمفكرين، إضافة إلى مساعدة التلميذ على الارتقاء ذاتياً من موقف عفوي إلى موقف واعٍ يسند اختياراته فكراً وسلوكاً، ويحمله على الإبداع، ويقيه التسطيح الفكري والوجداني والاستسلام إلى المجهود الأدنى. أما القدرات الواجب أن يكتسبها الطالب، فكانت كالتالي:

- تحليل المسائل من خلال النصوص.
- التعبير فنياً عن الإشكالية التي يطرحها النص.
- تبيّن طرق الاستدلال في النص.
- التأليف.
- إعادة استخدام المعارف المكتسبة والتصرّف فيها.
- التعبير وتدريب التلاميذ على أساليب الكتابة (المقال الفلسفي).

أنا أفكِّر

واستعرض **الدكتور السافي** بعض الكتب التي درس فيها أو درّسها مثل كتاب: "أنا أفكِّر" الذي يشتمل على عدد من نصوص الفلاسفة التي لا تستخدم الشرح. وذكر أن ما أفسد الفلاسفة وأعطى للفلسفة سُمعة سيئة هم الذين يدرسون الفلسفة من تاريخها وليس من أصحابها. ولذا يجب تدريس قول الفيلسوف نفسه، وليس ما قيل عن الفيلسوف، ويجب أن يتعلَّم الطالب كيفية التعامل مع المصدر لا مع المرجع، وكيف يتحاور مع الفيلسوف نفسه وليس مع مَنْ كتب عن الفيلسوف، وكمثال على ذلك هيجل هو الفيلسوف ولكن الهيجيليين ليسوا فلاسفة، وماركس هو الفيلسوف، أما الماركسيين فليسوا فلاسفة.. إلخ.

وأضاف: "قبل عام 2002م أضيف كتاب آخر خاص بالصف الثانوي الثالث، لسنة التخرج للآداب والعلوم، وهو كتاب "الحياة والتفكير" الذي يعلّم الطلاب كيفية رصد الحياة بمعناها البيولوجي الجسمي أولاً والطبيعي والفيزيائي ثانياً، ليفهم معنى الحياة والعيش والعادة، حيث يدرس الطالب كيف نسلّم بالموروث الفكري والعقلي، كيف نفكِّر في القضايا القصوى، وكيف نفكِّر في الحرب، وكيف نفكِّر في الموت، وكيف نفكِّر في المرض، وكيف نفكِّر في الألم".

ومن ثم ذكر **السافي** كتاباً آخر "لا مثيل له"، مكوّناً من 800 صفحة، وكان يُدرس في 8 ساعات أسبوعياً، تم تأليفه بالتعاون مع وزارة التعليم في فرنسا، ويتناول "قضية الحياة والتفكير". وقد ركَّز هذا الكتاب على ما يسمى بالمغالطات الفكرية الموجودة في المجتمع، وفي الفكر السائد، بمعنى كيف تفهم أن المتحدث يغالطك، أو أن ما يسمى حجة ليس حجة.



د. فوزية البكر

> **د. نور الدين السافي**
> **"يجب تدريس قول الفيلسوف نفسه، وليس ما قيل عن الفيلسوف، ويجب أن يتعلَّم الطالب كيفية التعامل مع المصدر لا مع المرجع، وكيف يتحاور مع الفيلسوف نفسه وليس مع من كتب عن الفيلسوف".**

تحسين صورة الفلسفة واقتراحات وملاحظات عديدة

وأعقب هذه الكلمات حوار استهله **الدكتور فارس بوخمسين** بالسؤال: كيف يمكن لنا أنّ نحسن من صورة الفلسفة عند المجتمع، ونقنع من يشكِّك فيها وفي أهمية التفكير الناقد بدورهما في حياتنا اليومية والفكرية؟ فحصل على عدة أجوبة. إذ قال **الأستاذ شايع الوقيان** إن أفضل حل لتحرير العقول من الصور النمطية عن الفلسفة هو أن تقترب منها، وأن يتم تدريسها. بينما لفت **الدكتور عبدالله المطيري** أنّ الفرصة مهيأة اليوم للاتصال المباشر مع الناس عبر وسائل التواصل الاجتماعي مثلاً، وتقديم المنتج الفلسفي يجب أن يتم بطريقة مقنعة باعتباره تحدياً قائماً.



تجربة فلسفية شخصية

روى **فارس الفرزان**، وهو أحد الطلاب الجامعيين الذين حضروا الجلسة، تجربته مع الفلسفة عندما كان يدرس في المرحلة الثانوية، وقال: "كانت لدي أسئلة في مادة الفيزياء تحديداً، وكنت أُلحُّ على أستاذي بالسؤال: أنت تقول إن الإلكترون له طبيعتان فما هو الإلكترون نفسه؟ هل سأقتنع أن الإلكترون هو شيئان في الوقت نفسه؟ وكان يتحاشى الإجابة؛ لأنه كان هو نفسه متورطاً في هذا السؤال! غضبت، وبدأت أبحث عن الأجوبة، واتضح لي فيما بعد أن العلم لا يستطيع الإجابة عن السؤال. واتضحت لي أشياء كثيرة جداً، واكتشفت أهمية الفلسفة، والذي أرجوه نشر الوعي بأهمية الفلسفة، وتدريس التاريخ الفكري والفلسفي في المدارس. فأنا كنت أحاول أن أنشر بين أصدقائي ذلك".



فارس الفرزان

تعليم التفكير الفلسفي منهج يدخل في تدريس كل المواد عبر تحويل الأفكار إلى أسئلة.



من جهته، بيّن **الدكتور نور الدين السافي** ضرورة إفهام الطالب منذ صغره أن المعلِّم ليس مصدراً للمعرفة، وإنما تبنى المعرفة في الفصل الدراسي بشكل دائري بين معلِّم ومتعلمين ووسيط معرفي هو الكتاب والتمارين وغيرها. هذا من شأنه أن يوجد جيلاً ذا عقل تربَّى على أن يكون عاملاً يُجيد التفلسف الذي هو عملية ذهنية راقية جداً.

وتساءلت **ضحى المعتاز**، عن تخصص ومؤهلات المعلِّم المهيأ لتدريس مادة الفلسفة التي استحدثتها وزارة التعليم والتي مكّنته من تدريسها؟

وأجابتها **الأستاذة داليا تونسي** بأن طريقة تعليم التفكير الفلسفي موجَّهة إلى كل أنواع المعلمين والمعلمات. والمفترض أن باستطاعة المعلِّم تطبيقها مع طلابه في معظم المواد الدراسية، فمثلاً معلِّم اللغة العربية يستخدم أدوات التفكير الفلسفي كالخروج بجمل قابلة للدحض، أو تحويل الفكرة إلى سؤال فلسفي أو تفكير مفاهيمي. ولذا، ليست المسألة أن يكون لديك محتوى فلسفي جيِّد، بل أن يكون لدى المعلِّم رغبة في تطوير نفسه، بحيث يستخدم المواد الموجودة في تعليم التفكير الفلسفي ويدمجها في المواد الدراسية الموجودة بكل سهولة.

واقترح **الدكتور نور الدين السافي** على وزارة التعليم أنّ تستثمر العدد الكبير من خريجي الجامعات السعودية في أقسام التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع، بعد حصولهم على تدريبات معيَّنة سواء في طرق التدريس، أو في بعض المحتويات الفلسفية، بحيث يكونوا مؤهلين مؤقتاً للقيام بهذه المهمة، ريثما تقرِّر الوزارة فتح أقسام للفلسفة في جامعاتها، الذي سيكون قريباً بإذن الله، وتكون الفرصة مهيأة لابن الوطن والبيئة والأرض للقيام بمهمة مخاطبة العقلية القائمة بطريقة جميلة تحقق أغراضها الفلسفية.

كما طرح **الدكتور راشد العبدالكريم** أستاذ مناهج طرق التدريس بجامعة الملك سعود سؤالاً حول مدى إمكانية تدريس التفكير الناقد من دون الخوض في الفلسفة. فأجابه **الدكتور المطيري** على ذلك بأن تعليم مهارات التفكير بمعزل عن الفلسفة يشبه سلوك من يستطع أن يسافر بالسيارة أو الدرَّاجة، فيختار الدرَّاجة بدلاً من السيارة. أما **الدكتور السافي** فأضاف أن أهم العلوم قامت على أيدي الفلاسفة. فعلى سبيل المثال، علم النفس أسسه الفيلسوف الألماني فونت فيلهم، وعلم الاجتماع أسسه الفيلسوف الفرنسي أوغست كونت مؤسس المدرسة الوضعية، حتى إن ميلاد الرياضيات المعاصرة كان بفعل سؤال فلسفي. ومن غير الفلسفة لم يكن للرياضيات والطبيعيات والأيديولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع، وعلم المناهج أيضاً أن تتطوَّر!

وعبّر **الدكتور موسى الفيفي**، أستاذ تعليم الكبار بجامعة الملك سعود عن رأيه بوجوب تحديد هوية واضحة للفلسفة من خلال تعريفها تعريفاً شاملاً. وأبدى الرأي نفسه **الأستاذ محمد النفيسة** الذي طالب بضرورة تعريف الفلسفة، قائلاً "إن في تاريخها الإنساني ما هو أبيض وأسود".

كما اقترحت **الأستاذة منى الحمود**، المشرفة التربوية بوزارة التعليم تقديم الفلسفة للطلاب في سياق تاريخي، يحفظ للطالب فكره بعيداً عن التشتت.

ورأت **الدكتورة فوزية البكر**، المتخصصة في السياسات التربوية عن اعتقادها بأن القدرة على فهم اللغة العربية، سيساعدنا على الفهم الفلسفي بشكل كبير.

كما أبدت **الأستاذة منيرة القحطاني** رئيسة قسم الترجمة في أرامكو السعودية ملاحظة مفادها أنه إذا كان تعليم الفلسفة هو وسيلة لتحقيق هدف الارتقاء والتقدُّم والابتكار، فسيحتاج الأمر إلى منظومة كاملة تبدأ ببيئة محفّزة تعطي مساحة للإبداع والابتكار! ■



م. عبدالله النفيعي

تعليم الفلسفة والتفكير النقدي لطلاب المرحلة الثانوية خطوة كبيرة ومهمة تتسق مع التغيرات الكبرى التي تحدث منذ إطلاق رؤية 2030.

لمشاهدة مجريات الندوة:

شاركنا رأيك
Qafilah.com
@QafilahMagazine

ما أفضل أمر حدث لك ذات صباح؟

1 ← صباح يشبه البدايات المفعمة بالوعود الجميلة





فاطمة الشريف - مدير عام شركة علاقات عامة

حدث لي ذات يوم "صباح" يشبه البدايات المفعمة بالوعود الجميلة، وأن كل شيء سيكون لي.

لا أعرف إن كنت أشرح الموضوع بشكل واضح وبعيد عن التعقيد، ما حدث لي تماماً ذلك اليوم هو "الصباح"، الصباح الذي تستطيع مصافحته، وإلقاء التحية عليه، ومرافقته لدروب تعبق بالضوء، تختلف الشمس عندما تدرك أنك معه، لا تبالغ كثيراً في إظهار نفسها ولا في الاختفاء. فقط تظهر وجهها بالقدر الذي يسمح بأن تسطع عيناك دون أن تحتاج نظارتك الشمسية ذلك اليوم.

تختلف السماء وتبدو أقرب وأقل غضباً. تلمس غيومها، وتشكّلها بيدك وتعيد إطلاقها ثانية لتنظر إليك من بعيد وتعرف أنك في "صباح". أذكر تماماً يومها: هل صادفت طيوراً في طريقي أم لا؟

لكني سأتوقف عند هذا الحد من الشاعرية حتى لا يبدو الأمر برمته قصيدة..

2 ← صباح المفاجأة برحلة عائلية



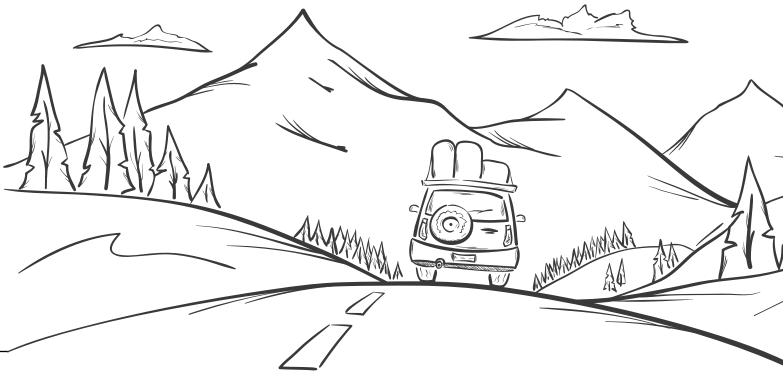


ليالي الفرج - كاتبة

أن يعزف أحدهم محركات الفرح الكامنة في مملكة مشاعرك، ليصنع الدهشة، ويجعل من مزاجك الصباحي محطة انطلاق ليوم مبهج، هي معادلة سحرية، تُحوّل تلك الإطلالة التي تغذّي بها حواسك من نافذة الزمن، إلى إطلالة ساحرة تشدُّك لمعانقة ذرات الصباح بحب وشغف متناغم مع كل لغات الجمال في هذا الكون. هذا ما حدث لي في أحد تلك الصباحات.

كان يوماً حمل من ملامح مدينة قصائد الحُب، فاجأني زوجي بترتيب رحلة استجمام عائلية إلى أسكوتلندا ولندن. وكانت المرة الأولى التي لم يكن لي فيها دور في ترتيبات السفر، ولم تكن فترة سفرتنا السنوية. المفاجآت السعيدة صندوق موسيقي. كان ذلك الصباح مختلفاً مُنكّهاً بأريج البهجة، حلقتُ معانقة غيمتي التي حملتها سماء مدينتي، وارتشفت انسكابه كأساً جردني من حدود الزمن، فتجاوزتُ أسوار الركود.

وهكذا يتأكد الصباح في عالمي، مرآةً مشاعرية تمحض بقية اليوم صفوة الجمال، وتسقي لحظات الوصل قمح الإنسانية. إن منصة بداياته تطعم عصافير الأفق الجديد بهجة اللقاء، وبين يراع الروح تنسكب مذاقات اللهفة على شاشة الحقيقة الجمالية، كملتقى شوق، وعطر نسائم تستنطق أبعادنا على مطالع النور، عمراً مزهراً، تتمايل أغصانه على وابل وفير، يمسح عن النفوس رماد الأمس، ويجعل من اليوم حقل سنين في أفياء الغد النضير.



3 ← كل صباح هدية جديدة مضافة إلى العمر



فاطمة كرم - مسؤولة إدارية في الشؤون الصحية

أقف بين ذراعي الصباح كطفلة تحاور جمال إطلالته. كل صباح اعتبره حُلماً يسري في جسدي، عمل وطموح ليس إلا امتلاء الابتسامة على وجهي وخفة روحي اللطيفة.
نعم أصنع الصباح، ليس لي فقط، إنما أيضاً لمن هم حولي. ربما كنت يوماً ما شمعة لا تنطفئ وأنا لا أشعر بهذا الانطفاء، باعتبار كل صباح هدية جديدة أضيفت إلى العمر فتستحق الشكر والتقبيل والتفاؤل بأنه صباح ويوم مختلف وجميل.
وعلى الرغم من جماله في داخلي، إلا أن له نكهة مختلفة وكمية هائلة من المشاعر والأحاسيس المتراكمة المليئة بالشوق، الحنين، وربما الفراق وكثير من الفرح.. فلو تأملت في الفراق، فأنا كلما فارقت أحدهم توقفت الأشجار المثمرة التي بداخلي عن النمو، وكذلك نهر الروح عن التدفق. سأشبه حينها طفلة صغيرة تركل دميتها الجميلة، كلما فارقت إحداهن نشبت حرب عالمية لا تكف إلا بتقديم القرابين، كلما فارقت أحدهم، عليّ أن أكون أقوى وأقل هشاشة.
أطلق على حياتي كل صباح أحلى صفات الحُب من العمل، الأمل والطموح وتحقيق الإنجازات وتخطي العقبات. العمل بالنسبة لي طقس عبادة يجعلني أخشع وأتَّهذب في أدائه. لذا كثيراً ما أقول لزملائي: ابدأوا يومكم بشيء تحبونه سواء أكان كوب قهوة، همسة، أو لمسة من أقرب الناس إليكم، فالحياة واحدة ولن تتكرَّر.



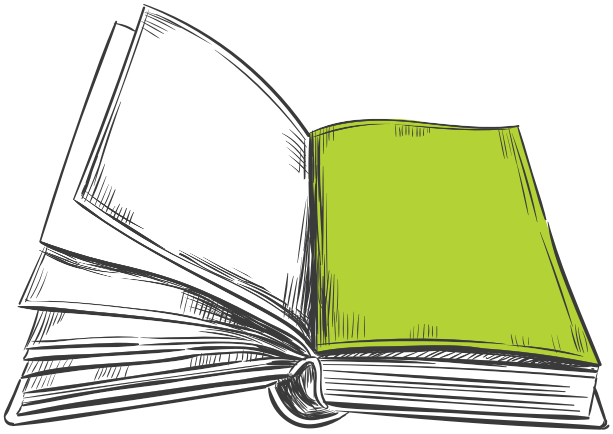


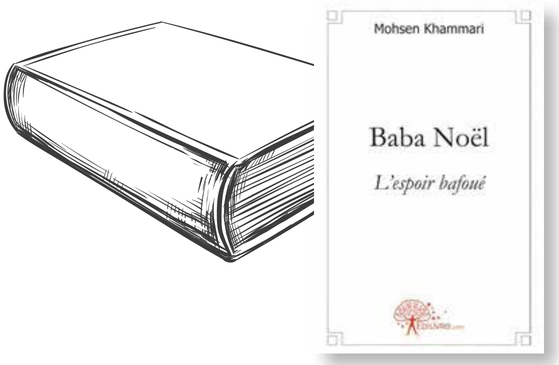
4 ← أفضل ذكرى تسلُّمي نسخة من أول كتاب من تأليفي

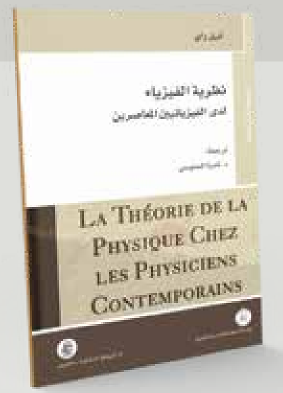


محسن الخماري - صحافي وكاتب، تونس

الأربعاء غرة ديسمبر من إحدى السنوات الماضية، يوم غير عاديٍّ تعودت على تخصيص جزء منه للاحتفاء بذكرى ميلاد زوجتي آمال.
استيقظت مبكِّراً كالعادة، أعددت فنجان قهوة، وجلست أمام شاشة الكمبيوتر، أبحث عبر المواقع "الفيسبوكية" والإعلامية المختلفة، عن فكرة وأكثر تساعدني على اختيار هدية لزوجتي الكريمة بمناسبة عيد ميلادها.
رنَ جرس المنزل. مَنْ يكون؟ إنه ساعي البريد العم رمضان يسلمني ظرفاً منتفخاً على غير العادة.
وضعت الظرف المنتفخ على المكتب، متسائلاً عما يحمل من أسرار؟
أفتحه وأصابعي ترتعش، إنه كتاب، أركِّز ملياً على الغلاف، الكتاب يحمل عنواناً غير غريب.
"بابا نويل، الأمل المُنتهَك"،
تحت العنوان، اسم الكاتب: "محسن الخماري"،
قصة "بابا نويل، الأمل المُنتهَك" لـ "محسن الخماري"؟
إنه كتابي أنا، قصتي الأولى بطلها بابا نويل عربي لحماً ودماً، وسعيه إلى التوزيع العادل لهداياه السنوية، أول قصة غامرت بإرسالها إلى دار النشر الفرنسية "إيديليفر".
أصرخ: آمال، حسام، آمنة، تعالوا جميعاً..
يأتي أفراد العائلة مذعورين،
زوجتي: ماذا حدث لك؟ لماذا تصرخ؟
ألتفت صوبها، أقدِّم لها الكتاب، وأقول بصوت خافت: هذه هديتي لك بمناسبة عيد ميلادك!







نظرية الفيزياء لدى الفيزيائيين المعاصرين

تأليف: آبيل راي

ترجمة: د. نادرة السنوسي

الناشر: دار الروافد الثقافية - ابن النديم للنشر والتوزيع، 2018م

قد يخدع عنوان كتاب "نظرية الفيزياء لدى الفيزيائيين المعاصرين" بعض القرَّاء؛ فهو سيبدو للوهلة الأولى وكأنه بحث علمي كتبه متخصِّص في علوم الفيزياء، لكن الواقع أن مؤلّفه آبيل راي (1873 – 1940م) فيلسوف فرنسي ومؤرِّخ علوم، وصل إلى شغل منصب رئيس قسم تاريخ الفلسفة وعلاقتها بالعلوم في كلية الآداب بجامعة السوربون، والكتاب الصادر بالفرنسية عام 1909م، والمُترجم إلى العربية حديثاً، من المتخصِّصة في الفلسفة الدكتورة في جامعة تونس نادرة السنوسي، هو بمثابة بحث فلسفي تاريخي، يدرس العلاقة بين الفلسفة والعلوم وتطوّرها.

وقد شكَّل جهد الفيلسوف الفرنسي راي إسهام فعّال في التخلص من الجمود في طريقة النظر والتفكير في المسائل الفيزيائية الكبرى، بداية من بحثه الأكاديمي الأول (1896م) حول اللامتناهي الرياضي، الذي كان بمثابة حدث علمي يؤذن بعودة الفلسفة إلى دراسة العلم، واستئناف التقليد المتخلى عنه منذ مدة، ثم عزّز مسعاه باختيار موضوع أطروحة دكتوراة في الآداب حول نظرية الفيزياء لدى الفيزيائيين المعاصرين؛ وهو موضوع هذا الكتاب، ثم توّج جهوده العلمية عبر تأسيسه لـ"معهد تاريخ العلوم والتكنولوجيا"، ضمن جامعة السوربون، لتشجيع التعاون بين العلوم والإنسانيات: الفلسفة وعلم الاجتماع.

يتناول الكتاب مسائل متعلِّقة بعجز التفسير الفيزيائي (الميكانيكي) عن الإجابة عن أسئلة العقل، حتى بات هناك اعتقاد بأن المنهج العلمي نفسه قد فشل في تقديم "الحقيقة عن الكون"، ومن ثم اكتسبت النزعات غير العلمية زخماً، ومن جانب آخر كانت هناك معضلة متعلِّقة بكيفية تجنب الغموض التقليدي للأطروحات الفلسفية، وباقي مجالات العلوم الإنسانية.

ولا تندرج أهمية هذا العمل في هذا الإطار فحسب، بل بأهمية المسألة المطروحة من قبل راي، وكذلك النتيجة التي توصَّل إليها بدقة. فقد حاول في كتابه هذا جمع وترتيب آراء الفيزيائيين أو المنطقيين في الفيزياء تجاه "الآلية" (حركة الأجسام والعلاقات فيما بينها)، فتجد لهذا السبب ثلاثة مواقف مختلفة تجاه الميكانيكية للمادة: موقف مناوئ، وثانٍ مجرد نقدي، وأخيراً الموقف الإيجابي.

ويرصد راي في كتابه التحوُّلات الحاسمة في نظرية الفيزياء لدى الفيزيائيين المعاصرين، إذ يشير إلى أنه "قبل خمسين سنة كان يعتقد أن تفسير الطبيعة هو ميكانيكي بحت، لقد افترضنا أن الفيزياء ليست سوى تعقيد للميكانيك، ميكانيكا جزيئية، واليوم يبدو أن الصورة التي قدَّمتها العلوم الفيزيائية قد تغيَّرت بالكامل. حيث يتم استبدال الوحدة العامة بالتنوُّع الشديد، ليس فقط في التفاصيل، ولكن في الأفكار القيادية والأساسية".



كيف تشاهد فِلْماً سينمائياً

تأليف: محمود عبدالشكور

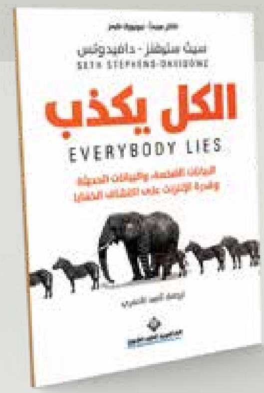
الناشر: دار نهضة مصر، 2018م

يطمح الكاتب الصحافي والناقد محمود عبد الشكور في كتابه "كيف تشاهد فِلْماً سينمائياً" إلى أن يقدِّم إجابات عن "كل أسئلة هواة السينما وعُشَّاقها، بالإضافة إلى الشباب المهتم بصناعة الأفلام". ويشير المؤلِّف إلى أن الفكرة الأساسية التي يدور حولها الكتاب هي أن الفِلْم ليس "حدوتة"، ولكنه "بناء سمعي وبصري مركّب ينقل فكرة ما، من خلال الدراما". ثم يقدِّم عرضه الافتتاحي للقارئ: "سأصطحبك في جولة لاكتشاف السينما، وقصتها، وكيفية صناعة الأفلام، ومكوّنات الفِلْم، وكيف يستطيع المشاهد العادي تفكيك عناصر العمل، وكيف يعيد تركيبها، وما هي معايير تقييم كل عنصر"، عبر أمثلة عديدة من أفلام مصرية وعالمية.

ويشرح المؤلف معنى الدراما بالتفصيل، ومكوّناتها، وما هي القصة والمعالجة والسيناريو والحوار، وطرق السرد المختلفة، ودور المخرج وتوظيفه لعناصر الفِلْم، ويتعمق في شرح تكوين الصورة السينمائية، ودلالات هذه التكوينات، من خلال عدد من الصور.

يقع هذا الكتاب في 250 صفحة موزّعة على ثمانية فصول. ومن البداية يعرض المؤلِّف قواعد مهمة للتعامل مع الفِلْم السينمائي ومن أبرزها ضرورة أن يدرك المشاهد أن الفِلْم، أياً كان نوعه، يعبِّر عن وجهة نظر صانعه ورؤيته للناس والحياة، وعلى المشاهد أن يقدِّر أن الفِلْم إنما هو وجهة نظر المخرج والكاتب يقدِّمانها كما يشاءان، وعليه أن يتلقيها كما تم عرضها سواء اتفق مع رؤيتهما أو اختلف معها، وأن السينما ليست نوعاً واحداً، فهي أنواع متعدِّدة مختلفة، وعلى كل متفرج أن يدرك ويحدِّد نوعيته المفضَّلة، وعليه المضي عميقاً في المشاهدة. فالفِلْم ليس مجرد "قصة" يمكن حكايتها ببساطة، بل هناك عناصر عديدة تؤثر كلها في عملية التلقي، ثم يقدِّم قاعدته الحاسمة اللافتة: "هناك فِلْمان يؤثران عليك في الوقت نفسه أثناء المشاهدة: فِلْم داخلي يتمثل في كل ما يدور في عقلك وأفكارك المسبقة وحالتك النفسية والعاطفية، وفِلْم خارجي هو العمل الذي تشاهده على الشاشة. وكلما نجحت في تقليل أثر الفِلم الداخلي كانت ظروف استقبالك وتذوقك أفضل وأعمق للفِلْم الخارجي".

وإضافة إلى ما تقدَّم، يتناول الكتاب فن التمثيل، وكيف يستطيع المشاهد تقييمه بطريقة صحيحة. ويقدِّم نماذج للطريقة التي يمكن من خلالها قراءة الفِلْم، سواء أكان ذلك عبر تفكيك عنصر واحد وتحليله، أو من خلال تجميع كل العناصر في رؤية نقدية واحدة. وفي نهاية الكتاب يقترح على القارئ ثلاثين عنواناً لكتب قديمة وحديثة حول فن السينما وصناعتها، يمكنها أن تكون نواة لمكتبة سينمائية جيِّدة، بحيث يصبح القارئ في النهاية قادراً على تذوُّق فن السينما، وقراءة الأفلام بشكل أفضل وأعمق، وأكثر إمتاعاً.



الكل يكذب: البيانات الضخمة، البيانات الحديثة وقدرة الإنترنت على اكتشاف الخفايا

تأليف: سيث ستيفنز - دافيدوتس

ترجمة: أحمد الأحمري

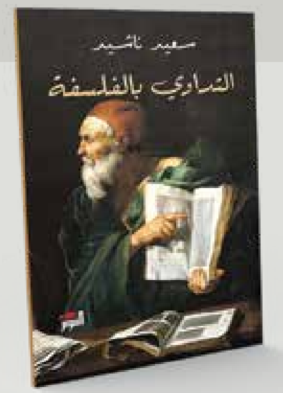
الناشر: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2018م

قد يكذب الأفراد على الأصدقاء والأحباء والأطباء ومستطلعي الآراء وعلى أنفسهم أيضاً. ولكن في اللحظات الساكنة، عندما يكون الأشخاص بمفردهم وهم يقومون بالبحث على الإنترنت في خصوصية منازلهم، من المرجّح أن يكشفوا عن رغباتهم ونواياهم الداخلية الدفينة بصدق أكبر وأوضح. هنا تتمثل الأطروحة الأساسية لهذا الكتاب في أن البيانات عبر الإنترنت حول السلوك البشري، بما في ذلك عمليات البحث على غوغل والبيانات المستمدة من مواقع التواصل الاجتماعي والتسوق ومتابعة المحتويات الأخرى، يمكنها مجتمعة أن تكشف كثيراً عن طريقة التفكير البشرية الفعلية أكثر بكثير مما تظهره البيانات الواردة من الدراسات الاستقصائية وعلم النفس وعلم الأعصاب.

يقول مؤلِّف هذا الكتاب سيث ستيفنز - دافيدوتس، وهو خبير اقتصادي وعالم بيانات سابق في غوغل وكاتب في صحيفة نيويورك تايمز، إن الآراء الفعلية والكمية الكبيرة من البيانات المتعلِّقة بالسلوك البشري عبر الإنترنت ليست فقط "ضخمة" ولكنها "جديدة" أيضاً وغير مسبوقة في التاريخ البشري، مما يعني أن نوع البيانات التي يمكننا الوصول إليها يختلف تماماً عن ما اعتدنا عليه في السابق. فعلى حد تعبير المؤلف، نحن نعيش في عالم يمكن فيه اعتبار كل ما يتم شراؤه عبر الإنترنت وأي تعليق يتم التعبير عنه، وكل نقرة أو التفاتة أو حتى إيماءة عين، هي في الواقع تعبير عن نية البحث، وهذه بيانات نوعية قيِّمة، تعطي مؤشرات إلى كيفية السلوك الفردي التالي.

أما الأداة الأساسية لإجراء تحليل تلك البيانات فهي تحليل الارتباط. حيث يتم النظر في عمليات البحث على الإنترنت ومحاولة إيجاد ارتباطات بين بعض المصطلحات والعوامل مثل الموقع الجغرافي والجنس والعِرْق. وتؤدي تلك التحليلات إلى أطنان من الدراسات المفيدة والمثيرة للاهتمام التي تكشف عن رغبات الإنسان وسلوكه عبر مجموعة واسعة من المجالات، بما في ذلك الترفيه والرياضة والتعليم والتسوق وغيرها.

ومن الأمثلة على الفوائد الكبيرة لتلك الدراسات، يذكر الكاتب أنه عندما تشير البيانات إلى وجود فجوات في التحصيل التعليمي في أجزاء مختلفة من بلد معيَّن، يؤدي ذلك إلى تسهيل عملية تصحيح السياسات التعليمية العامة، كما تسهّل بعض الدراسات الأخرى تتبع انتشار الأنفلونزا وغيرها من الأمراض والأوبئة. ويضيف أنه في بعض الأحيان يكون إيجاد الارتباطات أمراً مربحاً مالياً. فهناك قصة حول كيف وجد أحد خبراء الخيول أن الفوز في سباقات الخيل يبدو مرتبطاً بعامل واحد أكثر من أي عامل آخر: حجم البطين الأيسر. كما أنه ليس هناك من شك في أن الشركات المالية والمتاجر الكبرى والصحف والمستشفيات وكل جهات البيع على الإنترنت، من تلك التي تبيع المواد التعليمية إلى الفول السوداني، سوف تراقب هذه البيانات عن كثب لتحقيق أقصى قدر من الوصول إلى الجمهور المستهدف وبالتالي الأرباح.



التداوي بالفلسفة

تأليف: سعيد ناشيد

الناشر: دار التنوير، 2018م

يحاول المؤلِّف المفكِّر المغربي سعيد ناشيد في هذا الكتاب إخراج الفلسفة من الطابع التقني والنظري الذي انحصر فيه تدريسها، مما أفقدها القدرة على تعليم الحياة، وجعلها مجرد فرصة لكي يتباهى من يتعلَّمها أنه يتكلم عن الفلاسفة أو يتكلم مثلهم. فقد أسهم تدريس الفلسفة اليوم في نسيان ثلاثة مفاهيم أساسية فيها، وهي: الحكمة، والتأمل، والتفلسف، وهي المفاهيم الأكثر أصالة في تاريخ الفلسفة، وقد أدى نسيانها إلى إغفال حقيقة أن الخبرة الحياتية الذاتية تظل العنصر الأهم التي تدور حوله الفلسفة.

وفي تعريفه للحياة البسيطة يقول المؤلف إنه إذا ما استحضرنا كل ما قاله فلاسفة فن العيش، من أمثال أفلاطون، وزينون الرواقي، وأبيقور، وديوجين، وشيشرون، وسينيكيا الأصغر، وجلال الدين الرومي، وفونتين، ونيتشه، وشوبنهاور.. إلخ، فسنجد أن مقومات الحياة البسيطة تعتمد على خمس قواعد أساسية: أولاً، حياة بأقل ما يمكن من الشقاء والألم والأوهام. ثانياً، التصالح مع القدر. ثالثاً، العيش كما يكون عليه المرء وليس كما يريده الآخرون. ورابعاً، صدق المشاعر والانفعالات والبُعد عن الزيف. وخامساً، وأخيراً، صنع المتعة بأقل الأشياء، وهنا يمكن استحضار ما قاله سقراط بأن "سر السعادة كما ترى لا يتم في السعي إلى مزيد ولكن في تنميـة القدرة على التمتع بأقل".

ولكن ما هي بالتحديد علاقة الفلسفة بالحياة البسيطـة وبالتالي تحقيق السعادة؟

يجيب الكاتب أن الفلسفة تنمِّي فينا القدرة على التفكير وترتبط مباشرة بالقدرة على الحياة، لأننا كما نفكِّر نكون. وعندما نفكِّر بطريقة جيِّدة نستطيع أن نعيش بطريقة جيِّدة أيضاً. إن إعمال الفكر يؤدي إلى الفهم العميق للنفس الإنسانية مما يساعد في مواجهة صعوبات الحياة من قبيل الفشل والإحباط والمرض والألم والطلاق والموت، وذلك وفقاً لطريقة التفكير في تلك الصعوبات والنظرة إليها. كما أن الفلسفة بمفهومها الفعلي الأساسي تساعد على تقليص مجال الأوهام، لأن العيش في الأوهام يفقدنا القدرة على الحياة. وكل ذلك يساعد في تحسين نوعية الحياة وتقليص دائرة الشقاء. ومما يزيد من منسوب السعادة أن التفكير الفلسفي الصحيح يعطينا القدرة على العيش المشترك وتحقيق السلام بين الإنسان وأخيه الإنسان.

من هنا يؤكد الكاتب على وظيفة الفلسفة كوسيلة للتداوي لا سيما لكل من يعيش الحياة في ظروف شديدة القسوة، ومن بينهم هو نفسه، خاصة وأنه أشار إلى توجيه الكتاب إلى نفسه قبل توجيهه إلى القُرَّاء، حين قال: "هذا الكتاب قبل أن يكون كتابي، هو كتاب لي كتبته لنفسي أولاً".

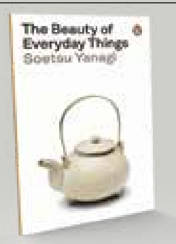


لماذا نتعلَّم التاريخ (عندما يكون على هاتفك بالفعل)

Why Learn History (When It's Already on Your Phone) by Sam Wineburg
تأليف: سام وينبرغ
الناشر: University of Chicago Press, 2018

هناك حقيقتان في عصرنا الحديث: أولاً، أننا محاطون بمعلومات متاحة بسهولة أكثر من أي وقت مضى؛ وثانياً، أن نسبة كبيرة منها غير دقيقة على الإطلاق، على الرغم من أن بعضها قد يكون كذلك عن حُسن نية وبعضها الآخر خطأ عمداً. فمع وجود الإنترنت الدائم في متناول اليد، ما هي فائدة أستاذ التاريخ؟ لدى المؤلف سام وينبرغ إجابة عن هذا السؤال، حيث يقول إنه بدايةً لا يمكننا الالتزام بطريقة التعليم القديمة نفسها التي تنص على قراءة الفصل والإجابة عن الأسئلة في آخره، التي أخضعنا لها الطلاب لعقود من الزمن. فإذا ما أردنا اليوم أن نعلِّم الطلاب الذين يمكنهم الاطلاع على المعلومات من حولهم وفصل ما هو حقيقي عمّا هو مزيَّف، فعلينا أن نعمل بصراحة على منحهم أدوات التفكير النقدي الضرورية.

ويتابع وينبرغ ليوضِّح أن التفكير التاريخي لا علاقة له بالنمط التقليدي في التعليم الذي يتطلَّب حفظ المعلومات، وإنما بدلاً من ذلك، يجب أن يعتمد على توجه عام يمكننا أن ننميه، يشجِّع على التشكيك المنطقي ويخفف من نزعتنا إلى التسرع كما يقاوم ميلنا إلى تأكيد تحيزاتنا. ويعتمد وينبرغ على الاكتشافات المثيرة لمجموعة من الأبحاث والتجارب، بما في ذلك استطلاعات الطلاب والمحاولات الأخيرة لتحديث مناهج التاريخ وتحليل كيفية قيام المؤرخين والطلاب، بل وحتى المدقِّقين بمصادر المعلومات عبر الإنترنت، برسم صورة مليئة بالألغام والمطبات المعلوماتية الخطيرة. ولكننا مع الاهتمام والوعي الكافيين، يمكننا جميعاً أن نتعلَّم كيفية تجنبها والسير بأمان بينها.

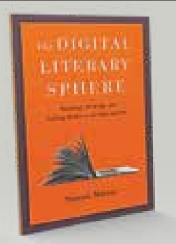


جمال الأشياء في الحياة اليومية

The Beauty of Everyday Things by Soetsu Yanagi, Translated by Michael Brase
تأليف: سوتسو ياناجي
الناشر: Penguin Classics, 2019

تزخر الحياة اليومية للناس العاديين بالأشياء والأدوات المستخدمة في الإعدادات الشائعة. وبعض هذه الأشياء ترافقهم بشكل دائم في حياتهم. فما مدى الأهمية التي يجب أن نعلّقها على صناعة هذه الأدوات؟ هذا ما يبحثه سوتسو ياناجي (1889 - 1961م)، الذي كان فيلسوفاً ومؤرِّخاً فنياً متخصصاً في الحِرَف الشعبية اليابانية الأصلية. يشدِّد ياناجي على أهمية أن تكون هذه الأشياء مصنوعة بعناية، ومركّبة بإتقان. وبالتالي، يجب أن تعامل باحترام وحتى بشيء من العاطفة. كما عليها أن تكون طبيعية وبسيطة وقوية وآمنة، وأن تكون النتيجة الجمالية ذات وظيفة تلبِّي الاحتياجات النفعية بكل إخلاص. باختصار، يجب أن تكون أشياءً من الجمال العملي.

وفي عصر الاستهلاك السريع والأشياء سيئة الصنع بسبب التركيز على طابعها الوظيفي دون غيره، تدعونا المقالات المتضمِّنة في هذا الكتاب إلى تعميق علاقتنا بالأشياء البسيطة التي تحيط بنا. كما تدعونا للاحتفاء بأعمال الحرفيين البسيطين الذين قابلهم ياناجي خلال رحلاته طوال حياته عبر اليابان وكوريا. فهذا الكتاب يدافع عن أشياء متواضعة، وصادقة، ومصنوعة يدوياً، من أكواب الشاي التقليدية إلى الجرار والقماش والورق، ويكشف عن مفهوم خاص ومميّز لقيمة هذه الأشياء التي تحيط بنا، يختلف تماماً عن المفهوم الشائع الذي يتصف بشيء من اللامبالاة حيالها.



المجال الأدبي الرقمي: قراءة وكتابة وبيع الكتب في عصر الإنترنت

The Digital Literary Sphere: Reading, Writing, and Selling Books in the Internet Era by Simone Murray
تأليف: سيمون موراي
الناشر: JHUP, 2018

ثَمَّة مبالغة في التقارير المتداولة عن احتضار الكتاب. فالكتاب آخذ في الازدهار في عصر الإنترنت، حيث تُناقش الكتب وتتم مراجعتها على نطاق واسع في منتديات القراء عبر الإنترنت، ويتم نشرها من خلال عروض الكتب المختصرة والمدونات الخاصة بالمؤلِّفين. لكن خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية، غيرت منصات الإعلام الرقمية ثقافة الكتب بشكل لا يمكن إنكاره، فمنذ تأسيس شركة أمازون في عام 1994م، تغيّرت بشكل كامل الطريقة التي يتم بها إصدار الكتب وتسويقها ونشرها وبيعها ومراجعتها وعرضها وقراءتها والتعليق عليها. ولم يعد المجال الأدبي الرقمي مجرد ملحق بعالم الطباعة، بل أصبح المكان الذي تُصنع فيه الشهرة، وتولد فيه الحركات الأدبية. وبالاعتماد على مقاربات الدراسات الأدبية والإعلامية والدراسات الثقافية وتاريخ الكتاب والسياسة الثقافية والعلوم الإنسانية الرقمية، تساءل سيمون موراي في هذا الكتاب: ما هي أهمية تواصل المؤلِّفين المباشر مع القرَّاء عبر وسائل التواصل الاجتماعي؟ كيف تسهم وسائل الإعلام الرقمية باللقاءات الحية بين المؤلفين والقرّاء؟ وهل يشير الجيش المتنامي من القرّاء والمراجعين إلى نمو التعددية في الثقافة الأدبية أو تفتيت السلطة الثقافية؟ وباستكشاف الأجوبة عن هذه الأسئلة، تسلّط موراي الضوء على التغيرات المفاجئة في صناعة الكتاب، وتتحقق من التعايش المعقّد بين الكتب والوسائط الرقمية المعاصرة.



باريس في أغانٍ

Paris en chansons
by Stéphane Hirschi , Pierre Nicou
تأليف: ستيفان هيرشي، بيير نيكو
الناشر: Charles Massin, 2018

يأخذنا هذا الكتاب في رحلة عبر شوارع باريس ومعالمها وآثارها من خلال أغنيات تغنَّت بها وبسحرها وهوائها ونكهتها الثقافية الرومانسية الخاصة. وفيه يعمل المؤلِّف ستيفان هيرشي، الأستاذ في دراسة الأغاني في جامعة فالنسيان الفرنسية، كدليل سياحي بطريقة غير معتادة في المتنزهات والشوارع والميادين والجادات الفرنسية. ويتساءل عن الروابط التي تربطها بأصحاب أغنيات تحدَّثت عنها لعدد من أهم المغنين، مثل بريل وداهو وبراسينز وغاينسبورغ وجو داسان وإيف مونتون وشارل ترينيه وداليدا. فمن الأمس إلى اليوم، نسمع صدى الأماكن السياحية ومساحات من الذاكرة في حي مونمارتر السياحي الشهير وحي مونتبارناس وجامعة السوربون العريقة وساحة فاندوم في باريس، كما تتألّق الأولمبيا بسحرها الفريد وكذلك نهر السين ملهم الفنَّانين وحاضن أسرارهم.

يأتي هذا الكتاب بعد سنة من العمل المتواصل، ويتضمَّن مجموعة من الصور للمصور بيير نيكو، ويعرض لأغنيات 46 مغنياً بارزاً غنوا لباريس في النصف الثاني من القرن العشرين، ليرسخ في الذاكرة أبرز الأماكن فيها، وليحاول إعادة تصوير تاريخ باريس في تلك الفترة من الزمن بالغوص في كلمات تلك الأغاني واستشراف معانيها الحقيقية بكل دلالاتها. ويؤكد المؤلف أن هذه الأغاني تتضمّن دلالات تاريخية وأنثروبولوجية قد تكون بنفس أهمية الإنتاج الأدبي الغني الذي تحدَّث عن باريس في الشعر والنثر.



مجموعة قصص ماتشادو دي أسيس

The Collected Stories of Machado de Assis by Joaquim Maria Machado de Assis

تأليف: جوكيم ماريا ماتشادو دي أسيس

ترجمة: مارغريت جول كوستا، روبن باترسون

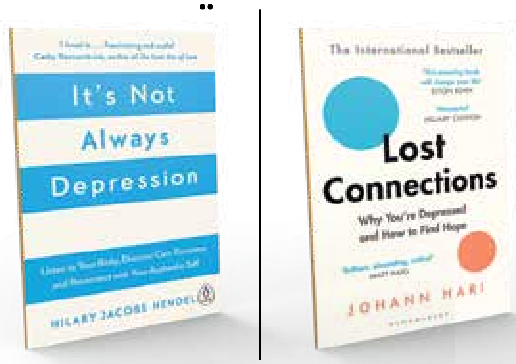
الناشر: Liveright, 2018

عرف ماتشادو دي أسيس على نطاق واسع بأنه رائد الأدب الخيالي في أمريكا اللاتينية في القرن العشرين، وكان يحتفى به في حياته كأعظم كاتب في البرازيل.

ولد ماتشادو في إحدى الضواحي المتواضعة لمدينة ريو دي جانيرو، ولكنه على الرغم من خلفيته الفقيرة أبدى اهتماماً دائماً بالكتب واللغات، وأصبح شخصية فكرية معروفة في عاصمة البرازيل في أوائل العشرينيات من عمره. وكان إنتاجه الضخم من الروايات والمسرحيات والقصص ينافس الكُتَّاب العظماء في العالم وقتئذ مثل تشيخوف وفلوبير وموباسان. ولكن أعماله لم تترجم إلى اللغة الإنجليزية حتى عام 1963م. وعلى الرغم من ذلك، وحتى اليوم، لم يأخذ حقه الكامل من الاعتراف والتقدير اللذين يستحقهما. ولذلك قام المترجمان مارغريت جول كوستا وروبن باترسون بجمع مجموعات ماتشادو السبع للقصص القصيرة المنشورة في حياته من عام 1870م إلى عام 1906م في مجلد واحد يضم ستاً وسبعين قصة تتميز جميعها بتقنياته السردية الجريئة، ونقده المتهكم الرصين على غرار أسلوب توماس هاردي وهنري جيمس. لكن أكثر ما يميِّز أسلوبه هو أنه يعلق أهمية كبيرة على القارئ، إذ لطالما كان يعتقد أن صفحة الغلاف في أي كتاب يجب أن تحمل اسمي كل من المؤلف والقارئ بما أنهما يتشاركان أبوته. وهو الذي يقول عن نفسه بأنه يلتقط هوس حياة الآخرين، ويكتب ليقول: "لا توجد أسرار لمؤلف يمكنه تفحص كل زاوية وركن من قلب الإنسان".

مقارنة بين كتابين

معضلة الاكتئاب: قد لا تكون العقاقير دائماً هي الحل



(1) العلاقات المفقودة: كشف الأسباب الحقيقية للاكتئاب

تأليف: جوهان هاري

الناشر: Bloomsbury USA, 2018

Lost Connections: Uncovering the Real Causes of Depression by Johann Hari

(2) ليس هو اكتئاب دائماً

تأليف: هيلاري جاكوبس هيندل

الناشر: Spiegel & Grau, 2018

It's Not Always Depression by Hilary Jacobs Hendel

ما الذي يسبِّب الاكتئاب فعلاً، وكيف يمكننا معالجته؟

عانى مؤلف كتاب "العلاقات المفقودة: كشف الأسباب الحقيقية للاكتئاب، والحلول غير المتوقعة"، الصحافي يوهان هاري من الاكتئاب منذ أن كان طفلاً، وبدأ تناول مضادات الاكتئاب في سن المراهقة. وقد أخبره الأطباء وقتها بأنَّ مشكلته ناجمة عن اختلال في التوازن الكيميائي في دماغه، وأن عليه تناول العقاقير من أجل تصحيح هذا العيب الذي أصابه. وهكذا استمر في تناول تلك المضادات مع تعديل لجرعاتها حسب ظهور العوارض واختلاف حدّتها، إلى أن أصبح في الحادية والثلاثين من عمره عندما قرر إيقاف كل العقاقير واعتماد منهج مختلف. ولهذه الغاية، قرر القيام برحلة بحث طويلة أخذته إلى مختلف أنحاء العالم، قابل فيها علماء اجتماع نظروا في مشكلة الاكتئاب في مجتمعات متنوِّعة وتحدث إلى المئات من مرضى الاكتئاب (بما في ذلك أولئك الذين تعافوا منه تماماً)، ليقدِّم نظرية تتحدّى بشكل مباشر المعتقدات القديمة حول أسباب الاكتئاب والعلاجات الموصوفة له.

توصل الكاتب إلى أدلة على أن الشعور بالاكتئاب لا ينتج عن خلل جوهري بيولوجي منفصل عن السياق الاجتماعي، بل عن المشكلات الرئيسة في الطريقة التي نعيش بها اليوم، والتي تشمل الانفصال عن العمل والمجتمع والقيم والطبيعة والخوف من المستقبل. وهذه العوامل تتناقض بشكل مباشر مع فرضية الخلل الكيميائي المتصلبة في المجتمع الطبي المعاصر. ولكن الكاتب يتخطى تحديد أسباب الاكتئاب للإشارة إلى بعض التجارب العالمية التي تقدِّم حلولاً عملية للاكتئاب، من مشروع سكني في برلين إلى سلسلة من التجارب العقلية في بالتيمور لإعادة اكتشاف ما يعده منافع "مضادات الاكتئاب الطبيعية" التي تعتمد على العمل الهادف والتفاعل الاجتماعي ونكران الذات.

وتتفق المعالِجة النفسية هيلاري جاكوبس هيندل مع رأي جوهان هاري بأن الاكتئاب لا علاقة له بأي خلل كيميائي بيولوجي في الدماغ. إذ تشير في كتابها الجديد، "ليس هو اكتئاب دائماً: العمل بمثلث التغيير للاستماع إلى الجسد، اكتشاف العواطف الأساسية، والتواصل مع الذات الحقيقية"، إلى أن الاكتئاب هو فقدان الذات الحقيقية الذي لا يمنعنا فقط من معرفة ما نريده حقاً من الحياة، ولكن من معرفة كيفية الحصول عليه. وتضيف أن جذور المشكلات النفسية تعود إلى التنشئة الأساسية، حيث إن "مدى محبتنا وقبولنا من قبل الآخرين يرتبط بشكل مباشر بالمقدار الذي نحب فيه أنفسنا".

تقدِّم هيندل، أداة فريدة وعملية تسميها "مثلث التغيير" لمواجهة الاكتئاب. ويمثل "مثلث التغيير" هذا خارطة تعمل كدليل لحملنا من مكان الانفصال عن النفس إلى ذاتنا الحقيقية، وذلك بطريقة تدريجية تدخل في صلب العلاج النفسي الديناميكي التجريبي المعجل (AEDP)، الذي يعلم المرضى تحديد الدفاعات والعواطف المثبطة (العار والقلق والشعور بالذنب) التي تمنعهم من الاتصال مع مشاعرهم الأساسية (الفرح والغضب والحزن والخوف والإثارة). وفي السماح لأنفسنا تجربة الانفعالات الأساسية بشكل كامل، ونتجه نحو حالة نفسية منفتحة، حيث نكون هادئين وفضوليين ومترابطين ومتعاطفين وواثقين وشجعان وواضحين.

وكتبت هيندل أن الشفاء ليس شيئاً يحدث فقط عندما نبحث عن العلاج، بل هو دافع إنساني فطري من أجل التصحيح الذاتي. ومن خلال قصص واقعية ومقنعة لعمل مثلث التغيير مع مرضاها، تعلِّمنا هيندل كيفية تطبيق مبادئ مثلث التغيير على حياتنا اليومية.

ومع تحديد أسباب الاكتئاب الفعلية والطرق المختلفة التي يطرحها هذان الكتابان لمعالجة الاكتئاب أو "الكلب الأسود"، كما سماه ونستون تشيرشل عندما كان يتحدث عن نوبات الاكتئاب التي كان يعاني منها، يمكننا القول إن علاج الاكتئاب قد لا يكون دوماً بالعقاقير، إذ هناك وسائل وعلاجات أخرى أكثر إفادة واستدامة وأقل ضرراً.



قول في مقال

العمل في اليوم الماطر

عبدالعزيز الزهراني

لكأنها قطرات المطر، الكلمات الحاكية عن المطر، المحاكية للمطر. لا تدري من أين تجيء، ولا أين تقع. كل كلمة تلحق أختها، كل حرف يتلو أخاه، رذاذ، ورشَاش، وهطل، ومزن، وودق، وغيث، وسيل من البهجة والفرح، وثجّ من الكلمات والتواصيف الغارقة في بحر اللغة، وتداوة التشابيه.

من ذَا لا يحبّ المطر؟

من ذَا لا يودّ أن تمطر؟ أن يتبلل طير، ويخضرّ غصن، وتزهو يمامة، وتميس وردة؟

من ذا لا يحبّ أن تهتز الأرض وتربو، وترقص طفلة وتثغو؟

كلنا مدينون للمطر بوقت أفراحنا، وذكريات الطفولة التي لا يقدر على طمرها غبار.

أمطري حيث شئتِ، سيأتينا فرحك. هذا ما يقوله الكبار والصغار، لليوم الغائم، منسك الفرحين، وشعيرة المبتهجين، ذاك الذي رأى شاعر فرنسا الكبير جاك بريفير، حُرمةً "أن يُهدى إلى ربّ عمل"، وأن التسكّع فيه أولى.

كان سيد البشرية، محمد -صلى الله عليه وسلم-، يوم المطر، يضع عنه أواصر القيادة، وكلل الأمر والنهي والتوجيه، يخلع رداءه، ويخرج حاسر الصدر والرأس، يبصره الأطفال بألفة المعتاد، لكن الكبار يدهشون بملمح الإكبار، فيجيبهم -عليه السلام-: "حديث عهد بربه".

وليس البشر وحدهم، من تغير طِباعهم سحابة عابرة قررت إمطاراً لفجأةٍ، بل ترى الجبال المهيبة، هامدة، يعلوها الجفاف، ويشقّق ملامحها الغبار، وتكسوها الوحشة، فإذا أمطرت، حسبت الجبل الشامخ حضناً كبيراً، يخاصر المدينة. أباً رؤوماً، مبلل اللحية والرأس، يضع كفه على كتف ليالي الحارات القريبة. ولكأنها أيام يسيرة، وإذ تلك الشقوق المغبرة، مملوءة أزاهير، وفراشات، واخضراراً عجيباً.

وليس هذا حكر الفرحين، وذوي البهجة الحالمين فحسب، بل لو صادفتك ضرّاء أو خالطتك بأساء، وجعلتك شاكياً باكياً، غياب قريب أو هجر حبيب، أو لوّعتك الحياة أمراً من مكر الليالي وصروف الأيام، ففي المطر لك مؤنس، وفي الغيم لك عزاء. تكفهرّ السماء معك، تغيم وتدمع، تختلط دموعك بالمطر، فلا يستنكر أحدٌ مرآك، ولا يعرف أيكما الباكي الشاكي، أنت البائس، أم السماء المؤازرة بكاك. كل شيء يبكي الليلة، وفي الصباح، قد يغسل المطر أحزانك فيما غسل.

كل مطر، هو ذكرى. كل مطر حكاية. في اليوم الماطر، أذكر ابتسامات جدي الراحل، الوقور الذي لا يكاد يضحك إلا نزراً، بعدما أرته الدنيا ما أرته دهراً. أذكر أي بهجة تصيب ذكريات العطش، في قلب الرجل الذي كانت القافلة تقطع به الفيافي أياماً وليالي، فلا يكاد يجد قطرة. أذكر بهجة عامل الحي المعتاد على الأمطار والإمطار في بلاده، حتى إذا جاء، لم يكد يرى في السماء غمامة، ولا ما يُظلّل يمامة، وفجأة، إذ بها تهطل، ومن فمه تتدفّق الكلمات، بلغته التي أفقه، وبفرحه الذي أفقه ويفقه جدّي كثيراً.

هذا الطريق الذي أسلك كل يوم، تسوط ظهره العربات، وتحزّ ملامحه الأقدام، يغدو لامعاً، بهيجاً متنهداً مع كل ضوضاء إطار يعبره آن المطر. لكأنه يغسل عنه حزن الليالي، لكأنه يمسح عنه كآبة النهارات، لكأنه يستطيل، لكأنه يحيّي العابرين فرداً فرداً، لكأنه يقول للسحابة العابرة: أمطري حيث شئتِ، ففي الأرض أخوة لي، عذّبتهم الجفافات، والطرقات التي لا توصل نحو شيء.

مطر، مطر، وتهطل الكلمات، حتى لا تكاد تتوقف. كلمةً كلمة، وقطرةً قطرة، احملوا مظلّاتكم، أو دعوها، بائس من لم يبلّله يوماً مطر.

شاركنا رأيك
Qafilah.com
@QafilahMagazine



ولادة علم جديد..

اقتصاد المناخ

نقلت الثورة الصناعية حياة معظم السكان من الفقر والعوز والمرض، إلى حياة الرفاهية والبحبوحة والعمر المديد، ذلك بفعل القيمة المضافة التي أدخلتها الآلة إلى عملية الإنتاج الذي تطور بدوره بفعل العلم والابتكار إلى ثرواتٍ خيالية. لكن ثمن ذلك كان باهظاً جداً لم يلحظه الاقتصاد: الخطر البيئي الوجودي. واقتصاد المناخ، الذي هو قيد التبلور، يهدف بواسطة العلم والابتكار من جديد، إلى التوفيق بين التقدُّم الاقتصادي والحفاظ على البيئة.

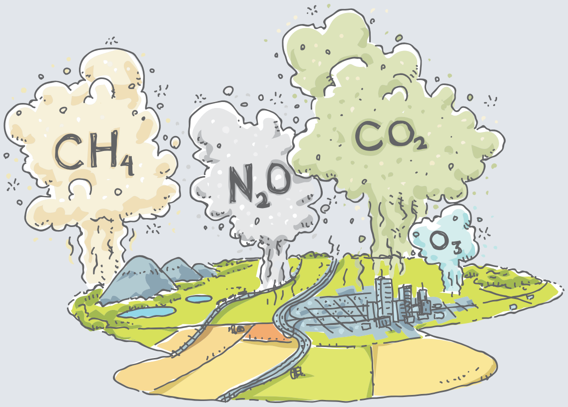
طارق شاتيلد

مع انطلاق الثورة الصناعية، نشأت ظاهرتان أساسيتان: الأولى هي أن السوق أصبح محور النشاط الاقتصادي ومعظم النشاطات الأخرى كذلك. والثانية هي أن الاعتماد الكثيف على الفحم الحجري كمصدر أساسي للطاقة، هيأ الظروف للدخول إلى ما يسميه بعض العلماء عصر هيمنة الإنسان على الطبيعة.
تطلَّب توسع السوق وتنوُّع الإنتاج وتبادل السلع المصنعة على نطاقٍ واسعٍ، علم اقتصادٍ يحلل وينظم ذلك. ويعبِّر عن ذلك ما حصلَ خلال انطلاقة الثورة الصناعية عندما اجتمع وزير المالية الفرنسي بمجموعة من كبار رجال الأعمال وسألهم: "أيها السادة، كيف يمكن للحكومة الفرنسية مساعدتكم؟"، أجابه الحاضرون بالجملة الشهيرة "laissez faire"، دعه يعمل، أي "لا تتدخلوا في شؤوننا".
بعد ذلك بفترة، شرح آدم سميث هذا المنطق الذي كان معمولاً به، في كتابه الكلاسيكي الشهير "ثروة الأمم"، 1766م داعياً الحكومات إلى عدم التدخل في الاقتصاد بأي شكل، لأنها تعيق الكفاءة والإنتاج من دون مبرر. وأشار إلى أن قوى العرض والطلب تجعل السوق ينظِّم نفسه بنفسه، وأن مستويات الأسعار والأجور والعمال تعدل نفسها تلقائياً عن طريق هذه "اليد الخفية".

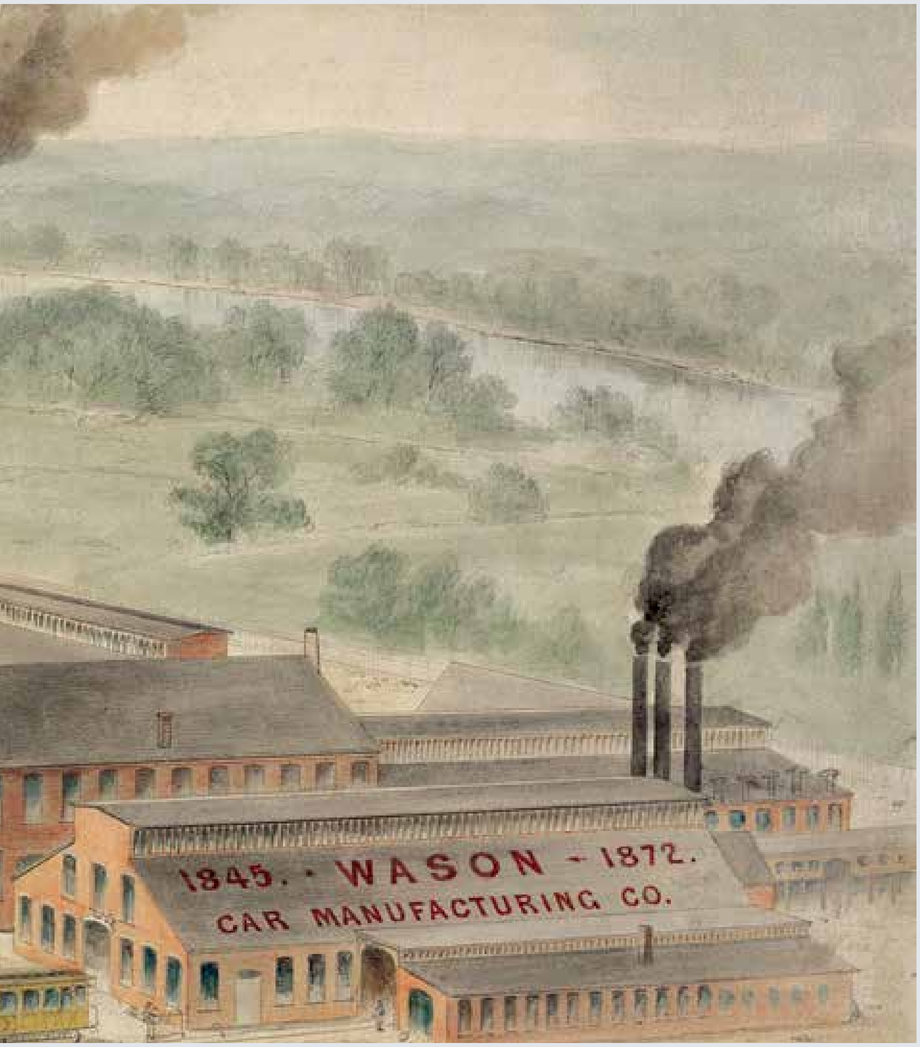
الأضرار البيئية خارج الحسابات الاقتصادية

منذ ذلك الحين وحتى الربع الأخير من القرن العشرين لم يُعر أحد من أصحاب القرار أيّ اهتمام لتأثير التغيرات المناخية على الاقتصاد. لكن تزايد الكوارث الطبيعية الناتجة عنها، واعتبار أن الإنسان وأعماله هي المسؤولة إلى حد كبير عن ذلك، فرضت قناعةً بأن هناك أضراراً يجب أن يتم حسابها في أبواب تكلفة الإنتاج. لكن هذه المتغيرات هي جديدة نسبياً على علم الاقتصاد، لم تلحظها النظريات والنماذج التقليدية الراسخة منذ قرنين ونصف القرن.
فعلى صعيد الاقتصاد الجزئي المتعلق بخيارات المنتجين والمستهلكين إزاء التوازن بين موارد محدودة وحاجات متعاظمة، لا يستطيع اقتصاد السوق القائم على مبدأ المنافسة الحرة واليد الخفية أن يفرض، على المتبارين الاقتصاديين ورجال الأعمال، الأخذ بعين الاعتبار هذا الضرر.
فللتمكن من المنافسة في السوق والبقاء والاستمرار، يضطر المنتج الفرد أو الشركة والمؤسسة، أن يتغاضى عن هذه التكلفة الإضافية غير الملموسة بالنسبة له عند اتخاذ قراره المرتكز على معادلة التكلفة مقابل الفائدة. أما هَمُّ المستهلك الأساسي فهو تحقيق أقصى قدر من الإشباع بما يملك من موارد، ولا تعنيه هذه التكلفة الإضافية المتضمَّنة افتراضياً في تكلفة السلعة أو الخدمة.
أما على صعيد الاقتصاد الكلي المتعلق بالتراكم العام للنشاطات الاقتصادية وخياراتها، فإن إطلاق غازات الدفيئة في الغلاف الجوي، يمثل عوامل سلبيةً من خارج الدورة الاقتصادية للبلد المعني، ومن ثم لا ينعكس ذلك في حسابات الناتج المحلي الإجمالي، في كافة الدول.
إن البحث عن معادلات أخرى تجعل آليات اقتصاد السوق لا تتعارض مع تدابير الحد من الإضرار بالبيئة، هو ما يرنو إليه اقتصاد المناخ.

تنطلق نظرية اقتصاد المناخ من فرضية أن اقتصاد السوق يمكن أن يتفاعل مع الطبيعة والمعرفة دون أن يتكبّد أية خسائر أو يسبب أضراراً بيئية.



تمثل الغازات الدفيئة في الغلاف الجوي، عوامل سلبيةً من خارج الدورة الاقتصادية، لا تنعكس في حسابات الناتج المحلي الإجمالي في كافة الدول



التلوث الناتج عن الفحم الحجري، منذ بداية الثورة الصناعية وحتى اليوم يشكل أكثر من 70% من تراكم الانبعاثات

إعادة تفكير

بدأت تظهر التحليلات الاقتصادية بهذا الخصوص في أواخر سبعينيات القرن العشرين. فحلل اقتصاديون مثل إرنست شوماخر ومارتن فايتسمان وغيرهما تكاليف الإضرار بالبيئة، وكيف أن كثيراً من الفوائد التي عرفناها منذ الثورة الصناعية جاءت على حساب البيئة. وظهرت في عام 1989م أول مطبوعة تحت عنوان "مخطط الاقتصاد الأخضر"، وكانت الخطوة الأولى التي دفعت الأمم المتحدة إلى إنشاء أول منظمة تابعة للأمم المتحدة وتعنى بشؤون البيئة عام 1992م.

وأعطيت جائزة نوبل 2018م "لهذه القضايا الأساسية والمُلِحَّة" للاقتصاديَّين الأمريكيين وليام نوردهاوس وبول رومر اللذين شرحا كيف يمكن لاقتصاد السوق أن يتفاعل مع الطبيعة والمعرفة من دون أن يتكبد أية خسائر. وأن علماً جديداً للاقتصاد، تدخل فيه حقول أخرى كالفيزياء والكيمياء والعلوم القانونية، يسمى علم اقتصاد المناخ، قد آن أوانه.

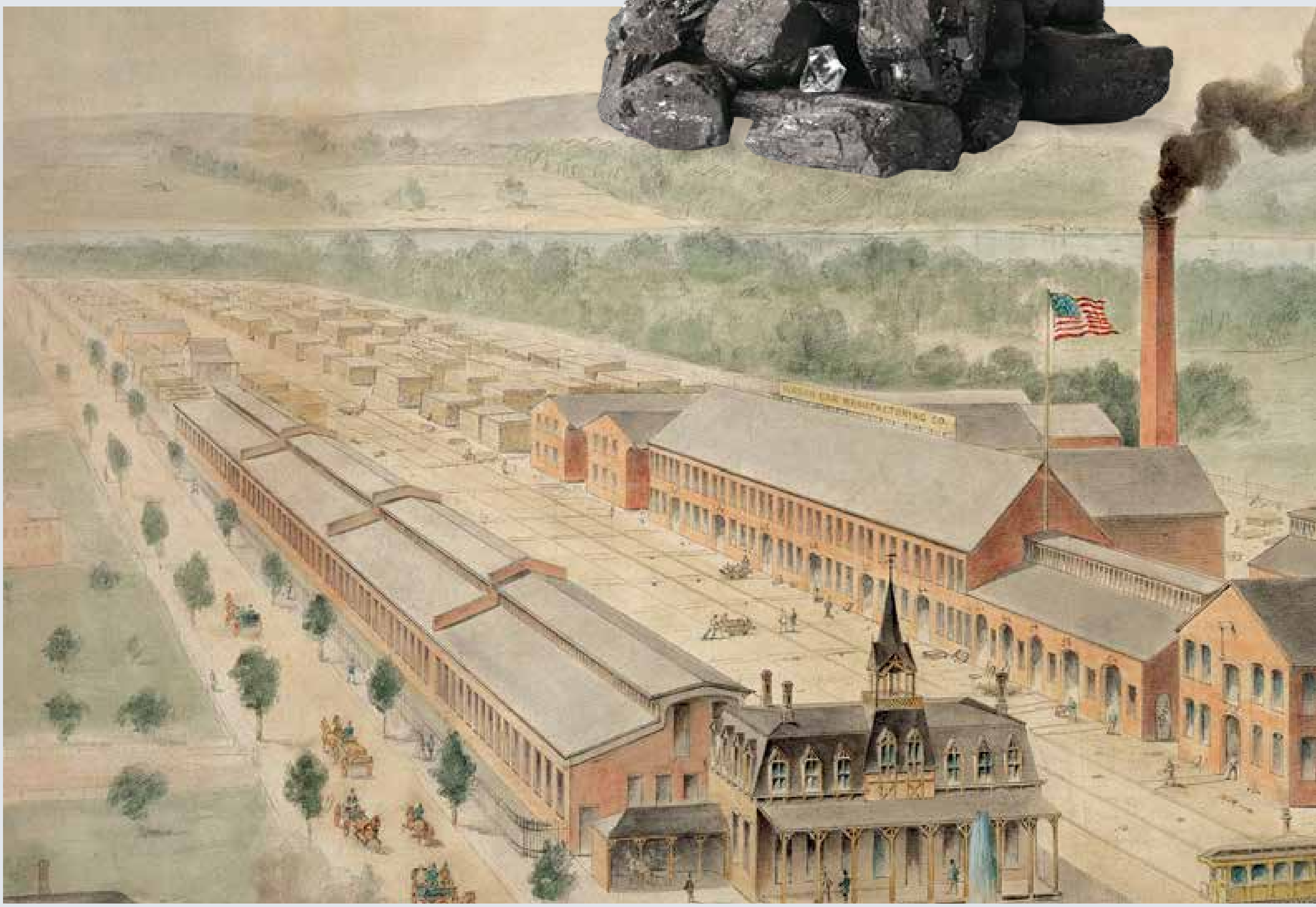
تغير المناخ وتأثيراته

هناك إجماع بين معظم العلماء حول العالم، أن هناك أدلة علمية حاسمةً تشير إلى تغيرات مناخية عالمية خطيرة تهدد الحياة على الأرض وتتطلب استجابةً عالمية مُلِحَة. والجانب الأخطر في تغير المناخ هو مسألة تراكم الانبعاثات منذ قرنين ونيف. إذ إنّ حجم هذا التراكم، مهما اتُخذ من تدابير حالياً لا ينقص، وتأثيره سيبقى إلى آلاف السنين، هذا مع الأمل أن يتوصل العلم إلى طريقة تعالج ذلك.

والجدير بالذكر أن التلوث الناتج عن الفحم الحجري، منذ بداية الثورة الصناعية وحتى اليوم (حالياً 42% من الانبعاثات هي من الفحم الحجري وحده) يشكِّل أكثر من 70% من هذا التراكم.

وإذا لم يتم اتخاذ أي إجراء لخفض الانبعاثات، فإن تركيز غازات الدفيئة في الغلاف الجوي يمكن أن يصل إلى ضعف مستواه قبل الثورة الصناعية في عام 2035م، أي إلى ارتفاع في درجات الحرارة العالمية بأكثر من درجتين مئويتين. وسيكون هذا الارتفاع خطيراً للغاية، وهو ما يعادل التغير الذي حصل في متوسط درجات الحرارة من العصر الجليدي الأخير إلى اليوم.





وقد أصدرت "اللجنة الدولية للتغيرات المناخية" التابعة للأمم المتحدة، في أكتوبر 2018م، تقريراً شديد اللهجة، حذَّر من سيناريوهاتٍ كارثيةٍ على الإنسان والحياة. ولدينا فقط، كما يقول التقرير، "12 سنة منذ الآن، لاتخاذ إجراءات جذرية لخفض خطر الحرارة الشديدة والجفاف والفيضانات والفقر، أو نكون قد عبرنا نقطة اللاعودة".

تغيير الجغرافيا الاقتصادية

سيؤدي هذا التغير المناخي إلى تغيرٍ في الجغرافيا الاقتصادية للعالم، التي بدورها ستؤدي حتماً إلى تغييرات كبيرة في الجغرافيا البشرية تتعلق بمسألة أين يمكن أن يسكن الناس وكيف يعيشون حياتهم. وستحصل هجرات كبيرة لم نعرفها من قبل.

ما يزيد المشكلة وطأة، هو أن بعض قطاعات الاقتصاد التي هي عرضةٌ لآثار التغير المناخي كالزراعة والغابات وصيد الأسماك، والعقارات الساحلية، تشكِّل حوالي 10% فقط من الناتج المحلي الإجمالي في الدول المتقدِّمة، المسببة الرئيسة للانبعاثات. أما القطاعات الرئيسة الأخرى في هذه الدول، مثل التصنيع والخدمات والأعمال البنكية فلا تتأثر إلا بشكل طفيف، في الوقت التي تتسبب هذه التأثيرات بكوارث في بلدانٍ أخرى خاصة في العالم الثالث. كما أن ليس بحوزتنا أية عدة نظرية لإحصائها أو القدرة على منعها في أي مكان من العالم. ويقول وليام نوردهاوس:



تركَّزت الجهود الاقتصادية على جانب الطلب في السوق من خلال تحفيز الاستهلاك مما أدَّى إلى تبذير واسع في الموارد الطبيعية دون حسابٍ لتكلفتها على البيئة والمناخ

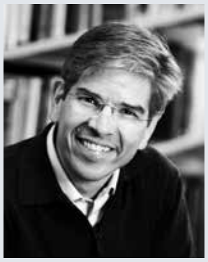
لا تزال الجهود التي بُذلت لصياغة نظريات جديدة لاقتصاد المناخ في حيِّز الأفكار والنقاش والاقتراحات، والمفاهيم العامة التي لم تحصل بعد على إجماع.

"أكثر جوانب التغير المناخي ضرراً يقع خارج السوق التقليدية وحساباتها. فقد حدَّدتُ سابقاً أربعة مجالات مثيرة للقلق: ارتفاع مستوى سطح البحر، وتكثيف وتيرة الأعاصير، وتحمض المحيطات، وفقدان التنوُّع البيولوجي. إن حجم التغيرات لكل واحدة من هذه، في الوقت الحاضر، يتجاوز قدرة الجهود البشرية لوقفها. وإلى هذه القائمة، يجب أن نضيف المخاوف حول نقاط التحوُّل بما يتعلق بصفائح الجليد غير المستقرة وانعكاس تيارات المحيط. هذه التأثيرات، ليس فقط يصعب قياسها وحصرها كمياً من الناحية الاقتصادية، بل هي أيضاً من الصعب التحكم بها من ناحية اقتصادية وهندسية. ولكن القول إنه من الصعب مراقبتها والتحكم بها، لا يعني أنه ينبغي تجاهلها. على العكس تماماً، هذه النُّظم هي تلك التي يجب دراستها بعناية شديدة؛ لأنها من المحتمل أن تكون الأخطر على المدى الطويل".

ومن ناحية الزراعة، قد تصبح الأماكن التي اعتدنا أن نعيش فيها قاحلة أو رطبة جداً وغير صالحة للمحاصيل التي تنمو فيها حالياً. ومعنى ذلك أن موقع الأماكن التي يزرع فيها البشر ستتغير. ستصبح الأماكن الأقرب إلى القطبين التي كانت شديدة البرودة وغير صالحة لزراعة مجدية، أكثر قابليةً للزراعة. كما ستصبح الأماكن التي كانت درجة حرارتها مناسبة ومعتدلة للمحاصيل شديدة الحرارة وغير صالحة.



وليام نوردهاوس



بول رومر

مفاهيم جديدة

ينقسم الاهتمام باقتصاد المناخ إلى ناحيتين. الناحية النظرية وتهتم بصياغة مفاهيم نظرية جديدة يتم على أساسها إعادة إدخال الأضرار البيئية كتكلفة إضافية في النماذج الاقتصادية لعملية الإنتاج. والناحية الإجرائية المتعلقة خاصة بتدابير واتفاقيات دولية تحد من تفاقم هذه الأضرار وتوزيع تكلفتها على الصعيد العالمي.

فعلى الصعيد النظري، وعلى الرغم من الجهود التي بذلت لصياغة نظريات جديدة تحافظ على التقدُّم الاقتصادي وتحافظ على البيئة، لا نستطيع القول إننا نمتلكها. فهي لا تزال في حيز الأفكار والنقاش والاقتراحات، والمفاهيم العامة التي لم تحظ بعد على إجماع.

والحال أنه منذ منتصف القرن العشرين، تركزت الجهود الاقتصادية على جانب الطلب في السوق من خلال تحفيز الاستهلاك إلى حدود بعيدة. مما أدَّى إلى تبذير واسع في الموارد الطبيعية من دون حساب تكلفتها على البيئة والمناخ. وقد دفعت هذه السياسة المهتمين بقضايا البيئة من الاقتصاديين إلى محاولة قلب المعادلة: تركيز الاهتمام على جانب العرض، وإدخال الأضرار البيئية ضمن التكلفة، من دون أن تنعكس على الأسعار (تتحدد الأسعار بتقاطع العرض والطلب في السوق، الطلب يتمثل بالاستهلاك والعرض بالإنتاج) من خلال إدخال المعرفة الإدارية والتكنولوجية، والتطور

المشترك بين المناخ والاقتصاد في عملية الإنتاج. وهذا يحتاج إلى ابتكار وسائل وطرق جديدة ليست بحوزتنا حتى اليوم.

توفير بيئة للابتكار

يوضِّح بول رومر أن النماذج الاقتصادية الجزئية المتعلِّقة بالإنتاج، شدّدت في السابق على الابتكار التكنولوجي كمحرك رئيس للاقتصاد، لكنها لم تشر إلى كيف أن القرارات الاقتصادية وظروف السوق تخلق التكنولوجيات الجديدة. ولحل هذه المشكلة، طرح "نظرية النمو الداخلي" التي هي تحليلية وعملية في الوقت عينه، توصِل إلى وضع قواعد وتشريعات اقتصادية صديقة للطبيعة، توفر بيئةً لإبداع الأفكار والابتكار وصقل المهارات التي تبدو اليوم متخلفة وراء الترويج والتسويق الاستهلاكي. (التي على أساسها أعطي جائزة نوبل بالمناصفة).

ويشير رومر إلى أهمية إبداع الفكرة الواحدة، وسلوكها إلى قنوات التنفيذ، بقوله: إذا حاول مليون شخص اكتشاف فكرة ما، واكتشفها أي واحد منهم، فإن الجميع سيستخدمها. هذا ما يجعل التقدُّم يتسارع: العلاقة القوية بين التقدُّم والابتكار. حيث إنَّ تشجيع الابتكار على كافة المستويات، يؤدي إلى أفكار جديدة تجترح حلولاً جديدة وطرق إنتاجٍ جديدة. على المجتمع أن يسهل الطرق لتسلك هذه الأفكار طريق التنفيذ، وهكذا نحصل على تراكم إنجازات صغيرة تؤدي إلى تقدُّم كبير لا يضر بالبيئة.





أما على صعيد الاقتصاد الكلي، فيقترح نموذج ويليام نوردهاوس الاقتصادي التفاعل بين المجتمع والطبيعة. إذ إنه وضَع تقييماً متكاملاً للتفاعل والتأثير المتبادل بين الاقتصاد والمناخ في نموذجٍ تتكامل فيه النظريات والنتائج التجريبية في كل من العلومِ الفيزيائية والكيميائية والاقتصادية. هذه المحاكاة (التي أعطته جائزة نوبل بالمناصفة) تجعل المناخ والاقتصاد يدخلان في تطور مشترك.

وأسف نوردهاوس لأن الحكومات لم تعالج بعد حجم التحدي المناخي. وقال "إن السياسات متخلفة جداً، بعيدة جداً بأميال وأميال وأميال وراء العلم وما يجب عمله".

تحمُّل الأعباء

تتمثل توصيات نوردهاوس الرئيسة في أنه يتعيَّن على الحكومات والشركات والأسر أن تدفع ثمناً؛ أي ضريبة على انبعاثات الكربون. "اليوم الضريبة هي صفر تقريباً، إذا كان السعر أعلى، سيكون لدى الناس خيارات أخرى، مثل الطاقات المتجدِّدة".

لهذا يتم البحث بفرض ما يعرف بـ "ضريبة الكربون"، التي اعتمدت في عدة دولٍ أوروبية. وهي ضريبة تُفرض على أنواع الطاقة المسببة لانبعاثات الكربون، خاصة الفحم الحجري، تجعل أسعارها مرتفعة. وهكذا تدفع مستهلكي هذه الأنواع من الطاقة إلى استبدالها بأخرى أقل تلوثاً.

لكن بينما تستطيع البلدان الغنية بالموارد الاقتصادية التكيف مع عديد من آثار تغير المناخ، فإن البلدان الأفقر لن تكون قادرة على تنفيذ تدابير وقائية، وخاصة تلك التي تعتمد على تقنيات معقَّده. لذلك يمكن لضريبة الكربون هذه أن تطبق على الصعيد الدولي. وتتمثل بإصدار تصاريح لاستخدام أنواع الطاقة المسببة لانبعاثات الكربون، تكون قابلة للبيع والشراء. ويمكن تنفيذ هذا المخطط على مستوى الولاية أو الدولة، أو يمكن أن تشمل عدة بلدان.

وباستخدام نتائج تحليل نماذج اقتصادية جديدة، يمكن الاستنتاج أنه إذا لم تتخذ أية تدابير اقتصاديةً، فإن التكاليف والمخاطر الشاملة لتغير المناخ ستكون معادلةً لخسارةٍ لا تقل عن 5% من الناتج الإجمالي العالمي كل عام، من الآن وإلى الأبد. أما إذا وضعنا مجموعة المخاطر والتأثيرات في عين الاعتبار، فإن تقديرات الأضرار ترتفع إلى 20 في المئة من الناتج الإجمالي أو أكثر. وفي المقابل، إن تكاليف اتخاذ تدابير - الحد من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري لتجنب أسوأ آثار تغير المناخ - يمكن أن تكون محدودة بحوالي 1% من الناتج الإجمالي العالمي في كل عام. وهذه المقارنة تعني ضمناً أنه يجب اتخاذ تدابير اقتصاديةً قوية وفورية وكبيرة.



الإنتروبيا وثورة المعلومات

في الخامس من سبتمبر عام 1905م، وبالقرب من خليج قرية ديونو في النمسا، وُجدت جثة رجل شنق نفسه. فقد انتحر أحد أعظم عقول الفيزياء في زمانه: لودفييغ إدوارد بولتزمان. وعلى قبره نُقشت معادلة الإنتروبيا الشهيرة: S=K log W. تبدو معادلة بسيطة في شكلها، لكنها ثورية إلى درجة أنها ربطت مجالين عملاقين لم يتخيل أحد من قبل وجود أية علاقة بينهما. لقد ربطت الديناميكا الحرارية بنظرية المعلومات الحديثة، وهو ما سيكون له أبعد الأثر في تطور الثورة الرقمية الحالية التي نتباهى ونتمتع بها اليوم.

يوسف البناي

الديناميكا الحرارية

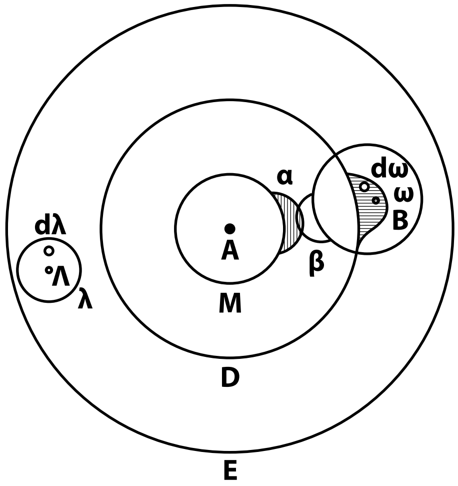
بدأت الثورة الخضراء عقب الحرب العالمية الثانية، مستفيدة من التطورات الهائلة الناتجة عن سباق التسلح العالمي، ومدفوعة بالطلب المتزايد على الغذاء، الناتج عن تلك الحروب. واستطاعت الموجة الأولى من تلك الثورة توظيف الآلة في الزراعة عن طريق استخدام الجرَّارات الزراعية وعربات الحصاد والنقل. لكنها بقيت تعتمد بشكل أساسي على الممارسات التقليدية التي تتطلَّب جهداً جسدياً وأيادي عاملة كثيرة. لكن مع هذا كان لهذه الموجة دور كبير في زيادة الإنتاج الزراعي إلى حد كبير مقارنة بالأساليب التقليدية.
ومع انفجار الثورة الصناعية، انطلقت بموازاتها مسيرة لا تقل عنها أهمية؛ العلاقة التكافلية بين العلم والتكنولوجيا. وقد أطلق اختراع المحرك البخاري ونسخته المتطورة التي أدخلها المخترع الأُسكتلندي الشهير جيمس واط عام 1769م أسئلةً علميةً صعبة حول هذه القوة التي جعلت الآلة تتحرك، فظهر أثناء ذلك أحد فروع الفيزياء الأكثر أناقة؛ الديناميكا الحرارية.
يُعد هذا الاكتشاف أضخم ثورة في الفيزياء منذ أن وضع إسحاق نيوتن قواعد الميكانيكا الكلاسيكية. وكعادة الفروع الجديدة في الفيزياء، واجهت الديناميكا الحرارية اعتراضات شرسة جـداً في البداية. فقد كان السؤال الأساسي هو: ما هي الحرارة؟ قد نجد هذا السؤال بسيطاً، لكنه واحد من أعقد أسئلة الفيزياء.

يُعد اكتشاف الديناميكا الحرارية أضخم ثورة في الفيزياء منذ أن وضع إسحاق نيوتن قواعد الميكانيكا الكلاسيكية.



$$S=K \log W$$

كان الفيزيائيون في زمن جيمس واط وأنطوان لافوازيه في القرن الثامن عشر الميلادي مقتنعين أن الحرارة أو السعر الحراري ما هو إلا شيء يشبه السائل غير المرئي، ينساب من الجسم الحار إلى البارد. فلو وضعت قطعة حديد ساخنة على أُخرى باردة، فسينساب ذلك السائل من القطعة الساخنة إلى الباردة من دون أن نتمكن من رؤيته. لكن العالم الأمريكي بنجامين طومسون لاحظ في عام 1753م أن هذه الفكرة تحتوي على ثغرة؛ فالحرارة من الممكن أن تنتج من الاحتكاك، وإذا ظل الاحتكاك قائماً فستظل الحرارة موجودة باستمرار، وهذا يعني أن السائل الحراري موجود بشكل لا متناهٍ! من الممكن أن ننتج حرارة بفرك يدينا باستمرار، فهل في يدينا سائل حراري لا نهائي؟! يبدو أن الفكرة ليست جميلة بالقدر الكافي لتكون حقيقة.
كان العالِم والفيلسوف الإنجليزي روبرت بويل قد اكتشف في عام 1627م قوانين الغازات. وأحد أهم تلك القوانين كان التناسب العكسي بين حجم الغاز وضغطه عند ثبات الحرارة في نظامٍ مغلق. فإذا وضعنا غازاً داخل عبوة وضغطناها، فسيزداد الضغط على الجدران. لقد فُهمت العلاقة جيداً بين الضغط والحرارة والحجم الذي يشغله غاز ما في وعاء. لكن هذا الفهم كان تجريبياً تماماً. والمعرفة التجريبية لا تعني فهماً عميقاً لما يحدث. لذلك ظل السؤال الصعب قائماً: ما هي الحرارة؟
ودارت الأيام إلى أن أتى عقلان من أكبر عقول الفيزياء في التاريخ، العالم الإسكوتلندي جيمس كلارك ماكسويل ولودفيغ بولتزمان. أدرك هذان



رسم تخطيطي لجزيئة بولتزمان



من الممكن أن ننتج حرارة بفرك يدينا باستمرار، فهل في يدينا سائل حراري لا نهائي؟!

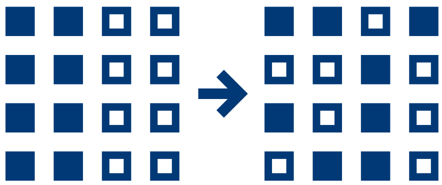
العالِمَان أن فهم الحرارة ممكن، لكننا بحاجة إلى فكرة قديمة جداً؛ إننا بحاجة إلى فكرة الذرات أو الجزيئات. إن الغازات التي درسها بويل ورفاقه هي عبارة عن ذرات تتحرَّك بشكل عشوائي جداً داخل الوعاء، وبالتالي تصطدم بجدار الوعاء وترتد مثل كرات المضرب. وبالطبع، إن اصطدام ذرة واحدة لا يترك سوى أثر ضئيل على جدار الوعاء، لكن إذا كان لدينا مليارات الذرات داخل الوعاء ونقوم بهذا العمل وبسرعات مختلفة فإن النتيجة تكـون ما نسميه "الضغط". والضغـط هو كمية مرتبطـة بشدة مع الحرارة. لذلك، فإن ما نسميـه درجـة الحرارة ليس سوى الطاقة الحركية لتلك الذرات. وإذا كان لدينا خزانان من الماء أحدهما ساخن والآخر بارد، وسألنا أحدهم ما الفرق بينهما؟ نستطيع أن نجيب، وبثقة، أن الخزان الحار تتحرَّك ذراته بشكل أسرع من الخزان البارد. فأي جسم حار سواء أكان صلباً أو غازياً أو سائلاً يعني أن الطاقة الحركية لذراته أعلى من نظيره البارد.

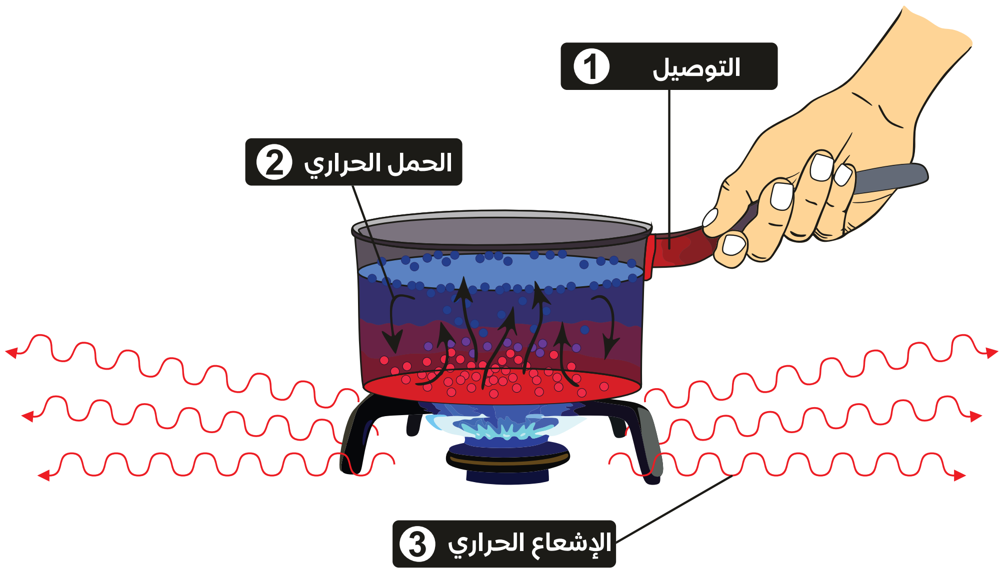
ولادة فرع جديد في الفيزياء: الإنتروبيا

لكن في زمن بولتزمان وماكسويل، لم يكن عدد المقتنعين بوجود الذرات كثيراً. فقبل نشر عملهم بقليل، وتحديداً في عام 1859م، اقترح عالم الفيزياء الألماني رودولف كلاوزيوس 1822م، فكرة الغاز المكوّن من ذرات لتفسير ما يسمى بالضغط والحرارة للغازات داخل الأوعية، ممهداً بذلك ظهور النظرية الذرية للغازات. لكن حساباته كانت غير دقيقة. وفي عام 1866م، عدل ماكسويل ببراعة حسابات كلاوزيوس، آخذاً في الاعتبار أن ذرات الغاز لا تتصادم مع الجدران فحسب، بل مع نفسها أيضاً، مما يجعل بعضها بطيئة والأخرى أسرع. لقد كانت دراسة ماكسويل إحصائية قائمة على نظرية الاحتمالات، وهو شيء لم يكن محبباً في ذاك الوقت. فنحن نعلم أن فيزياء نيوتن يقينية مئة في المئة. والآن ماذا يريد هذا التفسير الإحصائي الجديد؟ هل يريد كسر يقين قوانين الفيزياء المقدَّسة التي تحكم الطبيعة؟ فات الأوان، والعلم أقوى من التقاليد، لقد قدَّم بولتزمان تعريفاً جديداً لهذه الظاهرة: "الإنتروبيا"، معلناً فتح فرع جديد في الفيزياء اسمه "الميكانيكا الإحصائية".

الإنتروبيا مصطلح اخترعه لأول مرة رودولف كلاوزيوس. لكنه لم يعطِ لا هو ولا غيره تعريفاً واضحاً له، حتى أدخل بولتزمان عليه مفهوماً إحصائياً بحتاً. فالإنتروبيا باختصار شديد هي مقياسٌ لفوضى نظام معيَّن. وكلما زادت فوضى غرفتك يعني أن الإنتروبيا زادت، وهي كمية تنحو دائماً نحو الزيادة لا النقصان.

لنعد إلى الصندوق المملوء بالغاز، ونتخيَّل أننا بطريقة ما فصلنا الذرات السريعة (حرارة أعلى) عن تلك البطيئة (حرارة أقل)، أي نجعل الذرات الحارة على يمين الصندوق والباردة على اليسار. اترك الصندوق لبعض الوقت، ماذا سيحدث؟ ستختلط الذرات الحارة بالباردة حتى تصبح لها درجة حرارة واحدة. لقد زادت الإنتروبيا.





الغازات التي درسها بويل ورفاقه هي عبارة عن ذرات تتحرك بشكل عشوائي جداً داخل الوعاء، وبالتالي تصطدم بجداره وترتد مثل كرات المضرب. وتكون النتيجة ما نسميه "الضغط". لذلك، فإن درجة الحرارة ليست سوى الطاقة الحركية لتلك الذرات

الإنتروبيا مصطلح اخترعه لأول مرة رودولف كلاوزيوس. لكنه لم يعطِ لا هو ولا غيره تعريفاً واضحاً له، حتى أدخل بولتزمان عليه مفهوماً إحصائياً بحتاً. فالإنتروبيا باختصار شديد هي مقياسٌ لفوضى نظام معيَّن.




الإنتروبيا والقانون الثاني للديناميكا الحرارية

لا يمكن لك أن تترك فنجاناً من القهوة في غرفة لمدة يوم كامل ثم تعود وتجده مازال حاراً. ستتصادم ذرات القهوة السريعة مع ذرات الغرفة البطيئة حتى تصل جميعها إلى حالة حرارية واحدة. ويسمى هذا بالقانون الثاني للديناميكا الحرارية: تنزع الأشياء إلى أعلى درجات الاختلاط الحراري حتى الوصول إلى حالة توازن، وحالة التوازن هذه هي أقصى إنتروبيا ممكنة.

والآن يمكننا فهم تلك المعادلة التي نُقشت على قبر بولتزمان: $S=K \log W$، حيث S هي الإنتروبيا، K ثابت بولتزمان، W احتمالية ترتيب معين؛ فدائماً ما تكون هناك احتمالات مختلفة لترتيب شكل ذرات الغاز في الوعاء، بحيث يكون لكل ترتيب احتمال معيَّن يقاس بواسطة W.

عفريت ماكسويل

في عام 1871م، حاول ماكسويل أن يُحدث ثغرة في القانون الثاني للديناميكا الحرارية، عن طريق استغلال الحركة العشوائية للذرات، وذلك لعكس اتجاه الفوضى الذي تصنعه إنتروبيا بولتزمان! تخيل وجود صندوق غاز مقسّم إلى نصفين بواسطة جدار. يجلس فوق هذا الجدار عفريت ينظر إلى كل الذرات الحارة السريعة والباردة البطيئة (بإمكاننا اليوم تخيله كروبوت متطور جداً). هذا الكائن صغير الحجم وذكي جداً بحيث إنه قادر على النظر إلى الذرات الحارة والباردة منفردة. فإذا رأى مثلاً ذرة باردة في الجانب الأيمن للصندوق، قريبة من الجدار، يفتح الجدار بسرعة هائلة جداً بحيث تمر فقط هذه الذرة إلى الجانب الأيسر، ثم يُغلقه حتى لا تمر أي ذرة أُخرى. وإذا رأى ذرة حارة قريبة من الجدار في الجانب الأيسر يتركها تمر إلى الجانب الأيمن بالطريقة نفسها. وهكذا يؤدي عفريت ماكسويل عمله حتى نحصل على صندوق يحتوي

على منطقة باردة كلياً وأخرى حارة كلياً من دون بذل أي جهد! وهذا خرق واضح وصريح للقانون الثاني للديناميكا الحرارية الذي ينص على أن الذرات تنحى ناحية أعلى درجات الفوضى. بينما عفريت ماكسويل جعل الأمر يبدو مقلوباً تماماً! وهذا تحد خطير جداً لطريقة عمل الطبيعة.

يبدو أن عفريت ماكسويل، الذي ربما يتحوَّل لآلة تكنولوجية حقيقية في المستقبل، قادر على خلق آلة الحركة الأبدية، أو على إعادة تركيب كوب قهوتك الذي سقط على الأرض وتهشم من دون بذل أي طاقة! يبدو بأنه يعكس اتجاه الزمن حتى! إن كل ما يريده العفريت فقط معلومات عن حركة الذرات وسيعطيك آلة الحركة الأبدية المجانية.

الإنتروبيا والمعلومات

لكن "المعلومات" نفسها التي يريدها العفريت هي ما قتله! فقد اتضح أن تلك المعادلة المنقوشة على قبر بولتزمان تتجاوز جذورها الديناميكا الحرارية حتى تصل إلى "نظرية المعلومات الحديثة"! فحتى يحصل العفريت على معلومة عن سرعات الذرات ومواقعها، عليه أن يبذل هو نفسه طاقة. وهكذا يصبح الخزان غير مغلق ومفتوحاً على الخارج بواسطة العفريت، فيخضع للقانون الثاني للديناميكا الحرارية. ففي نهاية المطاف لا يوجد شيء مجاني في الكون.

تبدو فكرة "المعلومات" عسيرة على الفهم ومجردة للغاية. ولتسهيل الأمر، يمكن تمثيل المعلومات كحبر على الورق، أو كشفرة تحمل رموزاً معيَّنة مثل شفرة مورس (التي كانت تستخدم لإرسال المعلومات التلغرافية) أو كثقوب على قطعة قماش. لكن في عام 1948م، أدرك أحد علماء الرياضيات التطبيقية العاملين في مختبرات بيل التقنية في الولايات المتحدة الأمريكية، أنه يمكن كتابة أي رسالة بواسطة سلسلة أرقام تحتوي إما على 1 أو 0.

يعرف البعض أن كل صورة أو صوت أو مقطع موسيقي أو نص في الهاتف الذكي ما هو، في نهاية المطاف، إلا سلسلة رقمية من الآحاد والأصفار. كان أول من أدرك ذلك هو عالِم الرياضيات الأمريكي كلاود شانون في عام 1916م، وهو من صنع بحق ثالث أعظم ثورة في القرن العشرين بعد نظريتي الكم والنسبية.

كان شانون في الأربعينيات يعمل مع زملائه على إيجاد طريقة لمعرفة كمية المكالمات الهاتفية التي يمكن أن يستوعبها كابل الهاتف النحاسي أو أي قناة اتصال أُخرى. بالضبط مثلما يحاول مهندسو الطرق حساب عدد السيارات التي يتحملها طريق معيَّن قبل بنائه. كانت فكرة شانون الجبارة متمثلة في أنَّ كل سؤال مهما كان يمكن الإجابة عنه بـ نعم/لا أو صح/خطأ أو بالشكل المعتمد حالياً 1/0. هذا الرمز الوحيد يسمى بت bit. وقد ظهر لأول مرة في الورقة البحثية الكلاسيكية التي نشرها شانون عام 1948م بعنوان "النظرية الرياضية للاتصالات". ومن هنا تأسست نظرية المعلومات الحديثة، وصارت البت هي الوحدة الأساسية للمعلومات. بهذه الطريقة أمكن قياس الكم المعلوماتي لأية رسالة مرسلة في أي سلك هاتفي أو أي قناة اتصال أُخرى.

المعلومات هي الإنتروبيا

فهم شانون أن كمية المعلومات في رسالة ما ليس لها علاقة بمعناها. فلو حصلنا مثلاً على رسالة تحتوي على 11111111 أو 00000000 فهذا يعني أن هذه الرسالة لا تحمل سوى قدر ضئيل من المعلومات المفيدة التي يمكن ترجمتها إلى نص. أما لو حصلنا على رسالة طويلة وعشوائية من الأصفار والآحاد، فهذا يعني أن هذه الرسالة تحتوي على كم هائل جداً من المعلومات المفيدة التي يصعب التنبؤ بمحتواها. والآن يأتي الرابط العجيب بين إنتروبيا بولتزمان ونظرية شانون في المعلومات: فكلما بدت رسالة الآحاد والأصفار عشوائية قلَّ التنبؤ بها، زادت كمية المعلومات التي تحتويها. إن من يقيس العشوائية هي الإنتروبيا، وبالتالي كلما زادت الإنتروبيا أو العشوائية زادت كمية المعلومات الموجودة في رسالة ما. وعندما وجد شانون معادلته التي تحسب كمية المعلومات التي يمكن أن تستوعبها قناة اتصال كانت متشابهة بشكل لا يُصدق مع معادلة الإنتروبيا التي وضعها بولتزمان! الإنتروبيا هي المعلومات والمعلومات هي الإنتروبيا. والآن إذا أراد عفريت ماكسويل الحصول على معلومات عن مواقع وسرعات الذرات، فسيرفع إنتروبيا الصندوق بمقدار معيَّن مقابل كل معلومة! وكلما أنقص العفريت إنتروبيا الصندوق زادها من جهة أُخرى في الكون بطريقة ما. لا شيء مجاني في الكون، لا توجد آلة الحركة الأبدية. لقد توفي عفريت ماكسويل، وليرقد بولتزمان بسلام. ■



كمبيوتر رقمي صممه عالِم الرياضيات الأمريكي كلاود شانون



الانتقال إلى العيش تحت الأرض

تتعرَّض الحياة على الكرة الأرضية لمخاطر من عدّة مصادر. ويبحث بعض العلماء عن طريقةٍ تمكِّن الإنسان من البقاء على قيد الحياة باللجوء إلى حلول تشبه الخيال العلمي. من هؤلاء عالِم الفيزياء الفلكية الشهير ستيفن هوكينغ، الذي أوصى قبل وفاته بالاستعداد خلال المئة سنة المقبلة للانتقال إلى كواكب أخرى. ولكنَّ واحداً من هذه الاقتراحات يقول بالانتقال للعيش تحت الأرض، خاصةً عند ارتفاع مستوى سطح البحر وتلوث الهواء وارتفاع درجات الحرارة.

أمين نجيب

هل سنضطر إلى أن نبني في المستقبل بدلاً من ناطحات السحاب، ناطحات جوف الأرض، وهل الحياة ممكنةٌ هناك؟ وهل نستطيع أن نتخط كون الحضارة الإنسانية الحالية تقدّر المساحات المفتوحة والمناظر الرحبة؟ وهل تستطيع التكنولوجيا التعويض عن أشعة الشمس والنسيم العليل وكل ما نتمتع به فوق الأرض؟

قديماً، عاش البشر تحت الأرض لملايين السنين. وترك أسلافنا وراءهم في هذه الكهوف كثيراً من بصمات اليد وصور مشاهد الصيد ورسوم الحيوانات التي تعيش فوق الأرض. ولا يزال بعض الناس يعيشون حتى اليوم تحت الأرض. ففي تونس مثلاً، وتحديداً في منطقة مطماطة في جنوب البلاد، يعيش بعض البربر في كهوف تحت الأرض ويُطلق عليهم اسم "تروغلو دايت" باللغة البربرية المحلية أي سكان الكهوف. وهذه الكهوف هي منازل مبنية داخل الأرض، يتوسطها فناء دائري مركزي مفتوح على السماء. وقد اكتسبت هذه المنطقة شهرة عالمية عندما تم تمثيل مشهد من فِلْم "حرب النجوم" فيها عام 1977م.

جوف الأرض غني بالحياة

لا يخلو جوف الأرض من الحياة، كما هو الاعتقاد السائد. ففي عشرينيات القرن العشرين، اكتشف العالم الأمريكي تشارلز ليبمان أن هناك بكتيريا تعيش في جوف الأرض على عمق 550 متراً ضمن صخور الفحم، وهي في حالة بين الحياة والموت تدعى "الحياة المعلّقة"، لعشرات ملايين السنين. وعندما وفَّر لها بعض الشروط في مختبره، استطاع إعادة تنشيط حياتها. ولكن بعض العلماء اتهمه في حينها بعدم التوازن العقلي، وتم تناسي الموضوع منذ ذلك الوقت.

بيد أنه في السنوات العشر الماضية، أظهرت أبحاث علميةٌ عديدة، نشرت في الدوريات العلمية المرموقة، صحة نتائج ليبمان. وجاء في مقال في عدد يناير 2019م من مجلة "ساينتيفيك أميريكان" أن "مرصد الكربون العميق (وهو مرصد دولي) أعلن حقيقة مدهشة، وهي أن كتلة الميكروبات التي تعيش تحت سطح الأرض يتراوح وزنها بين 15 و23 مليار طن من الكربون، وهي كمية تزيد بمقدار يتراوح بين 245 و385 مرة على كتلة الكربون لكل البشر. لم يكن الأمر كذلك منذ فترة طويلة، ولم نكن متأكدين حتى من أن الحياة في العمق ممكنة".

باستطاعتنا تأمين شروط الحياة

الفرق الكبير بين العيش على الأرض والعيش في الأرض هو ضوء الشمس. إذ إنَّ الأشعة فوق البنفسجية ضرورية لزراعة النباتات المنتجة للأغذية والمحفِّزة لإنتاج فيتامين د في الجسم البشري، كما أنها تعزِّز الجهاز المناعي، وتبقينا سعداء. لكن ليس بالضرورة أن يأتي ضوء الشمس من الشمس الفعلية، إذ يمكن لمصابيح الصمام الثنائي الباعث للضوء LED أن تقوم بذلك.

ويمكن إنشاء زراعة مائية تحت الأرض شبيهة بالتي فوقها. وهي أشبه بصناديق معدنية مغمورة بأضواء عالية الكثافة، وتغذى بالمياه الغنية بالمغذيات والمعاد تدويرها. كما يمكن تأمين فيتامين د من الأغذية الغنية به.

ولكن هناك مشكلة تتعلَّق بالنوم من دون أضواء كما جاء في بعض الاختبارات التي جرت سابقاً، وبينت أنه من دون أضواء، فإن سكان الكهوف ينامون لفترة قد تطول حتى 48 ساعة متواصلة. وفي هذه الحالة، يمكن استخدام أضواء اصطناعية خاصة تنظِّم إيقاع الساعة البيولوجية للإنسان، وتجعله ينام كما لو كان فوق الأرض.

ولمعالجة الوضع النفسي الجديد الناشئ، يمكن للتكنولوجيا الذكية والافتراضية تعويض الأضواء والمناظر الخضراء والأصوات والروائح فوق الأرض بتقنيات، هي إما بحوزتنا الآن، أو أننا على الطريق لحيازتها.

هل بدأنا فعلاً بالانتقال؟

في سنغافورة، توجد خطة حالياً لبناء مدينة تحت الأرض ذات أعمدة ممتدة تسحب ضوء النهار إلى أعماق الطبقات. وفي تقريرٍ لتلفزيون "بي بي سي"، أن خطة إنشاء متنزه تحت الأرض في مدينة نيويورك مدهشة إلى حد يخطف الأنفاس من خلال واحات مضاءة جيداً من أشجار النخيل وسراب السماء.

والحال أن كثيراً من المدن الحالية اليوم تنمو نزولاً في الأرض، مثل لندن ومدينة مكسيكو، بعد أن اتضحت محدودية التمدد أفقياً وعمودياً فوق الأرض. وتحافظ مدن كثيرة في شمالي الكرة الأرضية على أنفاق تحت الأرض، بعضها متقن للغاية، بحيث يطلق عليها "مدن الظل"، وذلك من أجل التعامل مع فصول الشتاء القاسية. وفي مدينة بكين في الصين، يعيش حوالي مليون شخص في الملاجئ التي حفرت تحت شرايين المدن الحضرية للحماية من الأسلحة النووية.

والحال أن التكنولوجيا الحديثة ومواقع التواصل الاجتماعية، جعلتنا مسمرين أمام الشاشات طوال الوقت من دون أن يكون لدينا متسع من الوقت للعيش في العالم الواقعي. كما أن ناطحات السحاب الحالية هي مقفلة ومن دون شرفات، وهي



سيَّاح ينظرون إلى بعض سكان الكهوف تحت الأرض في مطماطة، جنوب تونس

لا تختلف كثيراً عما إذا كانت تحت الأرض من ناحية الانفتاح على المساحات الواسعة.

حسنات الحياة تحت الأرض

إن درجات الحرارة تحت الأرض هي أكثر استقراراً: فعلى عمق متر واحد تحت الأرض، تتقلَّب الحرارة يومياً حوالي 5 درجة مئوية فقط، ولكن عند عمق 5 أمتار يكون هذا التقلب أقل من درجة واحدة. علاوة على ذلك، إن درجات الحرارة داخل الكهوف تتراوح دائماً بين 17 درجة مئوية و23 درجة مئوية، وهي قريبةٌ جداً من نقطة الراحة الحرارية للجسم البشري. على عكس الحرارة فوق الأرض، حيث تختلف بشكل كبير بسبب دوران الأرض وتأثير ضوء الشمس. وهذا يؤثر على مستويات الرطوبة، حيث إنَّ نسبتها داخل الكهف تبلغ حوالي 50%، ويُعدُّ هذا صحياً أكثر من مكيف الهواء اليوم، الذي يميل إلى جعل الهواء جافاً.

وبما أن البناء هو تحت الأرض، يمكن الاستفادة من الطاقة الحرارية الجوفية. فبناء الدوائر الهيدروليكية من أجل الطاقة الحرارية الأرضية أمر بسيطٌ، ويستخدم اليوم بالفعل. كما يزداد تطورها ودمجها مع تقنية جديدة وصاعدة هي الطاقة الحرارية الهوائية، ويصبح بالإمكان تحسين مستوى كفاءة الطاقة بين 300% و500%.

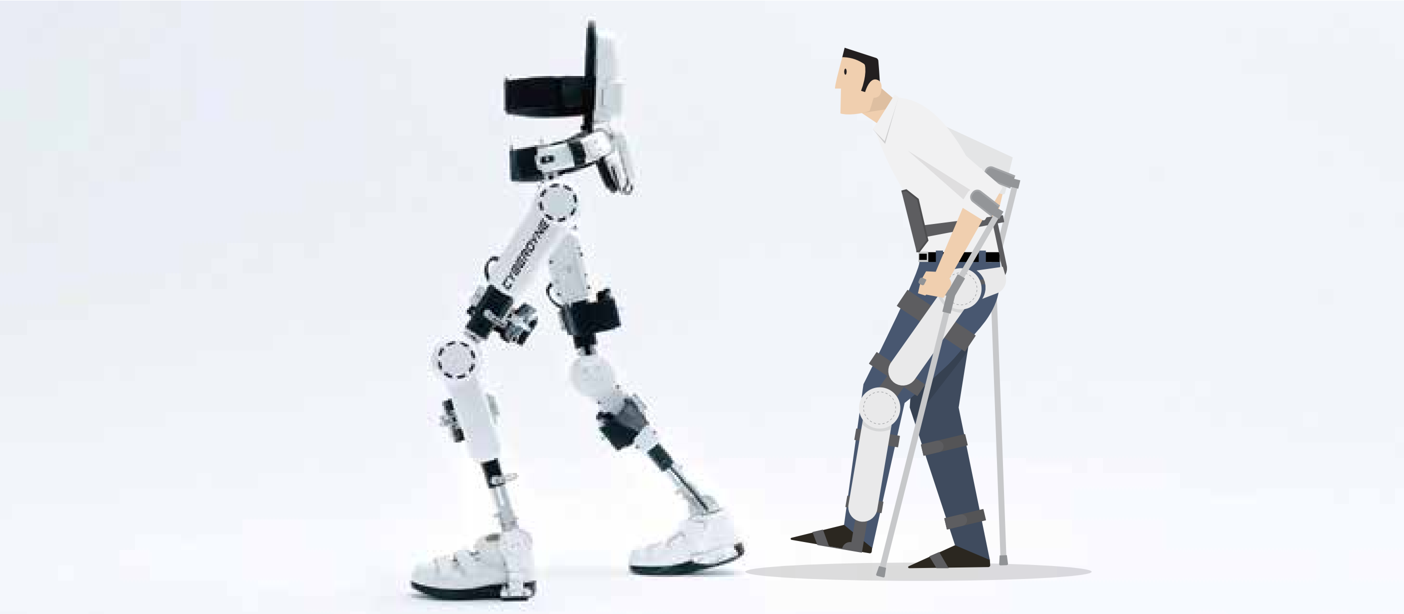
والحياة في أعماق سطح الأرض محمية من الإشعاع الكوني بسبب الأتربة والماء والصخور التي تعيق الاختراق أكثر من عشرات الأمتار. بينما يغير هذا الإشعاع باطراد الحمض النووي للكائنات الحية على سطح الأرض.

ومن حسنات الناطحات تحت الأرض، خاصة الأسطوانية منها، أنها تقاوم الزلازل أفضل بكثير من ناطحات السحاب المعروفة.

شاركنا رأيك
Qafilah.com
@QafilahMagazine

منتج

روبوت الهيكل الخارجي



ثَمَّة الملايين من مصابي حوادث الطرقات أو الحروب أو المصانع وغيرها، الذين يعانون الكثير بعد إصاباتهم. فتتراجع حركتهم كثيراً وأحياناً تتوقف كلياً، فلا يعود بإمكانهم الانتقال باستمرار إلى مراكز التأهيل لمعالجة إصاباتهم أو تخفيفها. ولكن تكنولوجيا الروبوتات بدأت منذ بضع سنوات تقدِّم لهؤلاء بديلاً يغنيهم عن التنقل.

يعمل روبوت الهيكل الخارجي للمصابين بضعف العضلات أو بالشلل الجزئي أو الكلي بمثل طريقة الرخويات، التي تمتلك هيكلاً عظمياً خارجياً يزوِّد جسمها بالصلابة عند الحركة، وبعكس الفقريات التي تمتلك هيكلاً عظمياً داخلياً كما في جسم الإنسان، تاريخياً، ظهرت أولى محاولات صنع جهازٍ يساعد المصابين سنة 1890م، في موسكو بواسطة مخترع روسي استخدم طاقةً مخزنةً في أكياس الغاز المضغوط للمساعدة في الحركة. وفي منتصف سبعينيات القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية، طوَّرت شركة جنرال إلكتريك جهاز "هاردمان"، كان على شكل جهازٍ متحركٍ يمكن ارتداؤه، ويتم تشغيله بواسطة نظام من المحركات الكهربائية أو بضغط الهواء أو الرافعات أو المكونات الهيدروليكية، أو مجموعة من التقنيات التي تسمح بحركة الأطراف مع زيادة القوة والتحمُّل. لكن هذا الجهاز كان ثقيل الوزن ويتطلب جهداً كبيراً.

أما فكرة تطويره كروبوت فقد ظهرت منذ بضع سنوات، وتم تطبيقها في معامل الاختبارات أو على أفراد محدودي العدد، غير أنها لم تدخل الاستخدام الفعلي إلا في السنتين الماضيتين. وظهرت في الأسواق عدَّة علامات تجارية تتنافس في سوق عالمية واسعة لا تزال في مرحلة الانطلاق.

ومن باكورة هذه الأجهزة الجديدة جهاز طوَّرته شركة باناسونيك، وأطلقت عليه اسم "ضوء شاحن الطاقة" تيمُّناً بالجهاز الذي ظهر في فِلْم الخيال العلمي "كائنات فضائية". تحتوي أرجل هذا الجهاز على محركات في الوركين والركبتين والكاحلين، ويتم التحكم فيها عن طريق إشارات مرسلة بواسطة مجسات قوة من ستة محاور تقع في نعل الحذاء. ومع بعض التدريبات، تصبح المفاصل تتبع الحركات الطبيعية للشخص، مما يسمح للساقين أن تتحملا حمولةً تصل إلى 60 كلغ. أما وزن المشغل فيتم دعمه بمقعد الجهاز المرفق بحقيبة ظهر للبطارية. وتعمل بالطريقة نفسها أجهزة كثيرة مماثلة من علامات تجارية مختلفة من هوندا وبيونكس وهيركول ولوكهيد مارتن وغيرها.

ولكن الجديد على هذا الصعيد هو الروبوت الجديد الذي طوَّرته شركة "سايبر داين" وأطلقت عليه اسم "هال" أو مساعد الأطراف الهجين. وبعكس الروبوتات الأخرى المستخدمة حتى الآن بدفع المرضى للمشي اعتماداً على حركة وزنهم، فإن هذا الروبوت الجديد يلتقط حركة عضلات معيَّنة يحاول المرضى تحريكها بشكل تلقائي كما لو كانوا أصحَّاء، وتكون عوناً لهم. يلتقط "هال" عزم المريض على الحركة من خلال التقاط الإشارات العصبية عبر أقطاب كهربائية موضوعة على الجزء الخلفي من أرجله. ويحلل الجهاز هذه الإشارة ويحدِّد ما إذا كان دماغ ذلك الشخص يحاول أن يمشي. عندئذ يساعد فقط ساقيه على الوصول إلى النقطة التي يريدها دماغه.

ويأمل الباحثون أن تؤدي هذه الطريقة مع الوقت، إلى أن يستعيد المريض وظائفه الطبيعية ويستغني عن أية مساعدة خارجية.

الفحم والغاز الحيويَّان

لهما فوائد أيضاً في الزراعة والبيئة

الفحم والغاز الحيويّان من أقدم مصادر الطاقة التي عرفها الإنسان، ويبدو أنهما في طريقهما إلى تجديد شبابهما، ليس بوصفهما من مصادر الطاقة في خضم انهماك العالم في البحث عن مصادر إضافية، بقدر ما لهما من منافع بيئية وزراعية. وعلى الرغم من أن لا أحد يتوقع للفحم الحيوي والغاز الحيوي أن يصنعا المعجزات، ولا حتى أن يكون لهما أي وقع ملحوظ على عالم الطاقة، فمن شبه المؤكد أن لهما من الفوائد ما يمكنهما أن ينعكسا إيجاباً على العالم بأسره وفي أكثر من مجال واحد.

أمجد قاسم



عرف الإنسان الفحم الحيوي منذ القدم، واستعمله وقوداً للطهي والتدفئة. ولاحقاً، استعمله وقوداً في صناعة الفخار والزجاج والتعدين، ومخصّباً للتربة الزراعية.

وهذا الفحم، هو عبارة عن مادة سوداء مكوَّنة من حبيبات دقيقة صلبة قابلة للاحتراق، يتم الحصول عليها من خلال عملية حرق كتلة حيوية، بمعزل عن الأكسجين. ويمكن لهذه الكتلة أن تكون من المخلفات النباتية كبقايا المحاصيل الزراعية، كالأخشاب وقش القمح والذرة وقصب السكر وجريد سعف النخيل، وغير ذلك. وتعرف هذه الطريقة بالحرق اللاهوائي، أو التحلل الحراري، حيث تتم إزالة الماء والمواد المتطايرة من الخشب أو المواد العضوية الأخرى. ويحتوي هذا الفحم على كميات تتراوح ما بين 85 و95 بالمئة من الكربون، مما يجعله يحترق ويعطي حرارة عالية عند مقارنته باحتراق الخشب التقليدي.

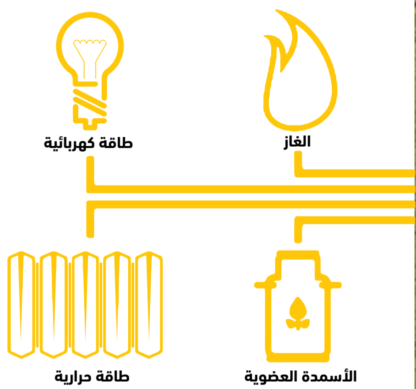
تقنية قديمة

وقد عرف الإنسان قديماً المبادئ الأساسية لعملية إنتاج الفحم الحيوي، إذ كانت توضع الأخشاب وبقايا المخلفات النباتية في حفر عميقة يتراوح عمقها عدة أمتار، ثم تشعل فيها النيران حتى تتوهج كامل الكتلة الحيوية في الحفرة. وبعد ذلك، تتم تغطيتها مع إبقاء فتحة خاصة لخروج الدخان. أما حديثاً، فقد تم تصميم أفران ثابتة أو متحركة بقياسات مختلفة لإنتاج هذا النوع من الفحم ذي الاستخدامات المتعدِّدة.

تعتمد طريقة إنتاج الفحم الحيوي على ما يعرف بعملية التحلل الحراري للمادة العضوية، إذ يتم تعريض هذه المواد إلى درجة حرارة تتراوح ما بين 200 إلى 300 درجة مئوية في ظروف لا هوائية. وفي هذه العملية، يتم تبخير الماء من داخل الكتلة الحيوية عند درجة حرارة 70 درجة مئوية، ويبدأ تحلل المادة العضوية عند 160

يحظى الغاز الحيوي باهتمام كبير في عدد من دول العالم، كمصدر للطاقة المتجدِّدة، الذي يتم إنتاجه من المخلَّفات العضوية.





الصورة يمين:
توضع الأخشاب وبقايا المخلفات النباتية في حفر عميقة يبلغ عمقها عدة أمتار ثم تشعل فيها النيران حتى تتوهَّج كامل الكتلة الحيوية في الحُفرة

درجة، فيتم طرد المواد المتطايرة. ومع استمرار عملية التسخين ورفع درجة الحرارة تتكوَّن عدة غازات كالهيدروجين والنيتروجين وأول أكسيد الكربون وغيرها، ويمكن الاستفادة من هذه الغازات في إنتاج الغاز الحيوي.

وتجدر الإشارة إلى أن استخدام أنواع مختلفة من المخلفات النباتية وحرقها بدرجات حرارة مختلفة، يؤدِّي إلى ظهور أنواع مختلفة من الفحم الحيوي ذي الخصائص المتباينة.

غاز بالغ الأهمية

يحظى الغاز الحيوي باهتمام كبير في عدد من دول العالم كمصدر للطاقة المتجدّدة، ويتم إنتاجه من المخلفات العضوية، كما هو الحال في بعض المناطق الريفية في شبه القارة الهندية وشرق آسيا. ويستخدم هذا الغاز لأغراض الطهي والتدفئة، كما يستعمل في بعض الدول الأوروبية كالسويد وسويسرا وألمانيا كوقود لحافلات النقل وبعض أنواع السيارات. وفي أمريكا، يستخدم الغاز الحيوي المنتج من مخلفات الأبقار لتزويد عدد كبير من المنازل بالطاقة الكهربائية، كذلك اهتمت بريطانيا بالغاز الحيوي الذي أنتجته من مياه المجاري منذ عام 2010م. إذ تمت معالجة تلك المياه بالتخمير اللاهوائي، واستخدمتـه لتوليد الكهرباء، كما يستحوذ الغاز الحيوي حالياً على اهتمام عدد كبير من دول العالم.

ويتكوَّن الغاز الحيوي من خليط من عدّة غازات بنسب متفاوتة ناتجة عن عملية التخمر للفضلات العضوية. إذ تتفكك تلك المواد المعقَّدة التركيب بفعل البكتيريا وفي غياب الأكسجين، أي في ظروف لا هوائية. وتعرف هذه بعملية الهضم اللاهوائي. ويمكن للمادة العضوية أن تكون من مخلفات نباتية أو حيوانية، وهي تنتج غازاً يتكوَّن بشكل رئيس من الميثان وثاني أكسيد الكربون ومقادير ضئيلة من الأمونيا والنيتروجين والهيدروجين وثاني أكسيد الكبريت. وبشكل عام، فإن كمية الميثان الذي يعرف باسم غاز المستنقعات، تتراوح بين 60 و70 في المئة. وهذه العملية تنتج مخلفات تستعمل كمادة خام في بعض الصناعات وسماداً للتربة.

ويمكن إنتاج شكل آخر من الغاز الحيوي من خلال عملية تفحيم الخشب والمخلفات النباتية المختلفة، ويتكوَّن هذا الغاز الناتج من مجموعة من الغازات المختلفة، هي الهيدروجين والنيتروجين وأول أكسيد الكربون مع نسب قليلة من الميثان.



إن عملية التحلل الحراري للأخشاب وللمخلَّفات النباتية تتم في جو خالٍ من الأكسجين وعلى درجة حرارة تتراوح ما بين 400 و500 درجة مئوية

إضافة الفحم الحيوي للتربة الزراعية يحسِّن من الخصائص الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية للتربة الزراعية. فهو يساعد على تهوية التربة ويعمل على تثبيت وتخزين العناصر الغذائية في جذور النباتات ويزيد من خصوبتها.

وتتم عملية التحلل الحراري للأخشاب وللمخلفات النباتية على درجة حرارة تتراوح ما بين 400 إلى 500 درجة مئوية، وينجم عنها نحو برميل من الزيت لكل طن واحد من تلك المواد العضوية ونحو 80 كيلوغراماً من الفحم، بالإضافة إلى عدد من الغازات المهمة التي يمكن استخدامها كوقود. كما تجري حالياً تجارب موسعة لاستخدام الطحالب لكي تكون هي الكتلة الحيوية التي يمكن تحويلها إلى وقود وفحم.

ومن أهم مزايا عملية التحلل الحراري للمواد العضوية، أنها لا تتسبب في حدوث تأثيرات بيئية ضارة إذا تمت في ظروف محكمة. وبالتالي فإنها أكثر قبولاً في العالم من طريقة الحرق المباشر للخشب والمواد العضوية الأخرى. وهي تقدِّم في الوقت نفسه حلاً لمشكلة تراكم المخلفات العضوية وبقايا المزارع والأشجار والقش وغيرها من المخلفات التي تشكِّل عبئاً على البيئة وتستهلك مساحات شاسعة من الأراضي التي يمكن استخدامها في الزراعة أو للتوسع العمراني.

مُحسِّنٌ للتربة ولحماية البيئة

يُعدُّ الفحم الحيوي من محسِّنات التربة. فقد استخدم في الزراعة التقليدية منذ زمن طويل. وبيَّنت الدراسات التي أجراها علماء الآثار والجيولوجيا والبيئة أن سكان أمريكا الأصليين كانوا قبل عدة مئات من السنين من وصول الأوروبيين إلى قارتهم، يضيفون الفحم الحيوي إلى أراضيهم الزراعية كسماد طبيعي يساعد في تحسين خواص التربة، وبالتالي زيادة إنتاجيتها للمحاصيل الزراعية، وكانت التربة المخصّبة بالفحم الحيوي تعرف باسم التربة السوداء.

وفي الواقع، تشير التجارب إلى أن إضافة الفحم الحيوي للتربة الزراعية يحسِّن من خصائصها الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية، ويعود هذا إلى أنه عند إضافة الفحم الحيوي إلى التربة الرملية التي تجري فيها المياه بسرعة كبيرة، فإن الفحم يعمل على تباطؤ حركة الماء بمعدل 92%، أما عند إضافة الفحم إلى التربة الطينية التي تحتفظ عادة بالماء بشكل كبير، فإنه يعمل على زيادة حركة

%32
ارتفاع متوسط عائدات المَزارِع المستخدمة للفحم الحيوي عند مقارنتها بالمَزارِع التي لم تستخدمه.

الماء بنسبة تزيد على 300%، حسبما صرحت به الباحثة ريبيكا بارنز المتخصصة في الكيمياء الأرضية الحيوية في كلية كولورادو الأمريكية.
كذلك فإن الفحم الحيوي يعمل على تثبيت وتخزين العناصر الغذائية في جذور النباتات، مما يؤدِّي إلى جذب بعض الأحياء الدقيقة التي تلعب دوراً مهماً في تحقيق التوازن البيولوجي داخل التربة، وزيادة خصوبتها من خلال عملية تحويل النيتروجين إلى مركبات نيتروجينة ذات فائدة للنبات في تكوين البروتين بفعل النشاط الميكروبي داخلها. كما يساعد الفحم الحيوي على تهوية التربة بشكل كبير، ويزيد أيضاً من نسبة البوتاسيوم وبعض المواد العضوية فيها. فالفحم الحيوي يكون أكثر ثباتاً من المواد العضوية الأخرى التي تضاف للتربة لتحسين خصوبتها، الأمر الذي يؤدّي بالتالي إلى زيادة نمو النباتات، مع كل ما لهذه الزيادة من مفاعيل اقتصادية وبيئية. إضافة إلى أنه سيقلِّل من الاعتماد المفرط على الأسمدة الكيميائية والمخصبات التقليدية ذات التأثيرات الضارة على كافة النظم البيئية.
وحسب الدراسات التي أجراها الباحث أندروكران دروش من جامعة كاليفورنيا، والتي تناولت آثار استخدام الفحم الحيوي في التربة المتدهورة في منطقة غرب كينيا، فقد ارتفع متوسط عائدات المزارع المستخدمة للفحم بنسبة بلغت 32% عند مقارنتها بالمزارع التي لم تستخدمه.
وفي سياق متصل، فإن التخلص من المخلفات النباتية كالأخشاب وقش القمح وغيرها يُعدُّ مشكلة يعاني منها كثير من دول العالم. فهذه المخلفات عندما تترك لتتحلل على سطح الأرض أو في مقالب النفايات، فإنها تنتج كميات هائلة من غاز ثاني أكسيد الكربون المسبب الرئيس لظاهرة الاحتباس الحراري. ومن ثم فإن عملية تحويل تلك المخلفات النباتية لفحم حيوي ومزجها مع التربة الزراعية سوف يحسِّن من خصوبة الأرض ويخلِّص في الوقت نفسه البيئة من تلك الكميات من ثاني أكسيد الكربون التي كانت ستنبعث في الغلاف الجوي للأرض.

اهتمام متزايد

نتيجة لكل ما تقدَّم، تتعاظم اليوم الأهمية التي توليها دول العالم لاستخدام الفحم الحيوي في الحد من تدهور الأراضي الزراعية ومكافحة التصحر والتخفيف من آثار التغير المناخي. ففي الهند، يتم التوسع حالياً في إنتاج هذا الفحم للاستفادة



الفحم الحيوي يعمل على تثبيت وتخزين العناصر الغذائية في جذور النباتات مما يؤدِّي إلى جذب بعض الأحياء الدقيقة التي تلعب دوراً مهماً في تحقيق التوازن البيولوجي داخل التربة

الفحم الحيوي يحمل فوائد كثيرة للمزارعين نظراً لتعزيزه لجودة التربة الزراعية، بينما قد يكون عنصراً رئيساً من عناصر الزراعة الذكية مناخياً التي ستساعد على التخفيف من آثار التغير المناخي والحد من انعكاساته الخطيرة.

من الغازات المرافقة لعملية إنتاجه لتوليد الطاقة، والاستفادة من الفحم لزيادة خصوبة التربة. وفي البرازيل ثَمَّة مساعٍ حثيثة في إنتاج كميات كبيرة من الفحم الحيوي من خلال زراعة عشب "ناب الفيل" الذي يتميز بنموه السريع وإنتاجه الكبير للكتلة الحيوية، حيث يمكن استخدامه لإنتاج الوقود الحيوي والفحم.

أما في أستراليا فيتم حالياً الاهتمام بإنتاج الفحم الحيوي من حقول الأرز لاستخدامه في تحسين نوعية التربة الفقيرة في بعض المناطق في البلاد. كما تسعى جزر المالديف لإنتاج الفحم الحيوي من مخلفات المحاصيل الزراعية التي سيتم خلطها مع نفايات الأسماك. ومن خلال عملية التحلل الحيوي سيتم إنتاج وقود حيوي وفحم سيستعمل لتحسين التربة.

من جهة أخرى، ازدادت مبيعات الفحم الحيوي في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل كبير خلال السنوات القليلة الماضية. وقد تضاعفت عدة مرات في أعقاب نشر عدد من الدراسات التي بينت أهميته لتحسين التربة، ومنها تقرير للبنك الدولي نشر في عام 2014م، جاء فيه أن الفحم الحيوي يحمل فوائد كثيرة للمزارعين نظراً لتعزيزه لجودة التربة الزراعية، وأن الفحم الحيوي قد يكون عنصراً رئيساً من عناصر الزراعة الذكية مناخياً، التي ستساعد على التخفيف من آثار التغير المناخي والحد من انعكاساته الخطيرة. ولذا، ليس من المستغرب أن نجد عدداً كبيراً من الشركات في أمريكا تبيع هذا النوع من الفحم بالجملة والمفرق للمستهلكين ومن ضمنها موقع آمازون على الإنترنت.



إزالة الملوثات

يُعدُّ الفحم الحيوي المصدر الرئيس لإنتاج الكربون المنشط الذي يستخدم على نطاق واسع في كثير من العمليات الصناعية والكيميائية والطبية، ومنها تنقية مياه الشرب والري وتخليصها من الملوثات الكيميائية التي قد توجد فيها، وذلك بفعل امتلاكه لأسطح مسامية كبيـرة تسمـح للملوثـات بالالتصاق بها.

وبينت التجارب التي أجريت على الفحم الحيوي في جامعتي فلوريدا وأريزونا في الولايات المتحدة الأمريكية إمكانية استخدامه لمعالجة المياه الملوثة وفصل بقايا الأدوية والمضادات الحيوية منها، كبديل عن استخدام الكربون المنشط الذي يستطيع القيام بذلك، إلا أن تكلفة إنتاجه العالية بسبب استهلاكه كثيراً من الطاقة تحدُّ من التوسع في استخدامه، ولذا كان الفحم الحيوي بديلاً اقتصادياً مناسباً.

وحول فوائد الفحم الحيوي في تنظيف المياه الملوثة، يقول تشارلز بيتمان المتخصص في الكيمياء في جامعة ولاية ميسيسبي الأمريكية: "إن جزيئات الفحم الحيوي تمتلك مساحة سطح كبيرة نسبياً، وهي قادرة على تأمين عدد هائل من المواقع القادرة على استقبال المواد الملوثة والارتباط بها. وسيكون لهذا النوع من المعالجة نفع كبير في الدول التي تفتقر لأنظمة معالجة المياه فيها".

من جانب آخر، يمتلك الفحم الحيوي قدرة جيدة على تخليص المياه العادمة من بعض العناصر الثقيلة والأيونات الكيميائية الضارة كأيونات المنجنيز والحديد التي يشكِّل وجودها في المياه مشكلة بيئية، نظراً لمخاطرها على كافة الكائنات الحيَّة، حيث تتجمع هذه العناصر الضارة وتترسب في الأنسجة الحية وتتسبب في حدوث التسمم وإلحاق أضرار فادحة بالأجهزة الحيوية المختلفة.

وقد اهتمت وكالة حماية البيئة في الولايات المتحدة وكذلك عدد من الوكالات الأمريكية بالفحم الحيوي بعد أن تبينت قدرته على الارتباط مع المعادن الثقيلة الموجودة في التربة، مما يمنع وصولها إلى جذور النباتات أو المياه، وهذا سيكون له منافع جمة في إعادة إحياء الأراضي التي حفرت فيها مناجم تعدين، كما هو الحال في مدينة "آسبن" بولاية كولورادو، حيث ساعدت إضافة الفحم إلى التربة في عام 2010م في تخفيف آثار نفايات المناجم الموجودة في تلك المنطقة منذ عقود، وذلك بتحييد تأثيرات المعادن الثقيلة الموجودة الموقع.

ختاماً، وباختصار، نشير إلى أن الاهتمام العالمي بالفحم الحيوي آخذ في التزايد، لأنه حلٌّ ملائمٌ لتراكم ملايين الأطنان من النفايات الناتجة من مدننا، وفي الوقت نفسه سيعزِّز من إنتاجية الأراضي الزراعية المنهكة التي تكابد لسد حاجات البشر المتزايدة من الغذاء والطعام. وعلى الرغم من أنه لن يصنع المعجزات فإنه سيكون ذا نفع كبير للأجيال المقبلة التي ستعيش على هذا الكوكب.

علاج جيني ضد السُّمْنة

يبدو الأمر جميلاً إلى درجة يصعب تصديقه، لكن المقاربة الجديدة التي تسمح لنا بتناول الطعام بقدر ما نريد دون اكتساب الوزن، قد تصبح واقعاً في المستقبل القريب.

فقد تمَّت إزالة جين واحد يُعرف باسم RCAN1 في الفئران، وبعد ذلك تمَّت تغذيتها بنظام غذائي عالي الدهون، فلم يزد وزنها أبداً حتى بعد التهامها هذه الأطعمة لفترات طويلة.

ويأمل الفريق العلمي العالمي، الذي قام بهذا الاختبار بقيادة داميان كيتينغ من جامعة فلندرز في أستراليا وباحثون من جامعة تكساس، باتّباع النهج نفسه على البشر لمكافحة السُّمْنَة والأمراض الخطيرة مثل مرض السكري.

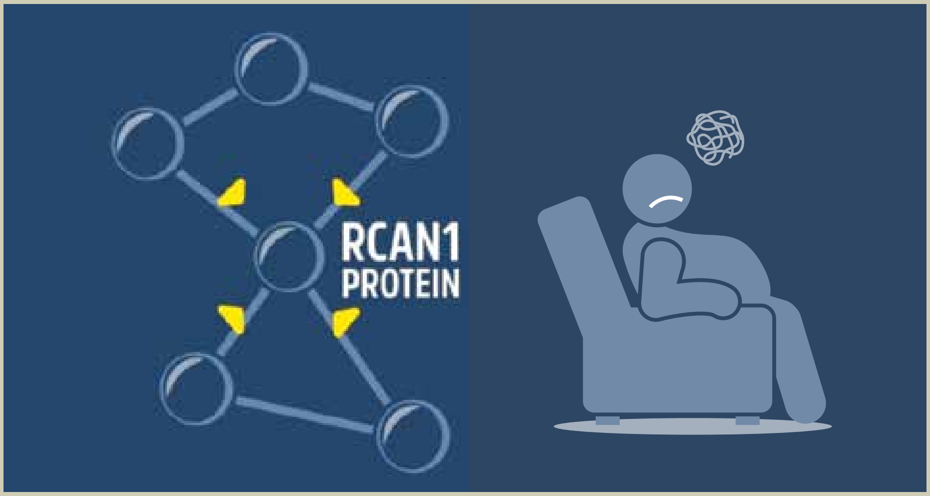
يقول البروفيسور كيتنغ، من مختبر علم الفسيولوجيا الجزيئية والخلوية في كلية الطب والصحة العامة في فلندرز: "نعرف أن كثيراً من الناس يكافحون من أجل إنقاص الوزن، أو حتى التحكم في وزنهم لأسباب مختلفة. والنتائج في هذه الدراسة يمكن أن تعني تطوير حبة دواء تستهدف وظيفة RCAN1 وتؤدي إلى فقدان الوزن".

والمعروف أن هناك نوعين من الدهون في جسم الإنسان، الدهون البنية التي تحرق الطاقة، والدهون البيضاء التي تخزن الطاقة.

ويقول البروفيسور كيتنغ إن تعطيل الـ RCAN1 يساعد على تحويل الدهون البيضاء غير الصحية إلى دهون بنية سليمة، مما يقدِّم طريقة علاج محتملة في مكافحة السُّمْنَة. ويضيف: "لقد طوَّرنا بالفعل سلسلة من الأدوية التي تستهدف البروتين الذي يصنعه هذا الجين، ونحن الآن بصدد اختبارها لمعرفة ما إذا كانت تمنعه، وما إذا كانت قد تمثل عقاقير محتملة جديدة لمكافحة السُّمْنَة. وهذا يعني أن الجسم سيخزن كمية أقل من الدهون دون حاجة الفرد إلى تقليل استهلاك الطعام أو ممارسة مزيد من التمارين".

ومعلوم أن ثلثي البالغين الأستراليين وربع الأطفال يعانون من زيادة الوزن أو السُّمْنَة. كما أن الإحصاءات في هذا الشأن باتت مثيرة للقلق في بلدان عديدة مثل بريطانيا والولايات المتحدة.

المصدر: **Sciencedaily.com**



هكذا ترى الطيور العالم



الصورة على اليمين كما تراها الطيور، بينما الصورة على اليسار كما يراها البشر

صمَّم علماءُ من جامعة لوند في السويد، كاميرا تكشف كيف ترى الطيور الألوان في محيطها. وتبيَّن أنها ترى واقعاً مختلفاً تماماً مقارنةً بما نراه نحن. فرؤية الألوان عند البشر تعتمد على ثلاثة ألوانٍ أساسية: الأحمر والأخضر والأزرق. بينما تستند رؤية الألوان عند الطيور على هذه الألوان نفسها، مضافاً إليها اللون فوق البنفسجي. وقد أظهر علماء الأحياء في لوند الآن أن اللون الأساسي الرابع للطيور، فوق البنفسجي، يعني أن الطيور ترى العالم بطريقة مختلفة تماماً. ومن بين أمورٍ أخرى، ترى الطيور مثلاً تباينات في أوراق الشجر الكثيفة في الغابات، بينما يرى الناس فقط جداراً أخضر.

ويقول دان إريك نيلسون، الأستاذ في قسم علم الأحياء في جامعة لوند: "ما يبدو أنه فوضى خضراء للبشر، هي أوراق يتميَّز بعضها عن الآخر بالنسبة للطيور. لم يكن أحدٌ يعرف هذا قبل هذه الدراسة". إن إضافة اللون فوق البنفسجي إلى الرؤية يجعل البنية الثلاثية الأبعاد لأوراق الشجر الكثيفة واضحة للطيور. وهذا بدوره يسهِّل عملية الانتقال والعثور على الطعام والتنقل.

صمَّمت الكاميرا "مجموعة لوند للرؤية"، وجهزتها بمصافٍ على شكل عجلات دوَّارة صنعت خصيصاً لهذه الكاميرا، مما يجعل من الممكن إظهار ما تراه الحيوانات المختلفة بوضوح، ويمكّن الكاميرا من تحسس الألوان بدرجة عالية من الدقة، كما تتحسسها أربعة أنواعٍ مختلفة من الأقماع في شبكية عين الطيور.

ويضيف نيلسون: "لقد اكتشفنا شيئاً من المحتمل أن يكون مهماً جداً بالنسبة للطيور، كما أن بإمكاننا أن نكشف كيف يظهر الواقع للحيوانات الأخرى أيضاً. قد يكون لدى الناس فكرة مسبقة أن ما نراه هو الواقع، لكنه واقع بشري للغاية. أما الحيوانات فتعيش في واقع آخر. وأصبح بإمكاننا الآن أن نرى من خلال عيونهم ونكشف كثيراً من الأسرار. فالحقيقة هي كما تبدو في عين الناظر".

المصدر: **Sciencedaily.com**

فحص دم يكشف انسداد شرايين القلب

توصَّل باحثون من المركز الطبي في جامعة ديوك الأمريكية، في اختبار تجريبي، إلى أن فحصاً للدم يمكنه أن يكشف لنا في مستقبل قريب، ما إذا كانت الشرايين التي تحمل الدم إلى القلب ضيقة أو مسدودة، والتي هي عامل خطر للإصابة بأمراض القلب. وقد نشرت نتائج هذا الاختبار في مجلة "بلوس وان"، 2019م.

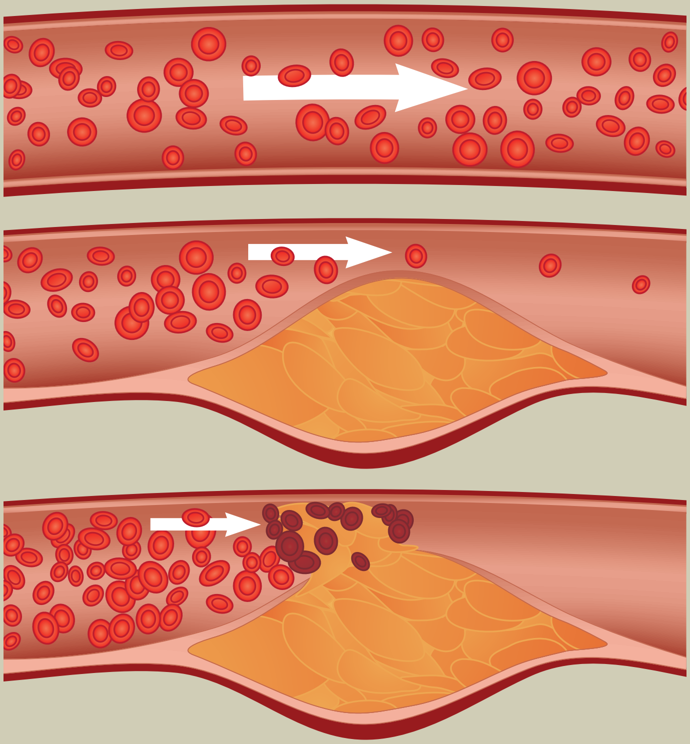
فقد أجري الاختبار على 40 شخصاً ممن دخلوا قسم الطوارئ مع أعراض مرض الشرايين التاجية، مثل ألم الصدر والفك والكتف، وبعد خضوعهم لاختبار إجهاد القلب، أظهروا علامات تدل على انخفاض تدفق الدم إلى القلب.

وبعد ساعتين من اختبار الإجهاد، ظهر تغيُّر قد حصل في خمسة أنواعٍ من المستقلبات (جزيئات تتشكَّل خلال عملية الأيض) في دمائهم.

ويأمل الباحثون أن تؤكد دراسات أكبر أن التغيرات الحادة في هذه المستقلبات من الأحماض الدهنية والأحماض الأمينية، التي تمثل مصادر طاقة للخلايا، يمكنها أن تكون مؤشراً بيولوجياً مبكراً على أن هناك عوائق أمام تدفق الدم. وهكذا يمكن لهذا الفحص أن يكمل، أو حتى يحل محل الاختبارات الحالية.

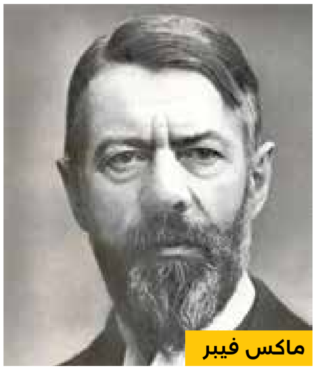
ويقول المؤلف الرئيس للدراسة ألكسندر ميمكاكند: "يقوم أخصائيو القلب عادةً بإجراء اختبار إجهاد لتحديد من هم في خطر الإصابة بأمراض القلب. ويوجههم هذا الاختبار إلى ما إذا كانوا بحاجة إلى فحوصات أكثر تعقيداً مثل القسطرة. لكن تعزيز صور اختبار إجهاد القلب مع المؤشرات الحيوية للمستقلبات (التي ظهرت في اختبارنا)، قد يجعل هذه العملية أدق وأسهل وأجدى".

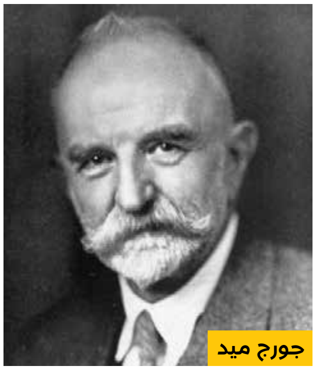
المصدر: Scien-technews.com



نظرية

التفاعل الرمزي الاجتماعي


ماكس فيبر


جورج ميد

تهدف معظم النظريات الاجتماعية إلى فهم تركيب المجتمع وعلاقاته والسلوك الفردي والاجتماعي، ومنها نظرية التفاعل الرمزي، التي تركِّز على تفاصيل ورموز الحياة اليومية وماذا تعنيه.

يعتقد بعض علماء الاجتماع أن جذور هذه النظرية تعود إلى الفيلسوف الألماني ماكس فيبر (1864-1920م)، الذي يعتقد أن الأفراد يتصرفون بناءً على تفسيرهم الخاص لما يعنيه العالم من حولهم. كما يُعدُّ عالِم الاجتماع الأمريكي جورج ميد (1863-1931م) أول من أدخل هذه النظرية إلى علم الاجتماع في عشرينيات القرن العشرين.

الرموز هنا تعني مجموعة الوسائل التي يستعملها الناس فيما بينهم لتسهيل عملية التواصل. وهي تشمل الإشارات والعلامات والأدوات والحركات والأصوات والانطباعات والصور الذهنية التي يصنعونها، وأهمها اللغة.

ووفقاً لهذه النظرية، يعلق الناس معاني على هذه الرموز، ثم يتصرفون بناءً على تفسيرهم الشخصي لها. ويظهر ذلك جلياً في المحادثات الشفهية. فالكلمات المحكية لها معنى معيَّن بالنسبة للمتكلم. وخلال المكالمة الفعالة، يؤمَل أن يكون لها المعنى نفسه للمخاطَب. ولكن هذا الوضع المثالي غير موجود في الحياة اليومية الواقعية، على الرغم من أن الكلمة كرمز ترافقها مجموعةٌ من الرموز الأخرى المساعدة من حركات وإشارات ونبرات خاصة، لتأكيد المعنى الذي يقصده المتكلم. هذا التفاوت في فعالية المكالمة أو الاتصال، تجعل من الكلمات أشياءً غير ثابتة؛ إنها تحتاج إلى قصد وتفسير.

كذلك في التواصل الكتابي، يُعدُّ الترقيم من الرموز المهمة في البلاغة؛ فعلامات الاستفهام والتعجب والحذف تعبِّر عن النبرات الصوتية للكاتب؛ وإن لم نستعملها، تضيع معاني الكلمات وتتشتت. ولكن هل كل من يكتب يعلِّق نفس المعاني على تلك الرموز؟ هل الكاتب المتخصص في اللغة يعلق المعنى نفسه لكاتب من الهواة؟

الواقع هو أن معنى النص يصبح مفتوحاً ومتعدِّداً بتعدد القراء في عملية ديناميكية متغيِّرة ومتفاعلة، بين الكاتب وكل قارئ أو بين القرَّاء، تفسر العالم من حولهم بأشكال متغيِّرة باستمرار.

وبموجب هذه النظرية، فإن المجتمع وعلاقاته وتركيبته، هي نتيجة التفاعل الديناميكي المستمر لهذه الرموز ومعانيها.

ولكن نقاداً كثراً اعتبروا أن هذه النظرية، وعلى الرغم من هيمنتها على باقي النظريات في علم الاجتماع، تهمل التفسير الكلي أو الصورة الكبيرة للمجتمع. ويتهمون أصحابها أنهم يرون الشجرة ويتجاهلون الغابة؛ وأنهم يتجاهلون تأثير القوى والمؤسسات الاجتماعية على التفاعلات الفردية.



ماذا لو؟

اختفى الحقل المغناطيسي للأرض

تتألّف نواة الأرض من كرةٍ معدنية تبلغ حرارتها نحو 6000 درجة مئوية، وقطرها حوالي 1220 كلم. ويحيط بها رداء معدني سائل حرارته نحو 4500 درجة مئوية وسماكته حوالي 2400 كلم. وتحيط بهذا الرداء طبقة من الصخور الصلبة تسمى القشرة التي تتفاوت درجة حرارتها بين 870 درجة مئوية بالقرب من سطح الأرض و2200 عند اتصالها بالرداء، وسماكتها حوالي 2900 كلم.

إن الفرق في درجات الحرارة بين هذه المكوّنات يُحدث ما يعرف بـ "التمدد الحراري"، الذي يولد تياراً كهربائياً، وبالتوازي مع دوران الأرض على محوريها، يولد الحقل المغناطيسي حول الأرض.

وبالنظر إلى عدم ثبات هذه المنظومة، يصبح من المنطقي أن يكون هذا المجال المغناطيسي غير مستقر، ومتغيراً في قوته واتجاهه واستقطابيته. وهذا ما تمر الكرة الأرضية به الآن؛ إنها في حالة انعكاس مغناطيسيتها منذ حوالي 200 سنة. إذ يتبادل القطبان الشمالي والجنوبي الاتجاه، وهي عمليةٌ ستستمر لنحو 1500 سنةٍ مقبلة. حيث ستتغير إشارة البوصلة الحالية إلى عكسها. ويقول العلماء إنه خلال هذا التحوّل ضعفت قوة الحقل حوالي 10% حتى الآن، وهناك احتمال أن تضعف أكثر، وحتى التوقف لفترة معيّنة.

تمتلك الأرض درعين قويين ضد الأخطار العديدة الموجودة في الكون: الحقل المغناطيسي والغلاف الجوي. ومن دون الحقل المغناطيسي، فمن شأن الرياح الشمسية، وهي تيارات من الجسيمات المشحونة كهربائيـاً، أن تمـزق الغـلاف الجـوي حول كوكـب الأرض. وعلى هذا النحـو، يساعـد الحقل المغناطيسي للأرض في جعل الحياة ممكنة على كوكبنا.

والحال أن الانقلاب في القطبِ قد يسبب بعض المشكلات الفنية، لكنه لا يشكِّل خطراً على الحياة. فقد قام العلماء بأبحاث عديدة حول ما إذا أحدثت الانعكاسات السابقة كوارث، فلم يعثروا على أي شيء. وهناك احتمال ضئيل جداً، كما يقدّر العلماء، أن يختفي كلياً؛ فعند ذاك ستكون العواقب مقلقة.

فمن دون الحقل المغناطيسي الأرضي، ستكون تقنياتنا في خطر جرّاء العواصف الشمسية. ستتضرر شبكاتنا الكهربائية وأجهزة الكمبيوتر والأقمار الصناعية في الفضاء الخارجي وكافة الأجهزة الإلكترونية الأخرى لتعرضها لجزيئات عالية الطاقة من الأشعة الكونية والرياح الشمسية.

ستتعطل البوصلات التي نستخدمها في الملاحة على أنواعها وفي تنقلاتنا على الأرض، وسينعكس ذلك على حركتنا. صحيح أن أجهزة التموضع العالمية لا تعتمد على الحقل المغناطيسي، لكنها لا تشير إلى الاتجاه، بل تشير فقط إلى الموقع. والاعتماد على النجوم والكواكب لتحديد الاتجاه ليس دقيقاً.

والبشر ليسوا وحدهم في الاعتماد على الحقل المغناطيسي للأرض للملاحة. فعديد من الكائنات الحية مثل الطيور والسلاحف البحرية، وجراد البحر، ونحل العسل، وسمك السلمون، وذباب الفاكهة، جميعها لديها بوصلات بيولوجية يطلق عليها "المستقبِلات المغناطيسية" مبنية في أجسامها.

فمن دون الحقل المغناطيسي، يمكن أن تضيع السلاحف البحرية في البحر. وقد تطير الطيور المهاجرة في الاتجاه الخاطئ، مما يهدّد بقاءها. وقد يضيع نحل العسل في بحثه عن خلاياه، وسيؤثر ذلك على تلقيح الزهور والنباتات الأخرى. ومع تعرض قدراتهما الملاحية لخطر شديد، ستواجه هذه الكائنات والكثير غيرها خطر الانقراض، وستكون معاناة كوكبنا أكبر من أن تُقاس.

شاركنا رأيك
Qafilah.com
@QafilahMagazine



عالم محموم ومتسارع.. عصر السرعة.. الوقت لا ينتظر.. عدم تفويت الفرصة.. عبارات ما فتئت تطرق أسماعنا كل يوم لتصيبنا بنوبات من الهلع والرعب، إلى درجة أننا أمسينا مصابين "بالخوف من فوات الأشياء"، أو ما يُدعى اختصاراً بـ "فومو" (FOMO, Fear of Missing Out). إنه ببساطة زمن تمجيد السرعة في كل شيء: الطعام السريع، تبدّل الموضة بسرعة، وصفات إنقاص الوزن السريعة التي ستمنحك الجسم المثالي خلال أسبوعين، الدورات التدريبية السريعة التي تحيلك إلى خبير متمرِّس، كتب تطوير الذات السريعة التي ستحل جميعٍ المشكلات العاطفية والنفسية، وصولاً إلى العلاجات السريعة التي تزعم القدرة على معالجة الأمراض المزمنة! فكل هذه الأمور تدور في فلك اعتقاد وحيد: الحصول على أكبر نتيجة ممكنة بأقل جهد ممكن. وعلى الرغم من أن السرعة مطلوبة في حالات كثيرة، إلاَّ أنها غير مضمونة الجدوى في مواجهة المشكلات المعقَّدة، سواء أكنا نتحدَّث عن حياتنا الشخصية أو أعمالنا وعالمنا.

زاهر الحاج حسين

حول فضيلة التأني..

كيف نحلُّ مشكلاتنا في عصر التسرّع؟

ظهرت في الآونة الأخيرة حركة ثقافية تعلي من شأن التأني، أطلق عليها اسم "حركة التأني" ويعرّفها المؤلف كارل أونوريه في كتابه الرائج "في مديح التأني" (In Praise of Slowness) على أنها "ثورة ثقافية لمواجهة التصوُّر القائل إن السرعة هي الأفضل دائماً. إن فلسفة التأني لا تعني القيام بالأشياء كما يتهادى الحلزون، بل تعني القيام بكل شيء وفق السرعة المناسبة. إنها تعني الاستمتاع بالساعات والدقائق بدلاً من الانشغال بعدِّها، وأن نقوم بكل شيء بأفضل طريقة ممكنة بدلاً من أسرع طريقة ممكنة. إنها تعني أن الجودة أهم من الكم في كل شيء سواء أكان ذلك في عملنا أو في طعامنا أو في تربيتنا لأبنائنا".

نظامان للتفكير

فمن وجهة نظر بيولوجية، لا بد من الإقرار بأن ميل الإنسان إلى الحلول السريعة أمر طبيعي. فبهجة الانتهاء من شيء، وتدفق الهرمونات المرافق (هرمونات الحصول على شيء جديد)، تمنحنا شعوراً إدمانياً بالإنتاجية والإنجاز حتى ولو كان هذا الشعور زائفاً. وهذا ما يفسر المتعة التي نشعر بها سواء عقب الانتهاء من مرحلة في لعبة ما، أو عندما ننتهي من تنفيذ مهمة ما في العمل. فهذه جميعها تعمل وفق الآلية نفسها. وهذه الآلية هي التي تفسر إدمان أي شيء وإن كان بدرجات متفاوتة: تم الانتهاء من هذه المهمة.. تم الشعور بمتعة هذا الإنجاز.. انتقل الآن إلى مهمة جديدة. هذا من وجهة نظر بيولوجية، أما من وجهة نظر ثقافية، فقد أصبحنا نتوقع أن يحدث كل شيء بسرعة البرمجيات وتطبيقات الجوال، أي بالضغط على زر.

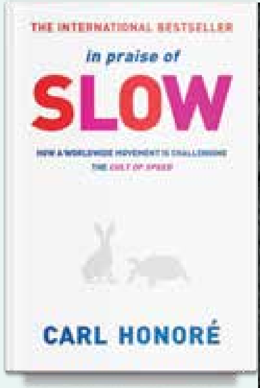
يذكِّرنا هذا بما كتبه حول هذا الموضوع العالِم النفسي والحائز جائزة نوبل في الاقتصاد دانيال كانمان في كتابه الشهير "التفكير بسرعة وبطء"، حيث تناول بشيء من التفصيل الممتع كيف يعمل دماغنا وفق نظامي تفكير مختلفين يعملان مع بعضهما وفق علاقة معقَّدة من الشد والجذب وبنسب متفاوتة عند كل فرد (نتيجة اختلافات جينية وبيئية وثقافية وتباين تجارب الحياة لكل فرد)، وهما:

- **النظام الأول،** وهو نظام التفكير السريع الذي يحدث عادة في اللاوعي ويتصف بالعاطفية والتلقائية والاندفاعية، ولا يحتاج منا إلى جهد كبير.
- **النظام الثاني** وهو نظام التفكير البطيء وهو نظام تحليلي يتعامل بلغة الأرقام والمنطق ويتطلب قدراً من الجهد والتدبر والوعي ومراعاة جميع الاحتمالات الممكنة.

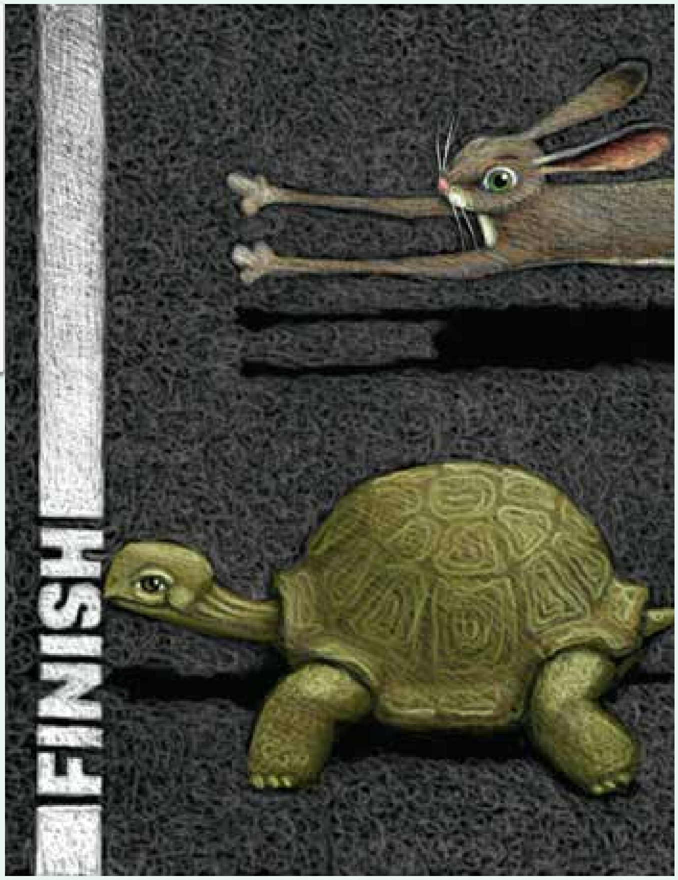
لذا، يكمن التحدي الأكبر هنا في الوعي بنمط التفكير الذي يسيطر علينا عندما نتخذ قراراتنا. أي أن نعي بأننا في هذه اللحظة قد نكون في قبضة نمط التفكير السريع في حلِّنا لمشكلة تتطلَّب النظام الثاني في التفكير. ومن جانب آخر، من الخطأ التعامل مع التحديات العاطفية بمنطق تحليلي بحت مع إغفال التلقائية والعفوية والحدسية التي يتمتع بها النظام الأول.



كتاب "التفكير بسرعة وبطء" لدانيال كانمان الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد



كتاب "في مديح التأني" للمؤلف كارل أونوريه



سمات الحلول المتأنية في مواجهة المشكلات العويصة

ويتحدَّث كارل أونوريه في كتابه الآخر "الحل المتأني" عن هوسنا بالحلول السريعة وعن السمات التي يجب أن تتسم بها الحلول المتأنية الضرورية لمواجهة مشكلاتنا العويصة (المشكلة العويصة هي تلك التي تكون فيها العناصر والاعتبارات غير واضحة ومتغيرة بشكل دائم)، ومن أبرزها ما يأتي:

الاعتراف بالأخطاء التي ارتُكبت

ولا نتحدث هنا عن البحث عن شماعة أو كبش فداء بل عن أهمية ألا ندفن رؤوسنا في الرمال، وأن ندرك بأنه لا يمكن لشخص ما مهما كان منصبه أن يملك كل الحلول. طبعاً الاعتراف بالخطأ هو قبل كل شيء ثقافة، أي ثقافة عائلية أو مؤسساتية تحض على مشاركة الأخطاء بدلاً من محاولة إخفائها، وبيئة تعلُّم مستمر بدلاً من بيئة تأديبية عقابية.

التفاصيل مهمة جداً ولكن قلّما وجدنا من يهتم بها. لماذا؟ لأن التفاصيل لا تلفت الأنظار عادة ونادراً ما تكون حديث الساعة والإعلام، لكنها هي التي تصنع الفرق في تصميم منتجاتٍ أو خدماتٍ جديدة.



التفكير في السبب الجذري وليس الأعراض

رغم بداهة هذه الفكرة إلا أنها من أصعب الخطوات في إيجاد حل متأنٍ، وذلك لصعوبة مقاومة الرغبة الجامحة للقفز المتسرع إلى النتائج. ذلك أن سبر أغوار المشكلة يتطلَّب التحلي بالصمت والهدوء ومشاهدة ما يحدث بعيداً عن إطلاق الأحكام. وفي هذا الجانب، يجب أن نراعي أيضاً أسلوب صياغتنا للمشكلة، لأن صياغة المشكلة تؤثر بشكل كبير على المشاركين في حلها، والأسوأ من هذا عندما نقترح أو نضمّن الحل في صيغة المشكلة، الأمر الذي يحد من قدرتنا على رؤية بدائل أخرى.

التفكير بعيد المدى

إن التفكير بعيد المدى يتطلَّب التصالح مع حقيقة أنه سوف يساء فهمنا لفترة طويلة في البداية. ومعظمنا قرأ أو سمع عن النهايات المأساوية أو الخسائر المتلاحقة للشركات التي جعلت من الربحية قصيرة المدى هدفاً بحد ذاته. ولكن هذا لا يعني تجاهل الأهداف قصيرة المدى، فعند تصميمنا للحلول لا بد من وضع مؤشرات أداء قصيرة المدى لأنها تساعدنا على تركيز أذهاننا وتوجيه طاقاتنا.

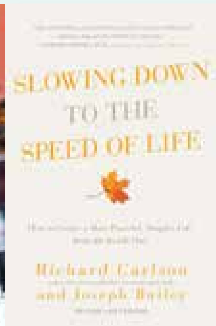
التفاصيل تصنع الفرق

التفاصيل مهمة جداً ولكن قلّما وجدنا من يهتم بها. لماذا؟ لأن التفاصيل لا تلفت الأنظار عادة ونادراً ما تكون حديث الساعة والإعلام. ومع ذلك، فالتفاصيل الصغيرة هي التي تصنع الفرق سواء في تصميم منتجات جديدة أو في تقديم خدمة ما أو حتى في علاقاتنا مع الآخرين.

لعنة الخبرة

مع تقدُّم سنوات الخبرة، تتطور لدى الإنسان مهارةٌ يدعوها علماء النفس مهارة التقطيع Thin-slicing، أي القدرة على رؤية أنماط معقَّدة بمجرد النظر إلى

معلومات محدودة، وهو ما يصقل لدينا الحدس. ولكن قد يقع الخبير في شَرَك خبرته التي قد تعميه عن رؤية المستجدات والتطورات. ورغم أهمية "الحدس" الذي ينميه ويصقله الخبير عبر سنوات عمله الطويلة، إلا أنه لا بد دائماً من حماية هذه الملكة العظيمة عبر التواضع.



التعاون مع عقول من خارج الاختصاص

قديماً، كان من الممكن أن نجد أولئك العباقرة متعدِّدي التخصصات كالرازي وابن سينا ودافنشي لأن المعارف وقتها كانت محدودة، ثم أصبح لا بد من التخصص الدقيق في مجال معيَّن. ولكن مع هذا التخصص تأتي مشكلة الرؤية الضيقة ولعنة الخبرة التي أشرنا إليها. ومن هنا تأتي أهمية التفاعل والتعاون بين أفراد من تخصصات متباينة (أو ما يعرف بالتلاقح الثقافي). هذا الأخذ والرد، وتلك النقاشات والمواجهات الفكرية تُعدّ ضرورية للغاية إذا أردنا قدح شرارة الإبداع وخلق مناخ من التنوُّع الفكري، كي لا نقع ضحية عقلية "القطيع الواحد" أو البيروقراطية الفكرية الجامدة. وهذا يقودنا إلى النقطة التالية.

الحكمة الكامنة في الجموع

إن إمكانات التعهيد الجماعي (crowdsourcing) التي شهدناها مع تطور منصات الابتكار المفتوح وبرمجيات التعاون والتشارك وشبكات التواصل الاجتماعي، فتحت أمامنا الباب على مصراعيه لكي نرشف رحيق الحكمة الكامنة في العقل الجمعي لعدد كبير من الأشخاص الذين لا نعرفهم شخصياً. وفي كثير من الأحيان، يمكن لهذه الحكمة الجمعية أن تتجاوز في دقتها وصوابيتها خبرة الخبراء المختصين. ولكن في تعاملنا مع الجموع لا بد من أن نراعي عديداً من النقاط المهمة، وأبرزها الشفافية الكاملة مع الجموع وتجنب خلق شعور بأن هناك من يستغلها لغاية في نفسه، أو بأن هناك فرداً بعينه يملك هذا الجمع. وكذلك يجب التنبه إلى محاولات البعض التنمر والسيطرة على التفاعل، وعدم الدقة والتحيزات الفكرية، والوقت الطويل الذي تستغرقه النقاشات والتفاعلات بين الأشخاص. لذلك، عند طرح مشكلة للحل الجماعي لا بد من أن ننتبه إلى كيفية صياغة المشكلة وإدارة الجمع ومكافأته، ناهيك عن أهمية التفكير بالمشكلة في جو من الهدوء والعزلة قبل طرحها للنقاش الجماعي، وبذلك نكون قد جمعنا بين حكمة الجموع وعبقرية الفرد.



الدور التحفيزي للقائد

من الإجحاف أن نطالب أي قائد بأن تكون لديه إجابات واضحة حول المشكلات المركبة والمعقَّدة التي تعصف بنا، لذا يجب أن نتذكَّر دائماً بأن القائد لا يملك مفاتيح كل الأجوبة، ولكن تكمن أهمية دوره في تبني الرؤية، وتخصيص الموارد، وبناء الفريق الكفء، وتشبيك الأشخاص مع بعضهم بعضاً، وإدارة المقاومة أو الكسل الداخلي.

المشاعر والمرح واللعب وليس فقط المنطق

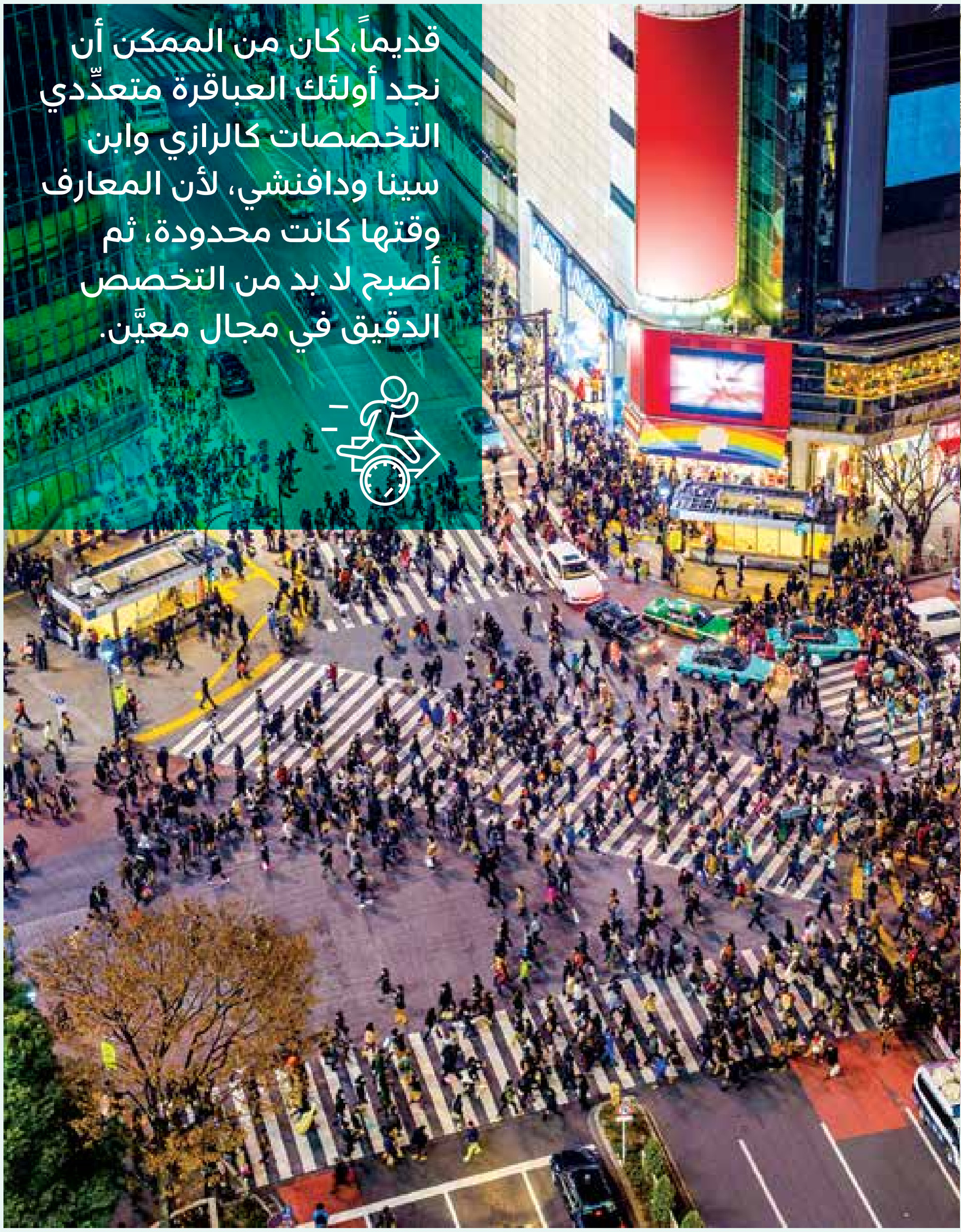
في كثير من الأحيان تتصف أساليبنا في حل المشكلات بالمنطق البارد والعقلانية المفرطة، حيث تبدو وكأننا نحاول إصلاح آلة ميكانيكية جامدة، ويقتصر الحديث على الأرقام والإحصاءات. ولكن الجانب العاطفي يقوم بدور جوهري في جميع القرارات التي نتخذها، بل وحتى في تلك التي نخال أننا توصلنا إليها بمحض المنطق البحت، وهذا ما تثبته مئات التجارب الشهيرة التي لا يسعنا ذكرها هنا. كما أن تحويل المسائل الشائكة إلى ألعاب بات من الطرائق المهمة في حل حتى المشكلات الأكثر جدية كالتعليم العام. فلدى الإنسان ميل طبيعي إلى اللهو والمرح، ولكنَّ عديداً من حلولنا للمشكلات تغفل هذه النزعة التي يمكن أن تحوِّل الحل من حل باهت إلى حل ممتع.

وسبب نجاح هذه التقنيات هو فهمها لعقل الإنسان الذي يميل إلى تحقيق الأهداف والحصول على عائد أو جائزة من هذا الإنجاز وقفزه إلى البحث عن هدف جديد. ويزداد هذا الشعور عندما تكون الجوائز غير متوقعة، وعندما يكون هناك مستوى عالٍ من الترقب. ومن أهم التقنيات هنا تصميم حلقة التقييم (feedback loop). فعديد من المبادرات والحلول تُمنى بفشل ذريع بعد نجاحها الأولي نتيجة غياب المعلومات التي نستطيع أن نفهم من خلالها كيف تسير الأمور. تخيل مثلاً أن تنهمك في لعبة ما من دون أي تكون هناك أي معلومات راجعة تساعدك على فهم مستوى أدائك أو ماذا يحدث من حولك! فالألعاب تجعلنا ميالين أكثر للتجريب والمخاطرة حتى ولو لم تكن جميع العوامل والاعتبارات واضحة أمامنا، لأنها تقوم أصلاً على حس الفضول الذي نتمتع به، ناهيك عن أنها تقدح فينا الإحساس بالمنافسة من جانب، والتعاون مع أعضاء الفريق من جانب آخر.

التأني لا يعني البطء أو العطالة أو الكسل، بل يعني القيام بالشيء وفق السرعة المناسبة، سواء أكان ببطء أم بسرعة هائلة. كما يعني أن نمنح كل لحظة في حياتنا الوقت والانتباه اللذين تستحقانه بدلاً من الجري المسعور نحو المواعيد النهائية.



مؤسس شركة فورد للسيارات، هنري فورد: "لا توجد مشكلات كبيرة، فهي عبارة عن عدد كبير من المشكلات الصغيرة"



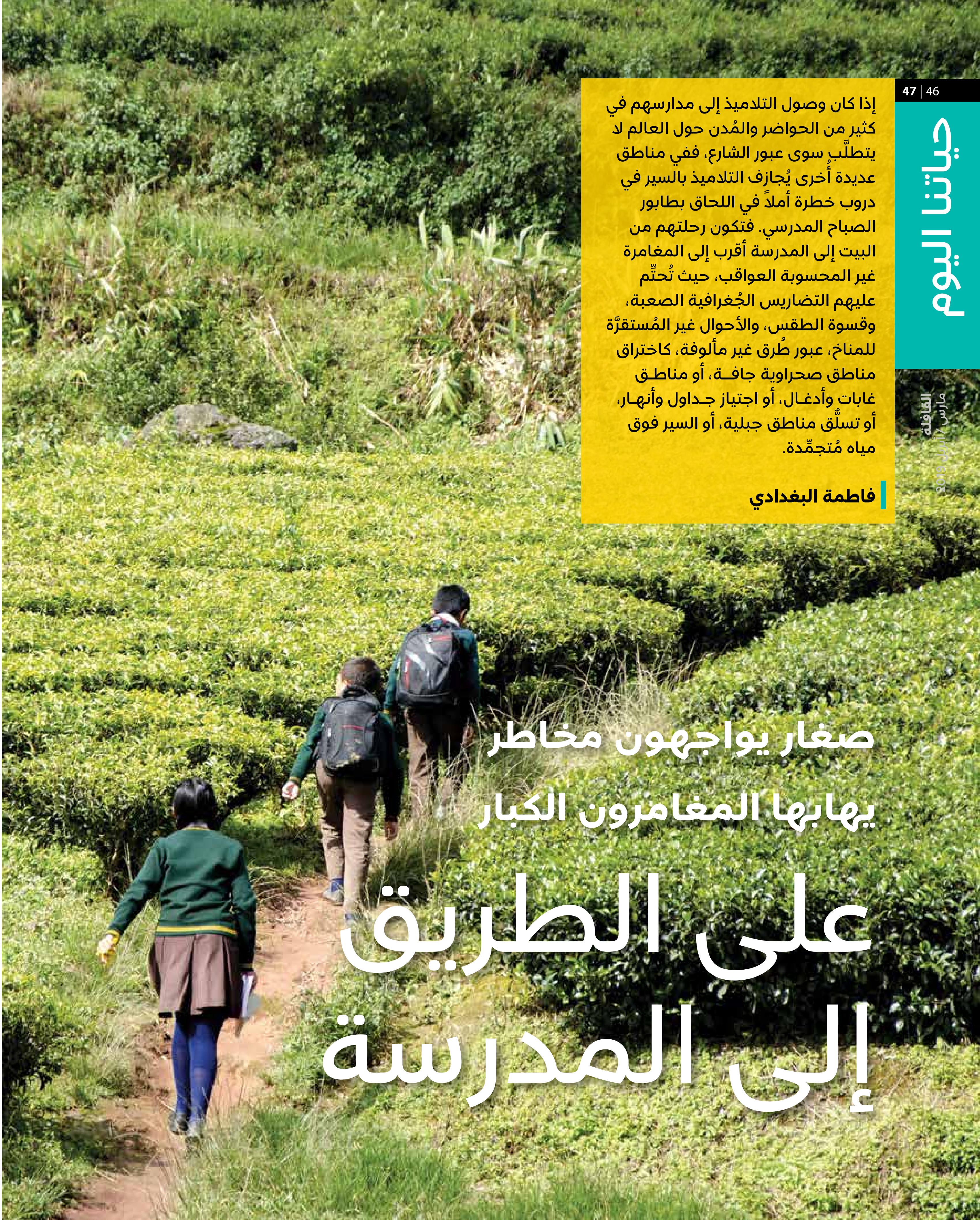
قديماً، كان من الممكن أن نجد أولئك العباقرة متعدِّدي التخصصات كالرازي وابن سينا ودافنشي، لأن المعارف وقتها كانت محدودة، ثم أصبح لا بد من التخصص الدقيق في مجال معيَّن.

تطوُّر الحل ونموه

هناك عديد من المشكلات التي لا يمكن حلّها بشكل كامل، وخصوصاً عندما يكون المنظور إلى المشكلة مختلفاً حسب وجهة نظر الرائي، بل هناك من المشكلات التي كلما حاولنا حلّها زدنا الطينة بِلَّة. لذلك، فنحن في هذه الحالة أمام عالم من المجهول واللايقين. والأفضل هنا أن نتبع طريقة وضع الفرضيات واختبارها وتنفيذها ثم مراقبتها وتعديلها ثم وضع فرضيات أخرى في حلقة مستمرة من التجريب والاختبار، وهذا هو أصلاً المنهج العلمي في الحل: تقبُّل الفشل مبكراً والفشل بسرعة والمحاولة من جديد، والاستمتاع بالعملية نفسها بدلاً من محاولات التشبث بـ "الحل الوحيد" الذي قد نعتقد واهمين بأنه الخلاص. ومن المهم هنا أن نتذكر كلمة هنري فورد "لا توجد مشكلات كبيرة، فهي عبارة عن عدد كبير من المشكلات الصغيرة".

إن التأني لا يعني البطء أو العطالة أو الكسل، بل يعني القيام بالشيء وفق السرعة المناسبة سواء أكان ببطء أو بسرعة هائلة. كما يعني أن نمنح كل لحظة في حياتنا الوقت والانتباه اللذين تستحقانه بدلاً من الجري المسعور نحو المواعيد النهائيـة. فحتى لو كنا تحت الضغط لحل مشكلة بسرعة كبيرة فلا ضير في ذلك، شرط أن نعود إليها مرة أخرى بعد أن نلتقط أنفاسنا، ونشرع من جديد في رحلة البحث عن حل متأنٍ.

ونختم باقتباس لطيف للكاتب الراحل ريتشارد كارلسون من كتابه "تمهَّل لتجري مع دبيب الحياة" (Slowing Down to the Speed of Life) حيث يقول:"عندما تتهادى مع سرعة الحياة فإن منظورك للعالم سوف يتغيَّر. سيغدو أبسط وأكثر حيوية. ستعمل بطريقة أذكى وأكثر حكمة من ذي قبل. ستدرك أن عديداً من الأشياء التي كنت تعتقد في السابق أنها أساسيات ما هي إلا أمور غير مهمة يمكن تأجيلها، أو تفويضها للآخرين أو حتى هجرها. يعيننا العيش مع دبيب الحياة على وضع أولويات حياتنا بطرق أجدى وأمتع. فبدلاً من انتظار الاستمتاع بحياتنا حتى ما بعد الانتهاء من جميع أعمالنا (الأمر الذي لن يحدث إطلاقاً)، يمكننـا أن نتعلَّم الاستمتاع بالرحلة بدلاً من أن تتسمر أعيننا فقط على المحطة الأخيرة". ←



إذا كان وصول التلاميذ إلى مدارسهم في كثير من الحواضر والمُدن حول العالم لا يتطلَّب سوى عبور الشارع، ففي مناطق عديدة أُخرى يُجازف التلاميذ بالسير في دروب خطرة أملاً في اللحاق بطابور الصباح المدرسي. فتكون رحلتهم من البيت إلى المدرسة أقرب إلى المغامرة غير المحسوبة العواقب، حيث تُحتِّم عليهم التضاريس الجُغرافية الصعبة، وقسوة الطقس، والأحوال غير المُستقرَّة للمناخ، عبور طُرق غير مألوفة، كاختراق مناطق صحراوية جافـة، أو مناطـق غابات وأدغـال، أو اجتياز جـداول وأنهـار، أو تسلُّق مناطق جبلية، أو السير فوق مياه مُتجمِّدة.

فاطمة البغدادي

صغار يواجهون مخاطر يهابها المغامرون الكبار

على الطريق إلى المدرسة

ثَمَّة أسس ومعايير معتمَدة في دول العالم لاختيار مواقع المدارس. وبشكل عام، سواء أكانت المدارس في قلب المدينة، أو في الريف، يتعيَّن عند اختيار مواقع هذه المدارس، خاصة التي تخدِم تلاميذ المراحل الأولى (صِغار السِن)، مراعاة الظروف البيئية السائدة في المنطقة، وأحوال الطقس، وأن تكون الطُرُق المؤدية إليها جيِّدة، وتتوافر فيها معايير السلامة مثل اللوحات الإرشادية الواضحة التي تُساعدهم على السير بأمان، وأن تكون بعيدة عن مصادر الضوضاء والدخان وكافة أنواع الملوّثات، التي تؤثر سلبـاً على صحة التلاميذ.. وكانت اليونيسكو قد وضعت توصيات إرشادية، هي أقرب إلى معايير ومواصفات للطُرق المدرسية الآمنة. ولكن، لألف سبب وسبب، لاشيء من هذه التوصيات وصل إلى مناطق نائية كثيرة في بعض دول العالم، فبقيت الطرق إلى بعض المدارس أقرب إلى ميادين المغامرات الخطرة، لا يجرؤ على اقتحامها غير الأطفال في طلبهم للعلم.

يتسلّقون الجبال في الصين

في مُقاطعة قوي تشو بجنوب غرب الصين، قرية تُدعى غن غوان، وأقرب مدرسة ابتدائية إليها تقع في منطقة جبليَّة، تَفرِض على التلاميذ القادمين إليها من القرية، اجتياز نفق محفور خارج الصخور، يعود تاريخه إلى نحو نصف قرن، وكان في السابق يُستخدم كمجرى مائي للري، ثم جُفِف، ليستَخدِمه المُشاة. وبعد اجتياز الخندق، يسلك التلاميذ ممراً مُتصاعداً ذا شكل حلزوني، مُغطًّى بالحصى، وهو ممر خطِر للغاية ويتطلَّب الحَذَر الشديد عند عُبوره، في أثناء الذهاب، وكذا الإياب.

وبحسب مُدير المدرسة السيد شو ليان غفان، الذي يحرِص على مُرافقة تلاميذه، عند اجتياز هذا الطريق في رحلة تستغرِق نحو ساعتين، فإن الإقبال على الدراسة لا ينقطع. فالآباء مُطمئنون، بفضل حِرص إدارة المدرسة على سلامة أبنائهم، ومرافقتهم في عبور الطريق الصعب.

وفي قرية تشانغ جياوان، الواقعة في أعماق الجبال، بمقاطعة هونان الصينية أيضاً، يتسلق التلاميذ سلالم حجرية حلزونية غير آمنة. ولا تقتصر خطورتها على كونها ضيِّقة، إذ إنها تميل إلى مواجهة جرف يبلغ ارتفاعه نحو 60 متراً. وحِرصـاً على أبنائهم، يقوم القرويون باستبدال هذه السلالم، مرّة كُل ثلاث إلى خمس سنوات.

ويعبرون الأنهر والغابات في إندونيسيا

وفي الأرخبيل الإندونيسي تتعدَّد الطرق المدرسية الصعبة التي يتعيَّن على التلاميذ اجتيازها. ففي سومطرا، يضطرّ تلاميذ قرية باتو بوسوك إلى السير فوق جسر معلّق غير مستقر، ويترنّح يميناً ويساراً أثناء السير عليه، وهو على ارتفاع 30 قَدمـاً فوق نهر متدفّق، ثم يواصلون السير في طريق طوله نحو سبعة أميال داخل الغابة، حتى يتمكَّنوا من الوصول إلى أقرب مدرسة إليهم في بلدة بادانج.

وإذا كان وضع الطريق يشكّل خطورة كبيرة على التلاميذ في الأوقات العادية، فإن هذه الخطورة تُصبح مضاعفة في الأوقات التي يسقط فيها المطر بغزارة، حيث يمكن أن تحدث الانهيارات الأرضية بشكل مُفاجئ.

وما تقدَّم يشبه إلى حد كبير معاناة تلاميذ قرية سانغ يانغ الإندونيسية، حيث يتعيَّن عليهم عبور نهر سيبيرانغ فوق جسر بدائي، مُعلَّق بالحِبال والأسلاك، ثم السير في طريق وعِر، للوصول إلى مدرستهم.

ثَمَّة مناطق نائية عديدة في بعض دول العالم، تعتبر الطرق إلى المدارس فيها أشبه بميادين المغامرات الخطرة، يُجازِف التلاميذ بالسير فيها، أملاً في اللحاق بطابور الصباح المدرسي، حيث تُحتِّم عليهم التضاريس الجُغرافية الصعبة، وقسوة الطقس، عبور مناطق صحراوية جافة، أو غابات وأدغال، أو اجتياز جداول وأنهار، أو تسلّق مناطق جبلية.



والأنهار الجليدية في النيبال

وفي النيبال، التي تشتهر بكثرة جبالها وأنهارها، يسلك التلاميذ جسوراً مؤلفة من حبال وأسلاك، ومرصوفة بألواح خشبية، تعرِّضهم لمخاطر جمّة، حيث يعني أي ارتباك أو زلَّة قَدَم السقوط في النهر أو الوادي.

ويُمكِن مُشاهدة ذلك، في مناطق عديدة، وخاصة في منطقة غوركا، عند قرية لويرانغ، الواقعة على بُعد نحو 80 كيلو متراً غربي العاصمة كاتماندو، حيث يوجد أكثر من جسر من الجسور المعلَّقة بالأسلاك، تصل بين ضفتي النهر. ولمرَّتين في السنة، يسلك تلاميذ إحدى المدارس الداخلية، الواقعة إلى أقصى الشمال الشرقي من نيبال، طريقاً طويلاً، على صفحة نهر مُغطًّى بعباءة جليدية.

ونفق معلّق من الإطارات في الفلبين

وفي الفلبين، ثمة طريق مثير للدهشة، يسلكه تلاميذ قرية نائية في مُقاطعة ريزال شرقي العاصمة مانيلا، للوصول إلى مدرستهم الابتدائية. هذا الطريق هو



أربعة أبطال في فِلْم وثائقي







يروي المُخرج الفرنسي باسكال بليس أن فلمه الوثائقي "في الطريق إلى المدرسة" يكاد أن يكون "ابن الصدفة". فهو لم يكن يخطط على الإطلاق لإنجازه، بل ذهب إلى كينيا لتصوير فِلْم وثائقي عن الحيوانات. إلاَّ أنه لاحظ خلال فترة إقامته في منطقة البحيرات الكبرى في شمال كينيا، بعض التلاميذ في طريقهم إلى مدارسهم. وعلى الرغم من فقرِهم والمشقَّة في سيرهم عبر طرق ومسالك صعبة، كانوا يتسامرون طوال الطريق. وهنا تولَّدت لديه فِكرة إنجاز فِلْم وثائقي عنهم. ثم طوّر فكرته بحيث يكون أبطال الفِلْم من عدة بلدان، مع مراعاة أن يكون القاسم المُشترك بينهم، المعاناة والمشقَّة الممزوجتين بالإقبال على التعليم في مدارس تبعد عن منازل ذويهم عدة كيلو مترات.

حظي هذا الفلم، عند عرضه الأول، بإقبال غير متوقَّع، حيث شاهده في الأسبوع الأول فقط، أكثر من 700 ألف متفرج، وزادت قاعات عرضه على 350 قاعة، بعد أن كان مقرراً عرضه في 180 قاعة فقط. ويحكي الفلم أربع تجارب مختلفة ومن بلدان مختلفة.

التجربة الأولى لتلميذ من الهند يُدعى صامويل، يبلغ من العمر 11 عامـاً، يسكن مع أسرته الفقيرة، في إحدى قرى خليج البنغال. ولحُبه الشديد لمواصلة التعلم، يُشاهَد وهو يندفع بكرسيه المتحرِّك على الطريق كل صباح، أملاً في أن يكون أول الواصلين إلى المدرسة. وعلى الرغم من إعاقته وبُعد مسكنه عن المدرسة نحو 4 كيلو مترات، إلاَّ أنه كان يحقق هدفه في الوصول أوّلاً إلى المدرسة بشكل شبه دائم، وسط إعجاب الجميع به وبإصراره وبروحه المرحة، حتى عندما يُصاب كرسيه المتحرِّك، المهترئ أصلاً، بعُطل في الطريق.

والتجربة الثانية، من الأرجنتين، بطلها كارلوس، ابن الأحد عشر ربيعــاً، الذي يسكن مع أُسرته الفقيرة في منطقة اسمها بات غوينا الريفية، والذي يمتطي كُل صباح الحصان، وإلى خلفِه أُخته الأصغر "ميكا"، ليسلك طريقاً وعراً طوله 18 كيلو متراً، خلال رِحلة الذهاب فقط، ومِثلها عند العــودة. وأمـل كارلوس هو أن يصبـح طبيبـاً، بينما تأمل أُختــه ميكا أن تُصبح مُعلِّمة.

وتحكي التجربة الثالثة، تجربة التلميذة زهيرة بادي، ذات الثانية عشر ربيعــاً، التي تسكن مع أُسرتها، في منطقة نائية من ريف جنوب المملكة المغربية. إنها تجهز نفسها كل أسبوع، لرحلة الذهاب سيراً على الأقدام لمُدة يوم كامل، حتى تصل إلى مدرستها، الواقعة في منطقة أسفي، تقطع خِلالها نحو 22 كيلومتراً، وتحمل معها ديكاً لبيعه في سوق المدينة لدى وصولها، والاستفادة من ثمنه في شراء الحلوى وبعض الأطعمة التي تُعينها، حيث إن المدرسة الداخلية تَصرِف لها وجبة غير كافية.

أما تجربة جاكسون، وهو رابع أبطال الفلم، وأبطال الواقع أيضـاً، والذي تجاوز عُمره العشر سنوات بقليل، فأبرز ما يميّزها هو التقشُّف الكبير الذي تعيشه أُسرته في شِبه كوخ داخل أدغال كينيا،





والصعوبات التي كان يتعرض لها جاكسون، أثناء سيره في طريق مشوب بكثير من المخاطر، بصُحبة شقيقته سالومي، وهي أصغر منه سناً. فقد كانا يقطعان مسافة تزيد على 7 كيلو مترات، مشياً على الأقدام للوصول إلى المدرسة. ويحرصان على حضور طابور الصباح. وشغف جاكسون وأخته بالتعلّم، جعلهما أشجع من غيرهما، في اختراق طرق لا تخلو من حيوانات الأدغال وقطّاع الطرق.





الشغف بالتعليم لدى الصِغار، وحِرص الكثير منهم أن يكونوا فاعلين في مُستقبل أوطانهم، كان سبباً رئيساً في جعل مُبادرة "التعليم أولاً"، التي أطلقتها الأمم المتحدة، على سلم الأولويات.

عبارة عن أنبوب، مجمَّع من الإطارات، ومُعلَّق على نهر جارٍ، ويحتاج عبوره إلى حذر شديد من المُشاة الكبار، فما بالك بالصغار الذين يمضون نحو ساعة كُل يوم للذهاب إلى مدارسهم، والعودة منها.

وعندما تتساقط الأمطار الغزيرة، يقترِب مُستوى مياه النهر من هذا الأنبوب، على نحو يصعب اجتيازه، فيضطَّر التلاميذ إلى المبيت عند أقاربهم، على الضِفَّة التي تقع فيها مدارسهم.

وفي نيجيريا مدرسة في بحيرة

وفي المساكن العائمة التي انتقل إليها سُكَّان الأكواخ القديمة، التي كانت إلى وقت قريب منتشِرة في قرية ماكوكو الواقعة على بحيرة لاجوس، من أعمال نيجيريا، ثمَّة مدرسة ابتدائية عائمة أيضــاً، تتسِع لنحو 100 تلميذ. ومع تباشير كُل صباح، تشاهد أسراب الزوارق الصغيرة، والطوافات البسيطة، وهي تتمايل على صفحة مياه البحيرة، ورُكّابها هم أطفال صغار، شغوفون بالتعليم.

وما يشبه ذلك في العالم العربي

وفي بعض المناطق النائية من عالمنا العربي، يُشاهَد كثير من التلاميذ وهم يجتازون طُرقــاً صعبة، تتطلَّب شيئاً من الشجاعة والمُجازفة، والأمثلة على ذلك كثيرة.

ففي أقصى جنوب مصر، وتحديداً في منطقة تدعى"غرب سهيل" النوبيــة، على الأطفــال أن يصحوا فجــراً، استعداداً لرحلة الذهاب إلى مدرستهم سيراً على الأقدام، فوق طريق غير معبّد وكثير التعرُّج، وتنتشر فيه برك الوحل والطيـن، نتيجة سقوط الأمطار. بينما يتجمع آخرون، ليركبوا معاً وسيلة مواصلات تُدعى "تروسيكل"، وهي عبارة عن درَّاجة نارية، تجرّ خلفها ما يُشبه الصندوق المُكتظ بالتلاميذ.

وفي شمال دِلتا النيل، في مصر أيضــاً، ثَمَّة بحيرة اسمها "المَنزَلة"، حيث يُشاهَد كُل صباح أطفال جزيرة العِزبي وهم يركبون قوارب بدائية، في رِحلة عبر ممرات مائية داخل البُحيرة، التي تنتشر في بعض مناطقها بكثافة نباتات "الغاب" العالية، إلى أن يصلوا إلى أقرب مدرسة في قرية "غيط العِنب"، من أعمال دمياط، بينما يتَّجه بعضهم إلى مدرسة أُخرى، في منطقة "ابن سلام"، القريبة من مدينة المطرية، من أعمال الدقهلية. وتستغرق هذه الرحلة ما يزيد على الساعة ونصف الساعة، ومثلها في رحلة العودة.

وكان المُخرج علي الغزولي، قد سجَّل ذلك في فلْم وثائقي شهير، يحمل عنوان "صيد العصاري"، الذي يحكي قصة تلميذ وأُخته، يركبان معــاً قاربــاً صغيراً، في رِحلة شاقة، للوصول إلى مدرستهم، وفي أيام العُطلات المدرسية، يخرج للصيد في البُحيرة.

وفي منطقة الأهوار العراقية، ما يشبه ذلك إلى حد كبير. إذ يتجمّع الأطفال على ألواح خشبية، بجوار مساكن ذويهم شبه العائمة، لينطلقوا بقواربهم البسيطة، على صفحة الماء، ضمن قوافل أو أسراب، بصُحبهم عدد من الأهالي لحمايتهم طوال الرحلة التي تمتد لعدة كيلو مترات، حتى يصلوا إلى مدارسهم. وللتخفيف من هذه المُعاناة، أنشئت مدارس متنقّلة، تشبه البيوت الجاهزة، المعروفة باسم "الكرفانات"، يتّسع كل منها لنحو 30 تلميذاً. إلاّ أن هذه المدارس غير مُريحة، ويتكدّس فيها التلاميذ مفترشين أرضيّتها.

وفي منطقة تدمر السوريَّة، بالقُرب من أحد أكبر وأشهر المواقع الأثرية، تعيش قبائل بدوية تنتشر الأُميَّة بين كبارها، الذين رأوا أن أولادهم، يجب ألاَّ يتجرَّعوا من كأس الأمية، فسجلوهم في مدارس تبعُد عن خيامهم عدة كيلو مترات. ويُشاهد بعض هؤلاء التلاميذ، وهم يمتطون الحمير والبغال، ليقطعوا طريقــاً صحراويــاً لا يخلو من المخاطر بفعل عزلته، ويخلو من أي لوحات إرشادية، ناهيك عن وجود الكِلاب والحيوانات الضالة، كما لا يخلو الطريق من العواصف التُرابية والصقيع خِلال فصل الشتاء. ومع ذلك يخرج هؤلاء الصغار كل صباح، للتوجه إلى مدارسهم، وينضموا إلى أقرانهم.

شغفهم بالعلم حرّك الأمم المتحدة

فعلى الرغم من تنوُّع الصعوبات التي تعترض هؤلاء الصغار في طرقهم إلى مدارسهم، فإن السمة المشتركة في ما بينها كلها هي في الإصرار على مواصلة التعليم. وكم من حِكايات وذكريات يرويها أشخاص صارت لهم مكانة مرموقة في مجتمعاتهم، تظهر مدى معاناتهم من طرق صعبة كانوا يسلكونها يوميــاً، للذهاب إلى مدرستهم، وأن من رَحم هذه المُعاناة، تولَّد لديهم الإصرار والعزيمة، على أن يرسموا طريقــاً طموحــاً لأنفسهم، وأن يكونوا مساهمين في تقدم مجتمعاتهم.

وكان تقرير صادر عن الأمم المتحدة قد أشار إلى أن الشغف بالتعليم لدى الصِغار، وحِرص كثير منهم على أن يكونوا فاعلين في مستقبل أوطانهم، كان سببــاً رئيسـاً في جعل مبادرة "التعليم أولاً"، التي أطلقتها الأمم المتحدة، على سُلَّم الأولويات، في جدول الخِطَّة الأُمية للتنمية المستدامة، والتنبُّه إلى ضرورة إعطاء جميع الأطفال في كافة أنحاء العالم، بما فيهم الذين يعيشون في المناطق الريفية والنائية، فرصة الذهاب إلى المدرسة لتحقيق آمالهم، والتحليق نحو مستقبل أفضل لهم ولأوطانهم.

تخصص جديد

العلوم التطبيقية في التحليل المكاني للصحة العامة

برنامج ماجستير العلوم التطبيقية في التحليل المكاني للصحة العامة، هو تخصص جديد اعتمدته كلية جونز هوبكنز بلومبرج للصحة العامة في العام الماضي 2018م. وهو يؤهِّل الطلاب لجمع المعلومات الجغرافية ورسمها وتفسيرها وتحليلها بشكل فعّال، لاختبار وتحسين الفرضيات التي تساعد على الإجابة عن مجموعة من الأسئلة في قطاع الصحة العامة.

وللتحليل المكاني علاقة وثيقة بالصحة العامة، إذ إن المعلومات والبيانات الصحية التي يتم جمعها بشكل روتيني من المواقع المختلفة (حيث أصبح الحصول عليها أسهل وأوفى بواسطة التقنيات المتقدِّمة) توفِّر مدخلاً للباحثين والممارسين لدمج قوة الجغرافيا في الصحة العامة. فقد أصبحت الخرائط آلية قوية ورائجة في أبحاث وممارسات الصحة العامة، ليس فقط لنقل المعلومات وتوليف البيانات من مصادر متعدِّدة، ولكن من أجل الوصول إلى اتجاهات جديدة وحديثة لتحليل بيانات الصحة العامة وتفسيرها.

ولكن التحليل المكاني يختلف عن نظم المعلومات الجغرافية (GIS)، فهناك عديد من التعريفات للتحليل المكاني، ولكنه بالمجمل يشمل استخدام أو تفسير للمعلومات الجغرافية. بينما تعد نظم المعلومات الجغرافية أحد مكوّنات التحليل المكاني، وهي تركِّز بشكل أساسي على برنامج رسم الخرائط كأداة لدمج البيانات المكانية ومعالجتها وعرضها.

ويغطي برنامج الماجستير في التحليل المكاني مجموعة أشمل من المهارات، من خلال إدخال وتعزيز نهج العلوم المكانية - وهو نهج شامل موحَّد يتضمَّن مكوّنات أساسية ثلاثة:

أولاً: البيانات المكانية، التي تواكب التقنيات المتقدِّمة للحصول على المعلومات المكانية ذات الصلة بطلب معيَّن وجمعها.

ثانياً: نظم المعلومات الجغرافية، الذي يعمل على دمج البيانات المكانية ومعالجتها وعرضها، مما يسمح بوضع التصورات المتزامنة لطبقات متعدِّدة من المعلومات المكانية.

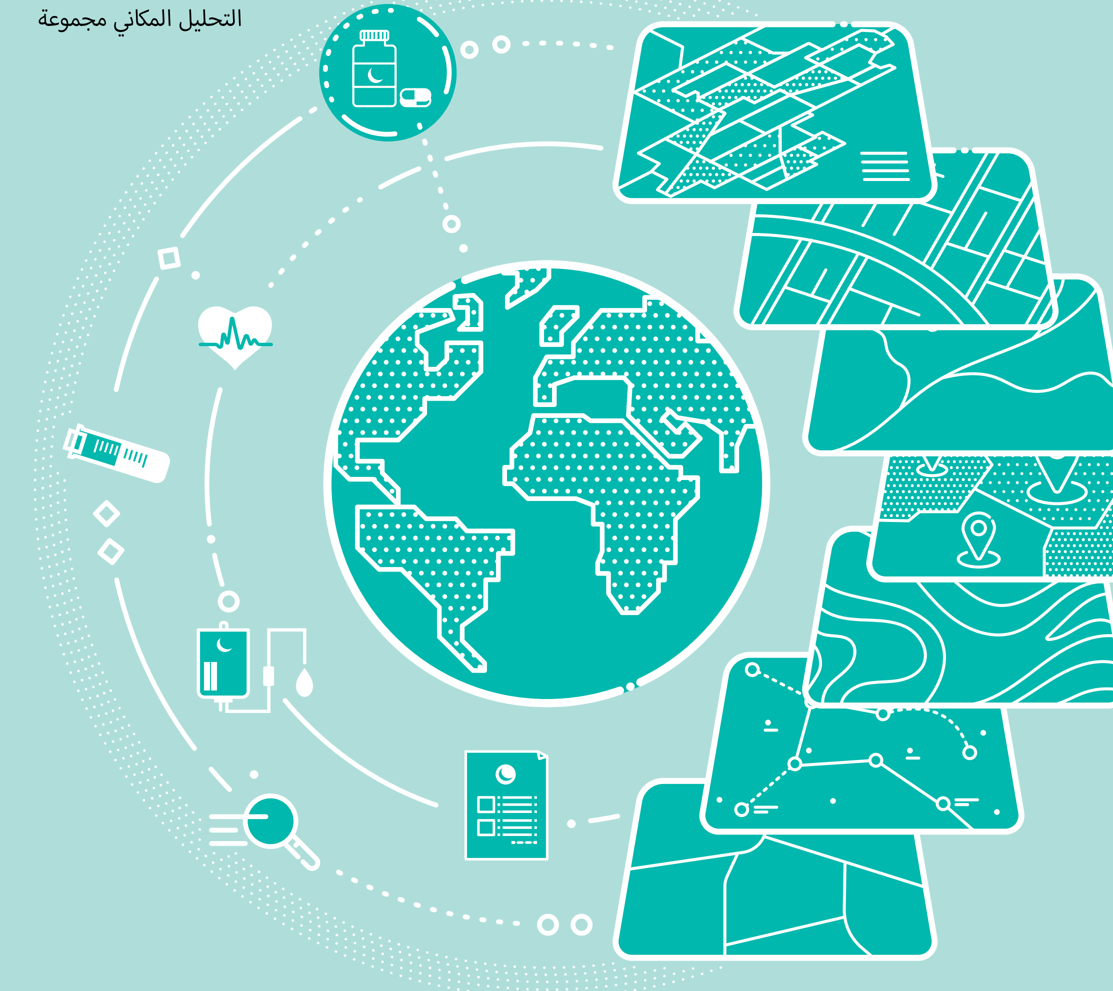
ثالثاً: الإحصاءات المكانية، التي تُعد أدوات تتجاوز الخرائط وتستخدم الأساليب الإحصائية لوصف وتحليل وتفسير طبقات البيانات المعينة.

وعلى الرغم من أن التحليل المكاني مجال ناشئ، فإنه أصبح ذا أهمية قصوى لمعالجة قضايا الصحة العامة، بفعل التقنيات المتقدِّمة المستخدمة فيه وتطبيقاته المتطورة. وتلبِّي المقررات المترابطة بعناية في هذا البرنامج الطلب المتزايد على الخبرة المتقدِّمة المتوفرة في برنامج العلوم المكانية الشامل.

ومن الأمثلة حول الطرق التي تؤثر فيها تطبيقات التحليل المكاني على الصحة العامة محلياً وعالمياً نذكر:

- توصيف الظروف البيئية مثل حركة السير والفقر والمناخ وجودة المياه.
- توصيف إمكانية الوصول إلى الرعاية، وتحديد مصـادر الطعـام الصحيـة / غير الصحيـة، ومصادر التلوث.
- توفير أدوات لتحسين تقييم التعرض لتلوث الهواء.
- ربط توصيفات البيئة وتغيراتها بالتغيـرات في الصحة العامة.
- رسـم خرائـط لخطـر الملاريا أو غيرها من الأمراض المعدية.

لمزيد من المعلومات يمكن مراجعة الرابط التالي:
Jhsph.edu



شاركنا رأيك
Qafilah.com
@QafilahMagazine



رحلة إلى القطب المتجمِّد الشمالي

جزيرة سفالبارد تستضيف الدب الأبيض

ليس بالأمر العادي أن تسمع حكاية شاب سعودي يعمل في مجال الحاسب الآلي ويقرِّر المغامرة في رحلة مع ستة عشر مصوراً من دول العالم إلى القطب الشمالي. إنه طالب عبدالله المرّي، الذي أمضى تسعة أيام في المحيط المتجمّد الشمالي، ليلتقط صوراً فوتوغرافية يضيفها إلى سجل مغامراته التي قام بها سابقاً في أدغال إفريقيا والهند، ودفعته إلى البحث عن المغامرة التالية.

عبدالوهاب العريض
تصوير: طالب المرّي

تقع جزيرة سفالبارد ضمن أرخبيل في منتصف الطريق بين النرويج والقطب الشمالي، وتبلغ مساحتها نحو 61 ألف كيلومتر مربع، أما عدد سكانها فلا يتجاوز 2600 نسمة. وتُعدُّ سفالبارد منطقة تزاوج لعديد من الطيور البحرية، ومن حيواناتها المعروفة الدببة القطبية والرنة والثعالب القطبية وبعض الثدييات البحرية. وتغطي الأنهار الجليدية حوالي 60% من مساحة الأرخبيل، الذي يظهر فيه عدد من الجبال والخلجان.

يتحدَّث طالب المرّي بحماسة ملحوظة حينما يسرد تفاصيل رحلته على متن الباخرة إلى سفالبارد، فيقول: "دوَّار البحر هو العدو رقم واحد للموجودين على متن السفينة، بشكل خاص عدو المصوِّر الذي يحتاج إلى كافة قواه الجسدية كي يلتقط الصورة المناسبة. فالسفينة قديمة جداً وقوية ولكنها تهتز بشكل دائم، ويعود ذلك إلى صوت المحركات القديمة وتلاطمها مع أمواج المحيط وتكسير الثلوج التي كانت تعترض طريق إبحارها. وعلى المسافر التعوّد على النوم أثناء ذلك الاهتزاز، وكذلك أثناء النهار، إذ إن الشمس تكاد لا تغيب عنها".

ومن المفارقات في هذه الرحلة، أن ثَمَّة معاهدة دولية خاصة بجزيرة سفالبارد، تشمل عدم استخدام السلاح في هذه الجزيرة. وبشكل فريد، تُعدُّ هذه الجزيرة منطقة معفاة تماماً من التأشيرات، وبإمكان الجميع أن يعيشوا ويعملوا فيها إلى أجل غير مسمى بغض النظر عن بلد المواطنة. كما تمنح رعايا الموقعين على المعاهدة الحق في الإقامة كالمواطنين النرويجيين، والعمل من دون أي تأشيرة.

مسار الرحلة

كانت الكويت محطة التجمع والانطلاق لفريق المصوِّرين الخليجيين الذين أمضوا نحو عام كامل في الاستعداد لهذه الرحلة، وتأمين متطلباتها من ملابس ومعدَّات تتلاءم مع درجات الحرارة المتدنية جداً.

ومن الكويت إلى العاصمة النرويجية أوسلو، ثم بالطائرة إلى جزيرة سفالبارد، حيث تم الاستقرار في أحد فنادقها. وكانت الحرارة فيها آنذاك 15 درجة مئوية تحت الصفر، وذلك نهاية فصل الصيف (سبتمبر 2018م).

لم يمكث الفريق في الجزيرة أكثر من ساعات النوم. ففي اليوم التالي استقل الباخرة السويدية التي تعود للحرب العالمية الثانية، وهي كاسحة جليد سبق لها أن تحوَّلت إلى متحف لآثار الحرب، قبل أن تصبح حاملة مغامرات.

على متن السفينة في الطريق إلى الجبل الأزرق

في الطريق البحري إلى المحيط المتجمد الشمالي الذي يبعد عن الجزيرة 1300 كلم، قام قائد الفريق، السويدي الجنسية، بتدريب مجموعة المصوِّرين على التصرف عند وقوع أي حدث طارئ خلال هذه الرحلة. كما جرى توزيع ملابس خاصة عليهم، تستطيع المحافظة على حرارة جسم الإنسان داخل الماء المتجمد لمدة 6 ساعات. كما تم التشديد على جميع الركاب بعدم ارتداء أي ملابس ثقيلة داخل السفينة.

استغرقت رحلة السفينة داخل مياه المحيط 9 أيام. وكان طاقم السفينة المكوَّن من 9 أشخاص تابعين لإحدى شركات التصوير

يسرد المرّي خصائص الدب الذي يصفه بالكائن الغريب، فهو يسبح لمسافة ثلاث مئة كيلومتر ملاحقاً الشمس إلى جهة روسيا للمحافظة على حرارة جسمه وبحثاً عن الطعام أيضاً. يفعل هذا على الرغم من أن حركته بطيئة كي لا يحرق السعرات الحرارية بسرعة.



أحد المصورين على متن السفينة يستمتع بمنظر شروق الشمس الذي يتكرر كل ثلاث ساعات



الثعلب القطبي وفروه الناصع البياض



العالمية، يتولون تنبيه مجموعة المصوِّرين حول اللحظات المناسبة للتصوير، بمجرد ظهور الدب أو الثعلب القطبي أو الحوت الأزرق أو الفقمة أو أسد البحر، وهي من الحيوانات المنتشرة في ذلك المحيط، إضافة إلى الطيور المتنوِّعة.
كان على متن السفينة 24 راكباً بين مصور وبحار. وصادفتها عواصف ثلجية أثناء الرحلة اضطرتها أن تبحر ما يقارب يوماً كاملاً قبل توقفها الأول لالتقاط الصور. فقد أمضى المبحرون الساعات الأولى من هذه الرحلة في التعود على السفينة والطقس الشديد البرودة، والخروج من دوار البحر، وتثبيت معدَّات التصوير.
ويقول المرّي: "كانت الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً حينما التقطتُ أول صورة للثعلب القطبي.. إذ تراكضت مجموعة المصوِّرين ليحصل كل واحد منهم على زاوية يستطيع من خلالها التقاط تلك الصورة".
ويضيف المرّي: "خلال الخمسة الأيام الأولى وصلنا بالسفينة إلى أقصى ما يمكن في المحيط المتجمد الشمالي. وفي رحلة العودة، سلك قائد الرحلة طريقاً آخر لرؤية ما لم نستطع رؤيته في طريق الذهاب. فشاهدنا لأول مرة في حياتنا شلالاً يخترق الجليد وينسكب ماؤه في البحر، ولكن بسبب تحذيرات القائد من خطر الانهيارات، لم نتمكن من الاقتراب منه وتصويره. ومن الأشياء الغريبة التي صادفتنا هو شعورنا بالقرب من المكان بينما يبعد عنا نحو 5 كيلومترات، وهذا يعود لكوننا في المنطقة القطبية، والمسافات هناك تبدو أقرب مما هي عليه فعلاً. كما صادفنا أثناء العودة عدداً من الجزر التي توقفنا بها، وفيها كثير من الغزلان والثعالب، وبعض الحيوانات البرية الأخرى التي تعيش في المناطق الجليدية".

صورة وحكاية
تحية الدب القطبي

ويروي المرّي: "كان المصوّرون نائمين عندما فاجأنا قائد الرحلة وأخبرنا بأن الدب القطبي أصبح قريباً لتصويره. فقمنا بالتجهيز، وتوقفت السفينة لانتظار الدب. استغربنا التوقف، وكيف سيأتي الدب إلى السفينة، ولكنه، ومن بعيد أصبح يقترب منّا أكثر فأكثر. وتجدر الإشارة هنا إلى أن حاسة الشم عند الدب تصل إلى 500 متر وهي المسافة التي كان يقترب منها للسفينة، وكنا نشاهد أنف الدب يتحرك وهو ينظر إلى السفينة. فبعدما أمضينا يومين في انتظاره، ها هو هنا. وراح يقترب منا بشكل كبير وبقي في مكانه ما بين 40 دقيقة وساعة. وقبل اقترابه من السفينة وقف على قائمتيه الخلفيتين في وقفة تشبه التحية، وكان أنفه يتحرّك يميناً ويساراً بحثاً عن الفقمة التي كان يشم رائحتها عن بُعد. والتقطنا مجموعة من الصور له وهو يقفز بين قطع الجليد والثلوج، ويراقص الأمواج. لم نسمع صوته، ولكنه كان حساساً تجاه السفينة، وكان يقترب ويبتعد عنها باستمرار، وهذا دليل على أنه كان يناور بحثاً عن فريسته الخاصة".

الثعلب القطبي

يعيش الثعلب القطبي في أعالي جبال جزيرة لونغييربين، وهي أكبر مستوطنة والمركز الإداري لسفالبارد. ويقول المرّي: "كانت لنا رحلة إلى قمم تلك الجبال. وكانت أهم تعليمات المسؤول بأن لا يكون هناك أي صوت من قبل مجموعة المصوّرين. إذ إن الحيوانات في تلك الفترة تقوم بالبحث عن الطعام الذي يعفيها من مشقة البحث عنه في موسم الشتاء، علماً بأن الحرارة كانت دون 15 درجة تحت الصفر في تلك الفترة (شهر سبتمبر). وقدَّم المرشد في تلك المرحلة الأطعمة للحيوانات ليستدعيها للخروج من أوكارها، ويساعد المصوِّرين في الحصول على الصورة المميزة. وكان الثعلب أكثر تلك الحيوانات حذراً، ويتميَّز بتغير لون فروته أثناء الفصول فيكتسي في الشتاء باللون الأبيض الناصع، والأسود الحجري في فصل الصيف، وذلك للتمويه والاختباء عن عيون المفترسات الأكبر منه.





أسد البحر

يصل وزن أسد البحر إلى طن كامل. لذا، فهو لا يُعدُّ طعاماً سهلاً للدب القطبي. وقد استقل المصورون قوارب صغيرة للوصول إلى موقع أسد البحر، حيث يتابع المرّي سرده: "وجدنا هناك صغاراً لهذا الحيوان، مما جعل الأم تهاجم المصوِّرين، وتحولت عيناها بسبب الغضب إلى اللون الأحمر. وهذا ما جعلنا مرتبكين أثناء تصويرها، ومتردِّدين بين الخوف من الاقتراب منها وبين الرغبة في الحصول على لقطة خاصة مختلفة. وقد تمكَّنا من تصوير أنثى أسد البحر في عدد من اللقطات، منها وهي نائمة، وهي مع صغارها. غير أننا كنا في حالة حذر مستمر منها".

الطيور القطبية

يعيش الطائر العاجي في هذه المنطقة حيث تُعدُّ جزيرة سفالبارد موطنه الأساس. وهو موجود بكثرة في المنطقة القطبية، حيث الثلج الأزرق، ولكنه نادر جداً في بقية أنحاء العالم. لونه شديد البياض والصفاء، وشكله يشبه إلى حد كبير شكل الطائر كما يرسمه الأطفال.

الجبل الأزرق

بعد أربعة أيام من الإبحار، لاح منظر جبل الثلج الأزرق بوضوح في مياه المحيط. ولأول مرة شاهد المصوّرون ثلجاً أزرق على شكل قطع متناثرة، وأيضاً على شكل جبل من الجليد. وكان قائد الرحلة يأخذ منه بعض القطع ليهديها إلى بعض أصدقائه. وتُعدُّ قطعة الثلج الأزرق من أثمن الهدايا في تلك المنطقة.

وتترامى قطع الجليد الأزرق في المنطقة القطبية، وتجتمع حولها طيور النورس بكثرة، مما يجعل المشهد أجمل بالنسبة للمصور.

شروق الشمس وغروبها

ولشروق الشمس وغروبها في المنطقة القطبية مشهد مختلف، يستوقف المصوّرين بشكل دائم، حين يلتصق الشفق الأحمر بمياه البحر فتتحوَّل الصورة إلى لوحة فنية، وعندما تصادفك تلك الغيوم مع جبل الجليد الأبيض أو الأزرق تصبح صورة مختلفة، وحينما تغيب الشمس لسويعات قليلة تصبح السماء على شكل كتلة نارية مشتعلة باللون الأحمر. وما بين الشروق والغروب فإن أقصى مدة كانت بين ساعتين إلى ثلاث ساعات.



الطائر العاجي واقفاً على قطعة جليدية

مواقف أثناء التصوير

أكثر ما أتعب المصورين أثناء الرحلة هو برودة الطقس. فكانت المجموعة الآتية من منطقة الخليج تبحث دائماً عن الملابس الملائمة وأدوات التدفئة كي تساعدها على ممارسة التصوير. وكذلك في ما يخص الساعة البيولوجية، حيث لا يستطيع الإنسان التمييز ما بين الليل والنهار في هذه المنطقة. ولكن الفريق استطاع التأقلم مع الوقت، وأصبح ينام في النهار ويصحو أيضاً في النهار، وأكثر ما عانى منه هو حجم السفينة التي جعلتهم يفقدون الإحساس بالتوازن، بسبب صغرها وتقلّبها الدائم مع أمواج المحيط.



الدب القطبي الأبيض يتقدّم نحو السفينة عبر قطع الجليد

طالب المرّي والتصوير

يروي طالب المرّي علاقته بعالم التصوير: "بدأت التصوير عام 2016م، باستخدام كاميرا الجوَّال أولاً، وكانت لتوثيق بعض اللقاءات مع الأصدقاء. وكان أحد أصدقائي زوج مصوِّرة فوتوغرافية شاهدت صوري، وشجعني رأيها على دخول عالم التصوير".

ويضيف المرّي: "لم أتخيل آنذاك أن الأمر سيستهويني إلى هذا الحد فيما بعد. ولكني بعد استطلاع آراء بعض المصوِّرين، فكَّرت بشكل جاد أن أحصل على بعض الدورات الخاصة بالتصوير. ثم بدأت تصوير الحياة البريَّة والفطرية في بعض الرحلات، مثل رحلتي إلى كينيا مع فريق كويتي. ومن خلال الرحلات الجماعية، تولد شغف في داخلي، يدفعني إلى استكمال طريق السفر والتصوير باحتراف. حتى أصبحت صوري تحصل على جوائز عربية وعالمية، منها "جائزة هبا" من الإمارات العربية المتحدة، وجائزة "ناشونال جيوغرافك" (4 صور)، وكلها من رحلة السفاري في كينيا".



أسد البحر من الثدييات التي تعيش في القطب المتجمِّد الشمالي

أول أداة تقيس علاقة الأطفال بالطبيعة

يمكن للمدن أن تكون مكاناً رائعاً لتربية الأطفال، ولكن عندما يتعلَّق الأمر بتواصل الأطفال مع الطبيعة، فإنها تشكِّل تحديات كبرى. وحتى عندما تحتوي المدن على عدد كبير من المتنزهات والمساحات الخضراء، قد يكون من الصعب على العائلات الوصول إليها. كما أن وجود لافتات تقول "ابقِ بعيداً عن العُشب" أو عندما يفترض الوالدان أن مساحة ما من الحديقة قذرة أو خطرة، يعيق تواصل الأطفال مع الطبيعة بحرية كاملة.

ولهذه العوائق التي تقف أمام لعب الأطفال في الطبيعة عواقب سيئة على الأطفال، فقد يطور هؤلاء ما بدأ يُعرف بـ "اضطراب نقص الطبيعة" أو "انفصال الأطفال عن الطبيعة". مما يعني أنه إذا لم يتم تعزيز علاقة الأطفال بالطبيعة في سن مبكرة، فسوف تتأثر صحتهم النفسية والجسدية بشكل سلبي ودائم.

في محاولة لقياس مدى وكيفية علاقة الأطفال بالطبيعة في هونغ كونغ، وهي واحدة من أكثر المناطق الحضرية كثافة في العالم، ومن أجل السعي لتطوير أداة يمكنها قياس هذه العلاقة باستمرار، وضعت الدكتورة تانيا سوبكو من كلية العلوم البيولوجية في جامعة هونغ كونغ والبروفيسور غافن براون من جامعة أوكلاند استبياناً مكوناً من 16 جزءاً يدعى CNI-PPC الذي يرمز إلى Connected to Nature Index - Parents of Preschool Children، أي مؤشر الترابط مع الطبيعة - لآباء أطفال الحضانة، يحدِّد الطرق الأربع التي عـادة ما يطـور بها الأطفـال علاقتهم مع الطبيعة:

(1) يصبحون مدركين لها.

(2) يتمتعون بها.

(3) يشعرون بالتعاطف معها.

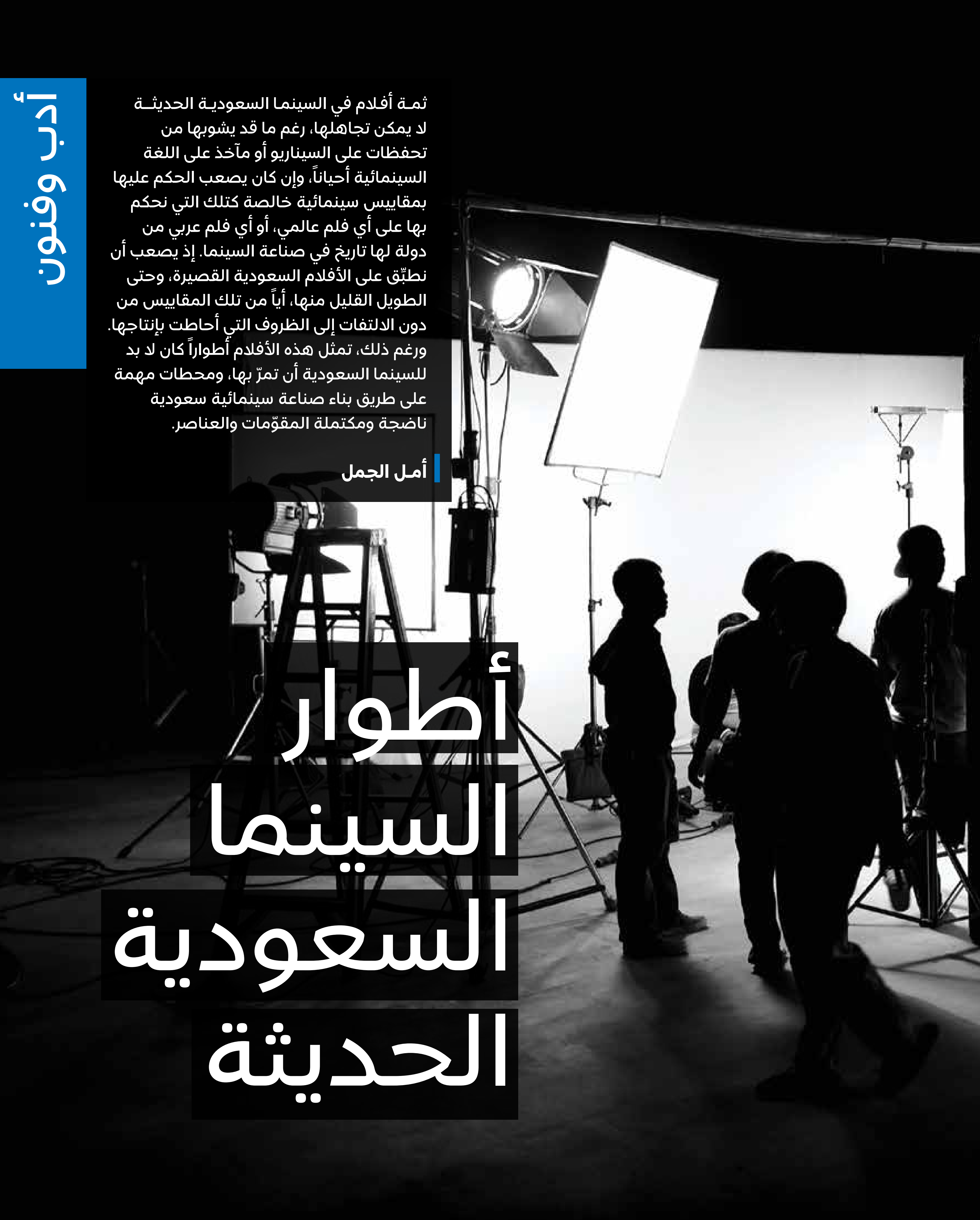
(4) يشعرون بالمسؤولية تجاهها.

وشاركت في الدراسة 499 عائلة، لديها أطفال تتراوح أعمارهم بين 2 و5 سنوات. وقد أجاب الأهل على 16 سؤالاً، ومن ثم تم قياس إجاباتهم بالمقارنة مع "استبيان القوة والصعوبات" أو SDQ، أي Strengths and Difficulties Questionnaire، وهو مقياس ثابت لقياس صحة الأطفال النفسية. وكانت النتائج مثيرة للاهتمام. "فبالنسبة للآباء الذين أكدوا أن لدى أبنائهم علاقة وثيقة مع الطبيعة كان أطفالهم أقل اضطراباً ولا يعانون من أي نوع من النشاط المفرط ولا يواجهون أي صعوبات سلوكية أو عاطفية، بل كان سلوكهم سليماً ومسؤولاً بالنسبة للمجتمع من حولهم. ومن المثير للاهتمام أن الأطفال الذين كانوا يتحملون مسؤولية أكبر تجاه الطبيعة لم يكن لديهم أي مشكلات مع نظرائهم".

ويُعدُّ مقياس الـ CNI-PPC الأداة الأولى لقيـاس علاقة الأطفال بالطبيعة وقد تم اعتماده من قبل جامعات أخرى لتطبيقه بشكل أكبر وفي مجالات أشمل، خاصة وأن من الممكن الاستفادة منه كأداة فعالة لتقييم التغيرات في سياسات التنظيـم المدني والتدخلات المصممة لتعزيز التفاعلات بين الأطفال والطبيعة.

شاركنا رأيك
Qafilah.com
@QafilahMagazine





ثمة أفلام في السينما السعودية الحديثة لا يمكن تجاهلها، رغم ما قد يشوبها من تحفظات على السيناريو أو مآخذ على اللغة السينمائية أحياناً، وإن كان يصعب الحكم عليها بمقاييس سينمائية خالصة كتلك التي نحكم بها على أي فلم عالمي، أو أي فلم عربي من دولة لها تاريخ في صناعة السينما. إذ يصعب أن نطبّق على الأفلام السعودية القصيرة، وحتى الطويل القليل منها، أياً من تلك المقاييس من دون الالتفات إلى الظروف التي أحاطت بإنتاجها. ورغم ذلك، تمثل هذه الأفلام أطواراً كان لا بد للسينما السعودية أن تمرّ بها، ومحطات مهمة على طريق بناء صناعة سينمائية سعودية ناضجة ومكتملة المقوّمات والعناصر.

أمل الجمل

أطوار السينما السعودية الحديثة

على الرغم من حداثة عمر السينما السعودية، ومن خلال متابعة إنتاجها على مدار السنوات السبع الماضية، نستطيع التأكيد على أن بعض المخرجين السعوديين يمتلك أسلوباً سينمائياً خاصاً رغم بساطته وعفويته. فبعض الأفلام جاء جيّداً ومضيئاً، فيه أمور واعدة على مستوى الأفكار والقضايا والتنفيذ السينمائي المتقن. كما أن في هذه السينما الفتية أعمالاً تنتمي إلى الوسائط البصرية الأخرى كالفن التشكيلي والتصوير الفوتوغرافي والتلفزيون أكثر من انتمائها إلى عالم الفن السابع، من دون أن ننفي أن بعضها يُعاني أحياناً من الركاكة والضعف والسطحية. فهي مثل أي سينما وليدة ناشئة، لها أطوار، وربما تعاني من قليل أو كثير من هنّات وإشكاليات، لا بد لها من أن تعانيها حتى تصل إلى مرحلة النضج الفني والفكري بمختلف جمالياته.

عدم الانحياز في فِلْم "مريم"

لا يمكن الإنكار أن بعضاً من هذه التجارب واعد ومبشر، مقارنة بما يُكبلها من قيود. خصوصاً وأن إنتاج الفِلْم القصير لا يستند إلى دعم مجتمعي، والعمل عليه يُمثل تحدّياً حقيقيّاً لصانعي الأفلام في كافة بلادنا العربية بمن فيهم المخضرمون والمحترفون. وهذا ما تُنبئ به أفلام مثل "مريم" سيناريو وإخراج فائزة أمبا، الذي يتناول قضية الحجاب التي تفجَّرت في فرنسا بعد صدور قانون يمنع الفتيات من ارتداء الحجاب في المدارس والجامعات، وكيف أنهم يزرعون الكراهية بين أبناء المجتمع بالإصرار على نزع الحجاب عن رؤوس الفتيات. فالعناد والقهر لم ولن يكونا وسيلة لإخضاع الناس. فالقهر لن يُولد إلا الانفجار وسيخلق مزيداً من العنصرية. فيناقش الفِلْم تلك الإشكالية برقة وعذوبة من خلال الفتاة المراهقة مريم التي رضخت في البداية لسلطة والدها وخلعت الحجاب مؤقتاً ليسمح لها بالخروج من البيت، ثم ارتدته بالخارج. وعندما عانت من الصلف والعناد المدرسي، حلقت شعر رأسها. هذا الفِلْم مليء بالتفاصيل والحوارات المنطقية غير المنحازة. ولذلك، لم يكن مصادفة أن يُستقبل بالترحاب في المهرجانات، بدءاً من دبي السينمائي الذي منحه جائزة "لجنة التحكيم في مسابقة المهر القصير 2016م"، ثم طاف على مهرجانات دولية، كما عرض في منظمة اليونيسكو للعلوم والتربية والثقافة في باريس.

السينما لتشكيل الوعي وليست للترفيه فقط

ويتكشف فِلْم "بسطة" عن أمر مهم آخر. فهذا الفِلْم الذي أخرجته الشابة هند الفهاد في عام 2016م، تدور أحداثه في سوق شعبي للنساء المكافحات، عزيزات النفس، الساعيات وراء الرزق لتلبية احتياجاتهن، ولتجنب مد أيديهن طلباً للمساعدة. وقد حصد جائزة أفضل فِلْم من مسابقة المهر الخليجي القصير بمهرجان دبي السينمائي 2016م، مثلما عرض في عديد من المهرجانات.

الأمر المبشر أن هند الفهاد سعت عام 2018م في إنتاج فِلْم بعنوان "شرشف" بأسلوب مغاير، للتخلص من مأزق التمويل والميزانيات الصعبة. إذ أطلق صنّاعه حملة تمويل إلكترونية لجمع تبرعات أو إسهامات مادية لإنتاجه عبر مواقع التواصل الاجتماعي، بتقديم حوافز مثل حضور التصوير أو حضور العرض الأول. وكأن تيمة الفِلْم وأسلوب إنتاجه هو تحية للفن السابع. فالمقصود بالشرشف هنا هو الملاءة التي توضع على الجدار ليتم عرض الفِلْم عليها. ويتم تصوير الأحداث بالرياض، ويتناول التغييرات التي طرأت على مجتمعها منذ عام 1979م بسبب السينما، وبعد غيابها واختفائها لسنوات عديدة. وتؤكد تيمة الفِلْم على أن مخرجات سعوديات شابات يتعاملن مع السينما باعتبارها إحدى وسائل تشكيل الوعي وتنميته، وليست فقط للترفيه.

مساحة أكبر للدراسة الجادة

وتثبت تجربة "حلاوة" للمخرجة هناء الفاسي أنها تحمل همّاً سينمائياً، ولديها مشروع ستنجح يوماً ما في تحقيقه، طالما بقيت إرادتها صامدة ولم تخن حلمها بالتنازلات. يُؤكد ذلك إصرارها على التحوُّل من دراسة الإعلام والاتجاه إلى دراسة السينما في أكاديمية المخرج رأفت الميهي، والسفر لاحقاً للدراسة في أكاديمية نيويورك السينمائية، ثم العمل في بعض التجارب الروائية والوثائقية بأمريكا ومنها العمل مع المخرج إيريك ايتباري كمساعد مخرج ثاني في الفِلْم الأمريكي "سنابشوت". كما أن تجاربها القصيرة تشي بذلك الطموح والانشغال بالهم السينمائي وبقضية المرأة، ليس فقط بالحملة التي أطلقتها المخرجة تحت عنوان "العمل عبادة"، والتي تدعو فيها من خلال مشاهد درامية، إلى دعم عمل المرأة السعودية في شتى المجالات تحت ضوابط اجتماعية وشرعية، بل أيضاً بفلم إرشادي قصير تزامن

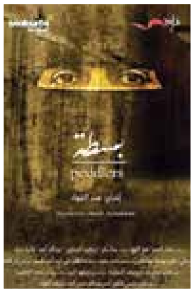


فِلْم "مريم" سيناريو وإخراج فايزة أمبا، ويتناول قضية الحجاب التي تفجَّرت في فرنسا بعد صدور قانون يمنع الفتيات من ارتداء الحجاب في المدارس والجامعات



بوستر فِلْم "حلاوة" لهناء صالح الفاسي يبدو يتماشى درامياً مع المواقف الصادمة فيه





فِلْم "بسطة" للمخرجة هند الفهاد تدور أحداثه برقة وبساطة وصدقية، في سوق شعبي للنساء المكافحات، عزيزات النفس، الساعيات وراء الرزق لتلبية احتياجاتهن



كواليس تصوير فِلْم "بسطة"



التيمة التي يتناولها عبدالله آل عياف في "عايش"، على بساطتها، ترسم العالم الداخلي لبطله، وتجعل المتلقي يشعر به، ويتجاوب معه إنسانياً خاصة في مشهد حمله وتأمله للطفل في الحضانة بعدما أنقذ حياته

على الرغم من حداثة عمر السينما السعودية، فإن بعض المخرجين السعوديين يمتلك أسلوباً سينمائياً خاصاً رغم بساطته وعفويته. فبعض الأفلام جاء جيّداً ومضيئاً، فيه أمور واعدة على مستوى الأفكار والقضايا والتنفيذ السينمائي المتقن. وبعض هذه التجارب واعد ومبشّر.

مع الحملة ويهدف إلى التعريف بأهمية عمل المرأة السعودية.

يتميز الأسلوب الفني للمخرجة بالتلقائية والجرأة، مثلما يرتقي درامياً في "حلاوة". إذ تصور الفاسي مواجهة فتاة لأبيها في موقف صادم، في بناء تدريجي بعيد عن التعسف، سواء بالتصوير السينمائي لانتقال الفتاة من الطفولة إلى سن الرشد، حيث الاضطراب والقلق يظهران في عدد من المشاهد تبرز نظرة الفتاة لنفسها، وتبدل نظرة الآخرين إليها.

وفي حساب هناء أيضاً فِلْم "جاري التحميل" كأول تجربة سينمائية روائية بعد أفلامها الوثائقية. صورته بكاميرا سينمائية احترافية، حول قصة رجل يدفن في إحدى المقابر، وما أن يغلقوا الباب عليه حتى ينهض ويحاول اللحاق بالباب لكن بعد فوات الأوان. شارك الفِلْم في مهرجان الخليج السينمائي الثالث 2010م، وفاز بجائزة أفضل فِلْم وأفضل مخرجة بقسم الأفلام التجريبية في "مهرجان أمريكا السينمائي الدولي"، وأيضاً بالجائزة الفضية للأفلام القصيرة في مهرجان كاليفورنيا 2011م.

دور الخبرة المكتسبة من النقد

تختلف تجربة فِلْم "عايش" قليلاً عن غيرها. فمخرجه عبدالله آل عياف درس هندسة الميكانيكا وعمل فيها. مارس الكتابة والإخراج السينمائي، وكتب النقد السينمائي "ليعرف ما الذي يجعله يُعجب بفِلْم ما، ويُحبه، ولماذا لا تُعجبه أفلام أخرى". وقادته هذه الكتابة النقدية إلى أسهل الطرق، وأصوبها إلى عقل وقلب المتلقي. فمثلاً، رغم بساطة التيمة التي يتناولها في "عايش"، لكنها ترسم العالم الداخلي لبطله، وتجعل المتلقي يشعر به، ويتجاوب معه إنسانياً. فالبطل حارس أمن على مشرحة بأحد المستشفيات، فبينما يصاب الآخرون بالخوف من

الاقتراب من الموتى حتى ولو كانوا من أقرب الناس إليهم، فهو - عايش - الرجل الخمسيني يتعايش بأريحية وانسجام مع جثث الموتى، فينقل جلسته إلى داخل المشرحة ويضع مأكولاته بإحدى الثلاجات بعد تنظيفها، ويقول: "إن التعامل مع الأحياء أصعب". أما ألطف المشاهد وأكثرها إنسانية فهو عندما نراه يتأمل طفلاً في الحضانة بعدما أنقذ حياته، فيحاول أن يحمله وهو متوتر. لكن توتر البطل أثناء حمله للطفل نشعر به بعيداً من المبالغة، وممزوجاً بالدهشة، وكأنها الدهشة التي تُعيده إلى الحيـاة، إذ نراه لاحقـاً يبدأ بممارسة أشياء كان يرفضها خوفاً من نظرة النـاس إليه. الفِلْم بسيط، فيه لمسات خافتة، هامسة حول شؤون تخص المجتمع البطريركي، فيكشف ذكورية بعض الرجـال وتحيزهم ضد الإناث، وهو يفعل ذلك من دون تحيز أو مبالغة.

دحض المعتقدات الخرافية

ويناقش فِلْم "ثوب العُرس" للمخرج محمد سلمان المعتقدات الخرافية كما يتضح من رد فعل عريس الابنة إزاء مخاوف الأمر، ودعوة الزوج لزوجته أن يغيرا هذه المعتقدات الخرافية، ونصيحته لها بأن يسعيا في تربية أبنائهما على نبذ التفكير الخرافي. السيناريو الذي كتبته زينب آل ناصر وحاز جائزة السيناريو القصير بمهرجان دبي السينمائي، ينتهج التغيير التدريجي، وصولاً إلى احتضان الابنة لوالدتها الخائفة، تلك الوالدة التي يسيطر على روحها وعقلها اعتقاد خرافي راسخ.

أجادت كاتبة السيناريو نسج تفاصيل تخدم الفكرة، وتتعلَّق بالفولكلور والتراث سواء بلقطات إصلاح الساعة، أو حياكة الثياب ومستلزمات ذلك، وتضفيرها بالأغاني، مثلما نجح المخرج في التوظيف الماهر للميتافور بين الثوب والروح، وفي تحقيق جماليات تصويرية، بإضاءة لافتة للمشاهد الواقعية، وتلك المتعلِّقة بتصوير الحُلم بأسلوب رقيق، وباستخدام جُمل موسيقية معبّرة، خصوصاً في مشهد ورق الشجر المتساقط، تحركـه على الأرض الرياح، وصوت الماكينة.

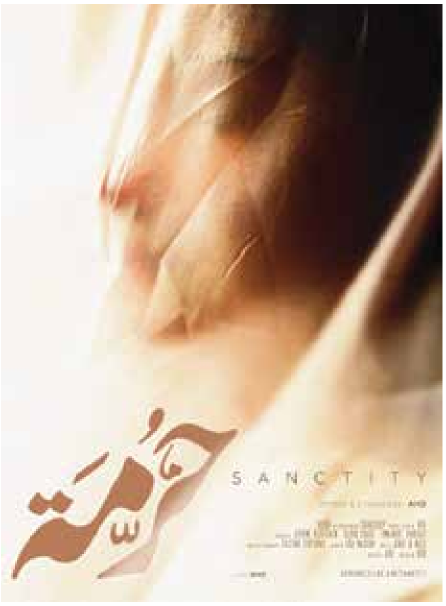
وبعض المتاعب المختلفة

ولكن الحقيقة تقتضي الإشارة إلى وجود بعض الأفلام دون المستوى المتوقع أو المطلوب لأسباب عديدة، من بينها نقص الخبرة في معالجة أمور فلسفية، أو وجودية، أو حتى مجتمعية، ربما لأن تناولها يُشكل مأزقاً بسبب الطبيعة المحافظة للبيئة، مما ينجم عنه الافتعال أحياناً، أو مباشرة مفرطة تتسبب في ضياع قوة الفكرة وجرأتها، كما في فِلْم عهد كامل "حرمة". فهي تنتصر للمرأة، وتحكي عن رقتها وقوتها التي لا تفقدهما رغم ذلك الحزن الكبير لفقدان زوجها. ولا ننكر أهمية الفكرة، حيث

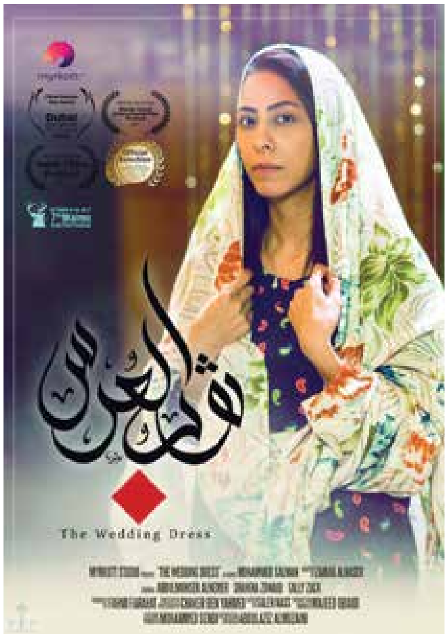
على الرغم من وجود بعض التجارب السينمائية الواعدة، لكن هناك في المقابل بعض الأفلام دون المستوى المتوقع لأسباب منها نقص الخبرة في معالجة قضايا فلسفية، أو وجودية، أو حتى مجتمعية. فينجم عن ذلك بعض الافتعال أحياناً أو مباشرة مفرطة تتسبب في ضياع قوة الفكرة وجرأتها.

تعيش المرأة حرباً نفسية مع المجتمع والتقاليد. لكن القوة الأنثوية قادرة على مواجهة تلك الحرب وتحمل الصعاب والتحديات. غير أن السيناريو يعاني الإطالة، والمبالغات، وعدم منطقية بعض التفاصيل. وعلى الرغم من أهمية موضوع فلم "حرمة" وهو عن قدرة المرأة على التحمل، إلا أنه عانى من تحديات جمة وبشكل أساسي يبدو أن عامل الوقت القصير المتاح للتصوير قد ألقى بظلاله على العمل، وإلى جانب مشكلات البناء الدرامي ورسم الشخصيات، هناك أيضاً اختفاء تفاصيل، وبروز تناقضات وتصرفات ركيكة ولا منطقية، إضافة إلى ترهل الإيقاع، وتنميط الشخصيات خصوصاً الشرير، والرجل الفاسد.

وبشكل عام، يمكننا القول إن هناك أفلاماً مشغولة سينمائياً بشكل جيِّد، لكن أفكارها ببساطتها تُعبِّر



بوستر فِلْم "حرمة" لعهد كامل

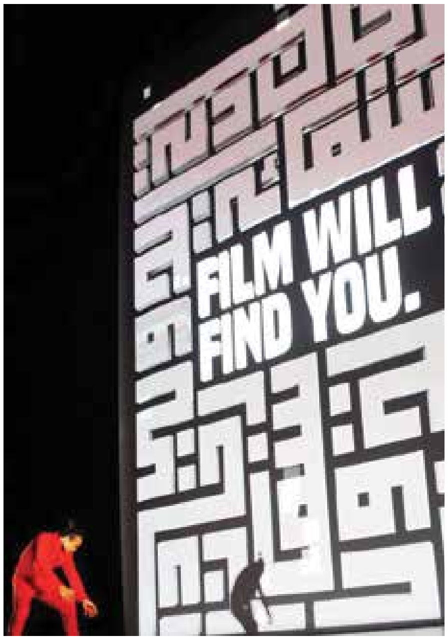


يناقش فِلْم "ثوب العُرس" للمخرج محمد سلمان المعتقدات الخرافية والتفكير الخرافي



يمكننا القول إن هناك أفلاماً مشغولة سينمائياً بشكل جيِّد، لكن أفكارها ببساطتها تُعبِّر عن رفاهية زائدة، إذ يبتعد موضوعها عن الهموم الحقيقية للإنسان. بينما تغرق أفلام أخرى في الرمزية الملغزة أو التشظي الذي يصعب على المتلقي الربط بين مفاصله وما وراءه.







صور متفرقة من مهرجان الأفلام السعودية

عن رفاهية زائدة، إذ يبتعد موضوعها عن الهموم الحقيقية للإنسان، ومنها فِلْم "مانكير". بينما تغرق أفلام أخرى في الرمزية الملغزة أو التشظي الذي يصعب على المتلقي الربط بين مفاصله وما ورائه، مثل فِلْم ريم البيات "أيقظني". فالبعض يصف هذه الأعمال بأنها مفككة، بينما نراها محاولة على الطريق في تشكيل الوعي واكتساب الخبرة واكتشاف الطريق السينمائي عن طريق التجربة والخطأ. فمن حق الإنسان والمبدع حتى لو كان صغيراً أن يختبر أفكاره وحواسه وتخيلاته وأوهامه. هذا الاختبار هو ما قد يجعل بعضها يصمد ويواصل الطريق، فيتم البناء عليه لاحقاً، أو ربما يتهاوى كلية. فلو نظرنا مجدداً إلى تجربة ريم البيات وتأملنا شخصية المخرجة، سنجدها مصوِّرة فوتوغرافية وتقوم بتصميم الملابس وتحب الإضاءة، وتقوم بالرسم التشكيلي، وتمارس فن الكولاج، وهو ما انعكس في فِلْمها بشكل كبير، وجعله أقرب إلى الفن التشكيلي السريالي.

النهضة المرتقبة

رغم كل ما تقدَّم، فإن محاولات الشباب المخرجين والمخرجات تفتح ثغرة في جدار الخوف الاجتماعي. ولا شك في أن ذلك أسهم في تشكيل وعيهم وخبرتهم لتطوير أنفسهم. فتجربتهم مع الفِلْم القصير تشي بإدراكهم أنه ليس من الحكمة أن ينتجوا أفلاماً طويلة في بداية الطريق.

صحيح أن إعادة فتح صالات السينما في المملكة هو قرار محل تقدير، وسيسهم في دوران عجلة الإنتاج، وربما سيُسهم في تأسيس صناعة سينما سعودية حقيقية، لكن تبقى هناك أسئلة من نوع: هل مجرد بناء صالات للعرض سيحفِّز صُنّاع السينما على العمل؟ هل سيغامر القطاع الخاص بأمواله مع سينما ناشئة؟! هل مجرد بناء الاستوديوهات وتوفير طواقم عمل فنية وتقنية سيكون كفيلاً بإنتاج أفلام سينمائية جيِّدة؟ هل سيمنح ذلك الفرصة للمخرجات السعوديات لتقديم أفكارهن ورؤيتهن للواقع؟! أم سيقتصر دعم وتمويل الأفلام على تلك الأفلام الآمنة التي تنأى بنفسها عن تناول القضايا الشائكة في المجتمع؟

في تقديرنا أن هذه النهضة تستلزم تنظيم ورش للعمل، وموائد للحوار يديرها صنّاع السينما ذوو الخبرات الطويلة. وتستلزم أيضاً إقامة معاهد لتدريس السيناريو السينمائي، لأنه أكثر مناطق الضعف في كثير من الأفلام، إلى جانب بناء سينماتيك يضم نسخاً من جميع الأفلام السعودية مهما كان مستواها لدراستها وتقييمها وتفادي الأخطاء، وأيضاً لتأريخ السينما السعودية الحديثة. وأن يُشترط على صالات السينما تقديم فِلْم أو فلمين قصيرين قبل بداية الأفلام الروائية الطويلة خصوصاً الأجنبية، وذلك لغرس ثقافة الاهتمام والاعتياد على مشاهدة الفِلْم القصير واحترامه، وإتاحة الفرصة للسينما الوطنية أن تنال نصيبها أمام الأفلام الأجنبية، وخصوصاً الهوليوودية التي يُتوقع لها أن تغزو دور العرض المزمع إقامتها.

بيتُ رامبرانت في أمستردام

ثناء عطوي

بيوت الفنَّانين هي مداخل لفهم علاقاتهم بالأمكنة وخياراتهم الفنّية، ومعايير التذوّق والتلقّي التي سادت في عصرهم. هنا في بيت رامبرانت في أمستردام، مسقط رأسه، تلتقي تشكيلات المجتمع وطبقاته. البنّي هو سيّد الألوان التي تمتزج بشجاعة، وتجتذب الدفء والضوء في هولندا المنخفضة، حيث يتناغم كل شيء مع الأوراق المتساقطة على أرصفة المدينة بحزنٍ رومانسي.



مكتب رامبرانت الخاص

عاش رامبرانت في منزله المؤلّف من ثلاثة طوابق نحو ثلاثين عاماً (1639 - 1658م). ويقع هذا البيت في منطقة راقية، سكنها عديد من التجّار والفنّانين والأغنياء. وشيّد عام 1606م على مرحلتين، وتمّ تجديده لاحقاً، كما أُعيد تصميم واجهاته الخارجية ليأخذ شكله الحالي، ويتحوّل إلى متحفٍ مفتوح على مدار العام.

الأثاث في منزل رامبرانت مخمليّ، يتلاقى مع شخصيّة الفنّان، الذي يوصف بالمتعالي والمغرور. الجهد واضحٌ في تهذيب الفضاءات الداخلية وتنميقها: مشغله، وأدوات الرسم، والأصباغ، وخزانة الملابس، والأغطية، وسريره، ومكتبه، وأدوات الكتابة، وأدوات الحفر والرسم، كلّها تتناغم مع لوحاته على جدران الغرف، وأشهرها "درس التشريح للدكتور نيكولايس تولب"، "النقابات"، "عودة الابن الضّال"، "عشاء عند آموس" و"ساسكيا"، الزوجة والحبيبة، التي رسمها بأروع أزيائها وزينتها، التي تنتمي إلى أسلوب الموضة في القرن السابع عشر.

في منزل رامبرانت، الطاولات هي الأكثر عدداً، طاولاتٌ مصنوعة من الحجر والخشب، مرتبطة بطقوسه وعاداته، مثل الكتابة والتأمل والرسم والتنميش "Etching".

تعلّم رامبرانت الرسم في سنّ مبكّرة، عندما كان يعيش في لايدن. ومنذ أن افتتح مشغله الخاص في أمستردام، راح يجتذب مزيداً من التلامذة، فاق عددهم الخمسين. كان أسلوبه في التدريس تقليدياً، إذ علّم تلاميذه قواعد الفنّ الأساسية، لكنّه أدخل تعاليمه الخاصّة على دروس الفنّ. وقد أسهمت طباعه الغريبة، وشغفه في التحقّق والتدقيق، في تطوير أساليبه باستمرار، باحثاً عن طرق مختلفة لنقل مهاراته التقنية إلى طلابه الموهوبين؛ طرق لا تزال تُدرّس حتى اليوم في ورشات عمل يومية تجري داخل منزله، علماً أنّ أثره امتدّ إلى كبار فنّاني جيله، مثل غويا وديلاكروا وآخرين.

المقاعد في منزل رامبرانت هي أيضاً متكلّفة، مصنوعة من الجلد الطبيعي المقاوم للزمن، متجاوراً مع الخشب المزخرف بحدّة ودقّة. حتى خزانة ملابسه وأغطية أسرّته، تبدو مرفّهة، تليق بفنّانٍ حسّاس للهواء، عندما يحرّك الدانتيل على أطراف القماش، الفنّان الذي غلبه الحزن جرّاء الفقدان المتواصل، فقدان زوجته ثم أولاده الأربعة واحداً تلو الآخر.





لعبة الضوء والظل في حدودها القصوى

وإذا كان البنيّ هو كبرياء الألوان، فالذهبي هو موطن الضوء في لوحات رامبرانت، الضوءُ بوصفه أثراً أكثر منه لوناً، لا يقتصر على الذهبي والأصفر اللذين تميّزا في مزجهما، وإنما في إقرانهما تبادلياً بالظل. فمن شأن الظلال الداكنة، إبراز الألوان الفاتحة، ومن شأن الإضاءة، إبراز ما هو داكن.

تُعدُّ جذور الضوء في لوحات رامبرانت، سرّ الافتتان بأعماله المنجزة بأسلوبٍ انفعالي، وقد أسّس مفهوماً جديداً للضوء في اللوحة الفنّية، أفادت منه تقنيات السينما والمسرح لاحقاً.

يقول ليوناردو دافنشي عن منظور الألوان الذي دوّنه في ميثاقه حول الرسم: "إنّ كثيراً من المواقع تكون مضيئة بحدّ ذاتها، إلّا أنها تبدو كالمظلمة والمجرّدة من كلّ لون ومن هيئات الأشياء بداخلها، يحدث هذا بسبب الهواء المُضاء، الذي يتدخّل بين عين المُبصر والأشياء، لكن ما إن تدخل ذاك المكان، حتى تُبصر الأشياء مُضاءة".



تمثال لرامبرانت

تقول الحكمة القديمة عن الفيلسوف الروماني سينيكا: "فكما هي الحكايةُ، كذلك هي الحياة، ليست بقدرِ طول مدّتها، وإنّما بقدر السعادة فيها، هذا هو ما يهمّ".

رسم الصور الشخصية بالدرجة الأولى

تعدّدت مواهب رامبرانت، ما بين الرسم والحفر وجمع القطع الفنية التي ألهمته في أعماله، ويعرض متحفه في أمستردام، الذي أعيد تجديده عام 1999م، عدداً كبيراً من هذه القطع في أماكن مخصّصة لمقتنيات الفنّان الشخصية.

ارتبطت موضوعات رامبرانت، بقضايا تاريخية ودينية، ومشاهد من الطبيعة، فضلاً عن لوحاته عن الأعيان والنبلاء، وأخرى عن الحياة اليومية. تفوّق في رسم البورتريه، وخصوصاً وجه زوجته ساسكيا، كما نال وجهه الحصّة الأكبر من أعماله، إذ أنجز نحو 80 صورة ذاتية في مراحل مختلفة من حياته، وأسهمت "وجوهه" المتعدّدة، في تعرّف الناس إليه أكثر، ومنحته شهرة أوسع في بلاده.



أصباغ الرسم

سيرة ونهاية

رامبرانت فان راين، رسّام هولندي وُلد بـ "لايدن" جنوب هولندا في 15 يوليو 1606م وتوفّي في أمستردام في 4 أكتوبر 1669م. هو سليـل طبقة اجتماعية راقية، وابن مالك طاحونة الحبـوب المشهـور. درس مبادئ فنّ الرسم وعلوم الدّين، ثم انضمّ إلى كلّية الفلسفة في جامعة لايدن في سنّ مبكرة (14 عاماً).

أحبّ سَاسْكِيَا وتزوّجها، فأنجبت منه أربعة أطفال، مات منهم ثلاثة وبقي ابن واحدٌ يدعى تيتس. عاش رامبرانت فترة ازدهار فنّي واجتماعي، قبل أن تتداعى حياته على كل المستويات.

بعد وفاة ساسكيا تزوّج مربّية ابنه سرّاً جيرتج ديركس، فانقلبت عليه الأخيرة، وحاولت سرقة المجوهرات التي أهداها لها، وهي أصلاً تعود إلى زوجته الأولى. اتّهمها بالجنون وأدخلها مصحّاً عقلياً، ثم تزوّج مربية ثانية هي هندريكج ستوفيلز، وأنجبت منه الطفلة كورنيليا.

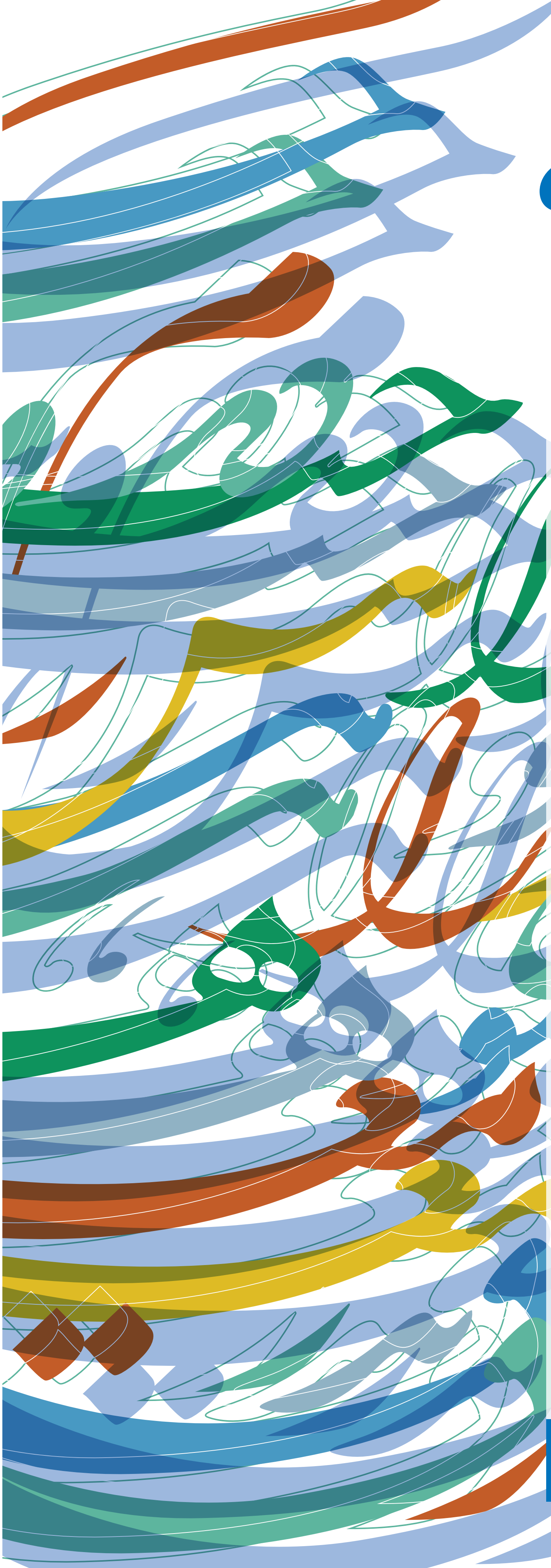
بعد ذلك ساءت سمعته ونبذه المجتمع. فتراجعت مداخيله وعانى الفقر، وباع منزله ليشتري بيتاً صغيراً. انعزل اجتماعياً وفنّياً، وبقي تحت وطأة الدائنين لفترة من الزمن. وعندما ماتت زوجته الأخيرة، لم يكن يملك تكلفة دفنها، فاضطرّ إلى بيع قبر زوجته الأولى ساسكيا. وبعدها توفّي ابنه تيتس. فهجر رامبرانت العالم، ودخل في عزلةٍ طويلة، أمضى سنواته الأخيرة وحيداً زاهداً حزيناً، حتى وفاته عن عمر يناهز 63 عاماً.



بورتريه ذاتي



ورشة التنميش "Etching"



آفاق البلاغة

وائل العمري

لو قدِّر لك أن تسأل المتذوقين من الجماهير المحبَّة للبيان والأدب، شعره ونثره، وهم يطربون لإلقاء شاعر يعزف حروفه لحوناً شجيَّة، أو خطيب مفوّهٍ يلقي شظايا كلماته، ليلهب قلوب مستمعيه: ما الذي يجعل المبدع بليغاً؟ وما البلاغة؟

قد يبدو السؤال سهلاً، وتبدو إجابته قريبة بدهية، بأنه الكلام المؤثر الجميل، غير أن كلمة التأثير هنا لها أبعادها المختلفة في بلاغات الأمم، وفي البلاغة العربية.

علينا أولاً أن ننطلق من مسلَّمة أن البلاغة سمة نسم بها الكلام حين يكون مؤثراً في حيّز التداول، أي إننا نعني بها وسم الكلام المؤثر في حالة الاستعمال بين طرفين، الأول المبدع سواء أكان شاعراً أو خطيباً أو قاصاً، والآخر المستقبل سواء كان فرداً أو جمهوراً عريضاً.

ونؤكد على هذا المفهوم؛ لأن للغة داخل السياق مواضعات تختلف عن خارجه، فهي في السياق تتأثر بعوامل غير لغوية، تخضع للموقف، وما يلتبس به، واعتبارات المتكلم ومكانته، وعلاقته بالمستقبِل، والحالة الوجدانية والثقافية والاجتماعية لكل منهما، وعوامل أخرى معقَّدة ليس هذا مقام التفصيل فيها.

نعود مرة أخرى لنقول: إن التأثير في مفهوم البلاغة يستهدف القلب والعقل. فالقلب يستميله الجمال، الذي يتوسل بالعبارة المدهشة في أصواتها، وجرسها، وعذوبتها، وإيحاءاتها، وفي التراكيب وبناء الجُمَل، وفي الصور التي يقتنصها المبدعون برهافة حسهم، وقوة ملاحظتهم، وكأنهم يجلون عن الخبيء المستور عن أعين الناس ما تدهش له النفوس.

وفي المقابل يغفل بعض المتذوقين أن ثَمَّة بعداً آخر للتأثير يستميل العقل، فيستعين بالبرهان والحجة، والمنطق، فالدهشة تقبل من حركة عقل صاحبه، وذكائه في التقاط الأفكار والبرهنة عليها، وإقناع المتلقي المستمع أو القارئ العاديّ، المحاور في الحوار، أو الخصم في الجدل، فيحاجه، ويفحمه بقوة المنطق، وصحة الاستدلال.

وفي هذا البُعد الأخير آفاق واسعة للبلاغة تحاول أن تجيب عن الأسئلة المتعلقة بالتأثير وآلياته في مجالات حياتية مختلفة، فتفيد تطبيقاتها في صناعة الإعلان، والتسويق؛ لأنها تقوم على مبدأ إقناع المستهلك سواء أكان ذلك باللغة، أو الصورة أو غيرها من الأدوات الدالة. وتشارك البلاغة اختصاصات أخرى في تفسير الظواهر المتعلقة بقيادة الجماهير، وتحليل الخطاب السياسي، والخطاب الإعلامي المرئي والمسموع، والمرافعات القضائية وغيرها.

ومن الآفاق الحديثة لهذا النوع من البلاغة عنايته بالخطاب الطبي أو الصحي، وتسليط الضوء على قضايا الاتصال بين الطبيب والمريض، وتاريخه المرضي، واللغة المستعملة في هذا الاتصال، واللغة السادرة للأمراض، والتسويق للأدوية، وغيرها مما يتصل بالخطاب ولغته في هذا الحقل.

أخيراً.. لا تحاول هذه المقالة أن تسم أولئك الذين أشرت إليهم في مقدِّمة حديثي بالخطأ في التصور، وإنما تلفت إلى سعة آفاق البلاغة والدراسات المنجزة في هذا الحقل، وثراء مجالاته التي يمكن فيه أن تسهم بفهم الظاهرة الإنسانية المعقَّدة، بعيداً عن الفصل وانطواء العلوم على نفسها، من دون وضعها في سياقها العام الذي تتعدَّد فيه الأبعاد وتتشابك، كما أشار إليها إدغار موران في (تربية المستقبل).



فهد خليف

يستلهم حوار العمران الشعبي ورموزه

لا يتبع الفنان التشكيلي فهد خليف طقوساً محددة، أو عادات بعينها يعتمد تكرارها عندما يكون في مرسمه الواقع في الدور الخامس من إحدى العمارات الشاهقة في مدينة جدة. غير أنه، بعد الفجر، يحلو له الجلوس أمام حامل اللوحات الذي غالباً ما تكون عليه لوحة قيد التنفيذ.

يتسم مرسمه بأناقة لافتة، خاصة إذا ما قورن بالصورة النمطية عن مراسم الفنانين، بسبب تصميمه الداخلي وتنسيق مفروشاته وتوزّع اللوحات فيه، وهذا ما يمنحه تلك الدفعة القوية للعمل يومياً لما يقارب ست ساعات متواصلة.

خالد ربيع السيد



يقول فهد خليف: "أشعر بطاقة عالية عندما أدخل مرسمي، فهو جزء منفصل عن الشقة التي أسكن فيها مع زوجتي وبناتي الأربع وابني الوحيد. هذه العزلة مهمة بالنسبة لي وتجعلني أعمل بلا كلل. ففي أيام الإجازات، أبقى منذ ساعات الصباح الأولى حتى قرابة العصر وأنا أعمل بشكل متواصل. وحامل اللوحات هذا، صممته بنفسي، بحيث يتيح لي الوقوف أو الجلوس على الكرسي أو حتى الجلوس أرضاً أمام اللوحة التي أشتغل عليها. فهو مزوَّد بعجلات ليساعدني في تحريك اللوحة بينما أبقى في مكاني بين ألواني وفرشاتي".

توليفة فريدة لأسلوب خاص

في مدينة جدة تشكَّلت رؤيته الفنية، ومنها انطلق باهتماماته وأعماله التي اتخذت طابعاً خاصاً منذ أربعة وعشرين عاماً، ولا يزال مستمراً في مشواره، متخذاً الفن "الرمزي التعبيري"، مع توليفة من أساليب سريالية وتكعيبية، منهجاً يعبّر به عما يجول في مخيلته الفنية الغزيرة من مشاعر وأحاسيس، أو عواطف وحالات ذهنية تثيرها المشاهدات البصرية، أو حتى الأحداث العامة المؤثرة، مبتعداً كل البعد عن محاكاة تجارب الآخرين.

فمنذ ما قبل التحاق خليف ببيت الفنانين التشكيليين بجدة، الذي يضم نخبة من أجيال مختلفة اشتهروا بتقديم حراك فني وثقافي متميِّز، كان هذا الفنان مهتماً بجماليات التراث العربي المتمثل في الخيل والزخرفة والحرفيات، وكذلك استرعى انتباهه المعمار الشعبي في مدينة الباحة، وإبداعات النقوش والزخارف التي يصنعها أبناء منطقة عسير بحس فطري وبحرفة عالية، فانشغل أيضاً بفن "القَط العسيري" الذي نجده في جدران البيوت العسيرية من الداخل، وكرَّس له جانباً من أعماله. ويعبّر عن افتتانه بهذا الفن بقوله: "هو فن فطري مذهل، سرق انتباهي لسنوات طويلة، وفي عام 2015م، خصصت معرضاً بعنوان "نقش ورقش" ضم 36 لوحة تستنطق هذا الفن البديع".

في البدء كانت الخيل تتنفس حرية

استدعى خليف الحصان العربي جسداً ومكانة، ورسمه برقبة مقوسة في معظم الأحيان، في تعبير رمزي. وعندما رسمه كحصان لعبة الشطرنج، منحه مسحة سريالية، وحينما صبغه باللون الأبيض جعله المُعبِّر عن الحرية المنشودة، خصوصاً إذا ما حطت بقربه حمامة بيضاء برمزيتها الجلية للسلام.

في توليفات أخرى استعان بجسم الحصان، حيث يمكن أن يوحي بالبطولة والفروسية المهزومة، وبالتالي الرجولة المنكسرة، إذ يصوِّر جسده مرتخياً، مقوّس الظهر، مطأطئ الرأس، فيبدو الإحباط مخيماً على العمل، مستعيناً في ذلك بمخزون الذاكرة المشتركة للخيل مع الإنسان. إلا أنه في نهاية الأمر وكما يقول: "أترك مهمة تأويل رمزية الخيل أو الطائر للمتلقي وحده".

حوار البيئة العمرانية ذات المنظورين

"لقد تمتع نظري بالحراك الفني الفطري الشعبي في الباحة، وكان له تأثيره الأعمق بداخلي" يقول الفنان عن تلك البيئة الشعبية التي نشأ فيها، وكانت لها بصمة واضحة في بلورة رؤيته البصرية الجمالية، منذ طفولته في قرية "المكارمة" بمحافظة "بلجرشي"، التي ولد فيهاعام 1975م.



بقايا حنين، ألوان أكريلك على قماش

مرسمه المرتَّب والنظيف يحمل طاقة إيجابية عالية بسبب تنسيق المفروشات والديكورات واللوحات فيه، وهو بكل تأكيد يمنحه تلك الدفعة القوية للعمل يومياً لما يقارب الست ساعات.



وتركَّزت تلك الرؤية البصرية في المكون العمراني والبيئي لمدينتي الباحة وجدة، فأنتجت مخيلة استوحت عناصرها من هاتين البيئتين، ليظهر في لوحاته امتزاج مفردات العمران في كليهما، مثل واجهات البيوت وأسطحها، وزرقة البحر، والقوارب والنخيل والأشجار والأسماك. وهذا ما عبَّر عنه في مجموعة أعماله بمعرضه الشخصي الثامن عشر، الذي أقامه في ديسمبر 2018م بأتيليه جدة، بعنوان: "حوار"، وهو كما يقول: "حوار بين بيئتين معماريتين لمنطقة الباحة ومدينة جدة، مروراً بمكة المكرمة، وفق منظورين متجاورين أحدهما أفقي يعكس واجهات البيوت: الأبواب والنوافذ والأشجار والنخيل، والقوارب والسنابيك، والآخر من زاوية علوية مائلة، حيث تبدو أسطح البيوت و"المناور" التي يدخل منها ضوء الشمس والهواء إلى جوف البيت".

غير أن أهم ما يميِّز هذه اللوحات "الحوارية"، كما يطلق عليها، أن تكوينها وتباين ألوانها قابلة للامتداد طولاً وعرضاً. ويعبّر خليف عن ذلك فيقول: "هذه الأعمال قابلة لتمديدها مهما كانت قياسات اللوحة، وقد تصبح اللوحة الصغيرة جدارية كبيرة، سواء طولية أو عرضية، إذ يمكن للعناصر أن تتكرَّر بشكل واسع من دون أن يشعر الناظر إليها بأنها مملة بصرياً أو موضوعياً".

زخرفة المكملات الخشبية

في مرحلة سابقة، تركَّزت أعماله على استلهام المشغولات الزخرفية في العناصر الخشبية بالعمارة الشعبية: الأبواب والشبابيك والمرزع (العمود الدائم)، وبفن القط أيضاً. ولكنها اتخذت طابعاً خاصاً تحاكي فيه تفاصيل أخرى من التراث العربي والإسلامي، مستقاة من الزخارف وتشكيلات الحروف العربية ومآذن المساجد، ما يشير إلى نزعة روحية أصيلة مستقرة في وجدانه، تتضح بشكل خاص في رسمه دائماً الكعبة المشرَّفة بحالة من الوجد، تحيط بها موتيفات جمالية تهتف بقداستها.

ولذلك يبدو المشهد الزخرفي في أعماله ذا نسيج بصري بتداخلات تجريدية متقنة لزخارف نباتية وهندسية وكتابية ذات بُعد تاريخي. وتعتمد هذه الزخارف على الخطوط والتشكيلات الهندسية في علاقات لها دلالاتها الحية بتفاصيل المكان.

وتنطلق هذه الزخارف من النقطة والخطوط الأفقية والرأسية والمنحنية والمنكسرة إلى الأشكال المثلثة والمربعة والدائرية، فيحيك من خلالها زخارف متمثلة في أحزمة لونية زاخرة بالتنوُّع الخطي، لتبدو أحياناً بصمات متكرِّرة وممتدة، تتجاور وتتدفق ألوانها المتقاطعة والمتوازية، فتخلق معادلات متجدِّدة تضفي كثيراً من الحركة على العناصر الساكنة.



إبحار، ألوان أكريلك على قماش

الوجوه والأشخاص

إلى جانب هذا وذاك، استحضر فهد خليف الوجوه المتزاحمة التي تتقاسم الملامح الجامدة والمتشابهة بروؤس مثقلة، مجرَّدة من تعبير مباشر، تظهر على هاماتهم سلال التفاح والبرتقال والأجاص؛ فيما يحط الطائر (حمام أو يمام) على أجساد شخصيات أخرى مبهمة، سواء على أذرعهم أو أياديهم، فيما يتخذ اللون مكانه وطاقته، ليحدِّد منطوق التكوينات المختلفة تارة على مستوى السطح الأول، وتارات على مستويات متدرِّجة نحو المستوى الثاني والثالث.. إنها عملية تحريك البصر للمتلقي من العميق إلى الأعمق، وهذه المستويات تحركها تقاطعات خطية عرضية أو طولية تكسر اعتياديتها، وتخلق ما بينها لغة إيقاعية تزيد من حيوية العمل.

الكراسي هي الأماكن

ورسم فهد خليف الكرسي باعتباره رمزاً للمكان والمكانة، وثمَّة لوحات تضج بالكراسي؛ كراسي في المقاهي، كراسي ملتفة حول طاولات الشاي، كراسي تنتظر من يجلس عليها، وكراسي ودعت من جلس عليها. هي الأماكن التي يختارها الإنسان ليجلس فيها، وهي المكانة التي تمنحه إياها الحياة ومقدرات الزمن، كما يصفها مبدعها. إنها لغة عالية الرمزية وأصيلة، يتأملها المشاهد ولا يملها.

اللون وطاقته التعبيرية والجمالية

تظهر عند خليف فضاءات الحياة بثراء لوني متوازن. ففي كل لوحة ثمَّة تجانس هارموني ما بين الألوان الأساسية والفرعية، وكذلك بين الحارة والباردة. فيندمج الرمادي القاني مع الترابي البارد، والبرتقالي الخافت مع الرمادي الفاتح، وتارة تنسال الألوان المعالجة والممزوجة في مناخات حالمة يذوب فيها اللون الأزرق السماوي مع الأزرق البحري الباهت أو الداكن، فيتدفق بطاقة باعثة على الإبحار في اللوحة، وعندما يبث اللون الأخضر كنوع من البهجة البصرية، نجد نشوة حميمة تدب في الحياة المتخيلة في سردية اللوحة، لا بد من أن تنعكس على مشاعر المتلقي.

وتلتقي أطيافه اللونية بحروف ومنمنمات عربية بمساحيق مذهبة لها بريقها اللافت، بحيث تتناغم في اتصالها مع بعضها بعضاً بخط الثلث، وفق انحناءات ترسم مسارات بصرية. فدلالات الحروف الصوتية وطاقاتها التعبيرية ما هي إلا مخزون لعلاقات حسية تختزل المشاعر الإنسانية. وما تطعيم الأعمال التشكيلية بالحرف العربي إلا نوع من التعبير عن الانتماء إلى الهوية العربية التي تمنحها روحها الخاصة.

وهكذا، فإن هذا الثراء اللوني في أعماله غالباً ما يأتي مكملاً للأفكار والرؤى التي يطرحها، والتي يحرص الفنان على إظهارها بتشكيلات لونية متدفقة.

دلالات رموزه

لكن للرموز عند فهد خليف قصة أخرى، فهي تتمثل في الخيل المقوسة الرقاب، الطير الساكن تارة والطير الطائر تارة أخرى، الأسماك إما بأجسامها كاملة وإما بهيكلها العظمي، البرتقال، الإجاص، المزهريات، القصعة، أوراق الشجر، الحروف العربية، وهنا نتوقف لنكتشف أن تطعيم لوحاته بجماليات الحرف العربي وإدخاله كعنصر في أعماله التشكيلية يبتعد كلياً عن إطاره النمطي المتمثل في لوحات الخط العربي التي ينفذها الخطاطون عادة.. إذاً في هذه الرموز قيم إبداعية ودلالية، ولا شك في ذلك. قد يستغلق

"المشاهدات الطبيعية تؤثِّر على الفنَّان وتكوّن مخزوناً بصرياً بداخله، فينعكس ذلك على فنه، شاء أم أبى".



قيلولة، ألوان أكريلك على قماش



استرخاء، ألوان أكريلك على قماش

بعضها أو جلّها عن المعنى المباشر، ولكنها تفتح مخيلة المشاهد على عوالم تأويلية تتأرجح بين سريالية التوظيف وواقعية الطرح، وهي بالضرورة تتقاطع مع الموضوع الأساسي للعمل.
من جهة ثانية، نجد أن رموزه هذه لا تأخذ وضعيات متباينة في فضاء اللوحة بشكل عفوي، وإنما يشعر المتأمل فيها أنها جاءت في عمق معيَّن وبُعد محدَّد وحجم مقصود، لتؤدي دوراً محدَّداً لها ضمن القصة التي تحكيها اللوحة. لا سيما وأن أعماله تتسم بتعدّد الأبعاد، وتعدّد المناظير، وبالتالي يكون لحضور هذه الرموز هنا أو هناك، معناه الجدلي المقصود.. نصادف الكرسي والخيل والمرأة إلى جانب الوجه المجرد من الملامح، وبعض الرموز الخطية والحلزونية، وكلها تستدعي عين المشاهد لتقول له: أنا هنا، انظر وتأمَّل.

الحالة النفسية وممارسة العمل

يقول فهد خليف: "كثيراً ما أجادل الزملاء حول الحالات النفسية التي قد تسيطر على الفنان وتضعه في قالب مزاجي معيَّن، وأنا ضد هذه الأفكار والسلوكيات المحبطة والمقيدة، وأرى أنه ينبغي للفنان أن يتحكم بكل الظروف النفسية والمزاجية التي تجمد طاقاته. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أعتقد أن هناك عوامل تؤثر في ديناميكية عمل الفنان، بعد إلغاء الحالة النفسية طبعاً، هذه العوامل يمكن إجمالها في: الوقت، والمكان، والجهد، وربما الإمكانات المادية التي تتيح له امتلاك أدواته وتهيئ له مرسمه وعمله".
ويضيف: "هناك فنانون زملاء أقدِّرهم كثيراً، ولكنهم انزووا وتقوقعوا على أنفسهم بسبب تأثيرات فكرية سيطرت عليهم. ولهذا أرى أنه لا بد للفنان من أن يتحكم بذاته، ويُخلِص لأفكاره الفنية، ويعمل بكل حيوية تحت وطأة الظروف النفسية والفكرية والاجتماعية، وهذا الأمر يتطلب مراناً وقوة على المجابهة، ليكون فناناً فاعلاً ومنتصراً ومعطياً".

شاركنا رأيك
Qafilah.com
@QafilahMagazine



أصالة، ألوان أكريلك على قماش

سيرة مختصرة

- حاصل على ماجستير فنون من جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام 1421هـ
- أنجز 18 معرضاً شخصياً
- مجموعة من المعارض الثنائية والثلاثية
- مجموعة كبيرة من المشاركات الجماعية
- حاصل على كثير من الجوائز
- له 3 لوحات بأهم متاحف روسيا بناءً على طلب وزيرة الثقافة الروسية
- حاصل على أفضل عمل لعام 2012م من المجلس الثقافي البريطاني
- مجموعة من الأعمال بالمنشآت الحكومية والمستشفيات والفنادق
- له جدارية كبيرة في مطار الملك عبدالعزيز الدولي بجدة وجدارية بمدينة الملك عبدالله الرياضية بجدة (ملعب الجوهرة)





الأماكن، ألوان أكريلك على قماش



أحتفل بالمثنى في ييل

حاتم الزهراني

ما أفعله هو محاولة اختراع تسميات جديدة للأشياء. فالتسمية مهمة الشعراء منذ امرئ القيس الذي كان يكرِّر في معلقته اسماً يخترعه لحبيبته (أفاطم مهلاً)، مروراً بالمتنبي الذي كان يعد قصيدته تسمية لذاته (وَظَنَّ الَّذي يَدعو ثَنائي عَلَيكَ اسمي)، وحتى أدونيس (هذا هو اسمي)، ومحمود درويش (أنا لغتي، أنا ما قالت الكلمات كن جسدي)، وقاسم حداد والقصيدة دائماً (تسأل ما اسمك)، ومحمد الثبيتي (فمضيتُ للمعنى أحدق في أسارير الحبيبة كي أسميَها). فالتسميات الجديدة تخلق عالماً إدراكياً جديداً، والمجاز- بمعناه العام -هو أداة الشعراء في اختراع التسميات. ولأنه مجاز، أي تجاوز وانحراف عن الطريقة المعهودة في التعبير، فهو يتيح للجميع المشاركة في اكتشاف الاسم الجديد. الشعر يخلق فضاءً تشاركياً تفاوضياً لإنتاج التسميات، ويسمح للجميع بالتأويل.

أتصوّر أنني كنت في حالة شبيهة بما نتخيله عن الأعراف، بين عالمين، لغتين، ثقافتين، وكان المثنى الذي تختص به لغتي الأم، أو أمي اللغة، رمزي الذي أستخدمه مصباحاً لإضاءة تلك الحالة القلقة في عالم البين بين! تتأمل القصيدة في التثنية، ومنها تتفكر في الثنائيات: الرجل والمرأة، الشعر والنثر، الوطن والغربة، المتنبي العربي ولوركا، القصيدة والسوناتة، الفصيح والشعبي، الشعر والكلام العادي، الواقع والحلم، الصلاة والعلمانية، الدال والمدلول، والتراث والحداثة.

أعتقد أن القصيدة لحظةَ ولادتها كانت تظن أن الأمر يمكن ترميزه بثنائية الدم واللسان التي انتهى إليها النص. الدم واللسان هما نصفا الفتى اللذان يتعاونان لإنتاج المعنى، فهل يمكن لكل الثنائيات أن تدخل في علاقة إنتاج مشابهة؟

يسأل النص في خاتمته بينما "يحتفل" بالثنائيات بوصفها مصدر ثراء للتجربة البشرية.

كنت أكتب النص وأنا في حالة انشطار لغوي بين العربية والإنجليزية. وبينما كنت أتأمل في الترجمة الإنجليزية لكلمة مثنى (Dual) خطر على بالي مجانسها الصوتي (Duel) الذي يعني المبارزة بين شخصين لإنهاء خلاف ما. وأذكر أنني بينما كنت ألقي القصيدة في نسختها الإنجليزية، وبدأت بالعنوان "Celebrating the Dual at Yale"، لم أستطع أن أزيح عن ذهني مشهد المبارزة الذي يبعثه صوت الكلمة في ذهني. بين المثنّى الذي يحتضن الآخر والمبارزة التي تلغيه. كنت أسافر بين لغتين، ثقافتين، ورؤيتين للعالم.

تأثرت تجربتي بكثيرين: باللغة القرآنية العليا، بامرئ القيس ورفاقه، بالمتنبي الذي رافقته ثلاث سنوات كاملات قراءة وحفظاً واستيعاباً لشروحه ومآخذها، بالحداثة الشعرية العربية في أسمائها الكبرى، بكبار الرواية العالمية، بلوركا، إليوت، إدغار ألن پو، وإزرا پاوند، وكنت ولا أزال مغرماً بنصوص والس ستيڤنز الذي طلب من الشعراء أن يكتبوا قصائد أرض عظيمة لأن قصائد السماء قد تمت كتابتها! تأثرت أيضاً بالفولكلور، الجنوبي تحديداً في السعودية، بالقصيدة الشعبية، وبالأغنية المعاصرة، وتحديداً بالإنجليزية منذ أن سافرت إلى أمريكا. قلت لأحد الأصدقاء يوماً: قصيدتك كتبت تحت تأثير "الأرض اليباب" لتي إس إليوت؟ هذا جيد، ومبروك حقيقةً! قصيدتي "مجاز ناقص" كتبت بتأثير أغنية إد شيرن: "What Do I Know".

أما نص "أحتفل بالمثنى في ييل" فلم يكن له أن يكون في الصفحة التالية قبالة عينيك لولا أغنية كولدپلاي: "Fix You".

محملةً بالرضا،
بالأماني

بتذكرةٍ لا تسجل أسماءَ من ودعوكِ
لأن ملامحهم في مرايا الغيوم
وأصواتَهم بُحةٌ
في
فراغ
المكان

بلاميّة خانت المتنبي،
بسوناتةٍ لم تُقبّلْ نيرودا،
ببضع قصائدَ شعبيةٍ،
وكلامٍ
تبوس يديه الأغاني

بإصدارنا الواقعيّ من الحلمِ
كي نتوافق مع نهم الجدول الأمريكيّ
ومسطرة اليوم في ييل،

أو سأقول:
....
أو سأقولُ: أقبّلِ عينيك ثانيتين
قبيل الخروج،
وأنسى بوجهك قلبي،

أعودُ
لآخذ قلبي معي،
فأقبّل عينيك
عشرَ ثوانٍ!

بدفتريَ الرقميّ الذي
لا يسجل إلا صوابي الأخير

و... خطي الحميم؟
معاركُ نفسي معي؟
نزوةُ الكلمات؟
تعرّجُ خط الكتابةِ؟

بصورة وجهي الجديدِ (ولستُ مجازاً)،
بصورته يتمرن كل صباحٍ بمرآة عينيكِ:
كيف يمد ابتسامته للغيومِ
وكيف يُطيّر بالونةً
باتجاه الحنانِ

وحين تَعَلْمَنَتِ الصلواتُ
وصار اليقين مناسبةً للحديث عن الدالّ حين يحيل إلى نفسهِ،
قبضت على جمرة القلب،
آمنتُ بالحب،

وجّهتُ نافورة للسماء:

....
لقد رضي الله عن كل بنتٍ تذكّرني بالعيون التي لستُ أنسى ...
لستُ أنسى بأنّ شبيهاتها،
في احتراق البكاء الذي لا يليق سوى بالرجال،
تسربن من فتحات الدخان!"
....

وفي زمن الشعرِ
(ليس زمانَ الروايةِ!
هذا كلامُ الذي، حين أعجزه المعجمُ المتوسعُ في الهذيانِ البديع المكثّفِ جرّبَ عجن المعاني!)

وفي زمن الشعرِ أسألها عن غيابي.

تقول: "و.. ماذا لديكَ؟!؟
- وماذا لديّ إذا لم تكوني معي؟

لديّ الكثيرُ،
لديّ
دمي ولساني،

لديّ
دمي
و
لساني
....

حاتم الزهراني

- ولد بمكة المكرمة عام 1982م، نال شهادة الثانوية العامة من مدارس الفلاح بمكة عام 2000م.
- شاعر ومحاضر في الأدب العربي بجامعة أم القرى، حاصل على الدكتوراة في الأدب العربي من جامعة ييل بالولايات المتحدة الأمريكية بالإضافة إلى عمله باحثاً مساعداً في الجامعة نفسها.
- له ديوان شعري وكتاب في النقد الأدبي صدرا معاً عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في 2010م.



محمود تيمور
يروي انطلاقته الأدبية

في عددها لشهر محـرم 1391هـ (فبراير – مارس 1971م)، نشرت القافلة مقابلة مع الأديب وعميد القصة العربية المعاصرة محمود تيمور، أجراها محمد رفعت المحامي، وتناولت كثيراً من آرائه في الأدب والفن. وهنا مقتطفات منها يروي فيها تيمور كيف تشكَّلت شخصيته الأدبية وماهية المؤثرات فيها.

قال تيمور: "عاش جيلنا فترة طويلة في ظلال النزعة المحافظة التي كانت تسود المجتمع في مستهل القرن المعاصر. ثم لم تلبث ظلال هذه النزعة المحافظة أن انحسرت على أثر تتابع البعثات إلى ممالك أوروبا، وازدياد أسباب الاتصال بيننا وبين العالم المتحضِّر. وأخذنا نسمع نغمة تدعو إلى التجديد في اللغة والأدب والسياسة.. وكان زعماء هذه النهضة: سعد زغلول ومحمد عبده وقاسم أمين ثم لطفي السيد وتلاميذه فيما بعد.

ولمَّا تهذَّب ذوقي في المطالعة، أقبلت بشغف على قراءة المنفلوطي. فقد كانت نزعته "الرومانسية" الحلوة تملك مشاعري، وأسلوبه السلس يسحرني. وكل إنسان في أوج شبابه تطغى عليه نزعة الرومانسية والموسيقى، فيصبح شاعراً، ولو بغير قافية، وقد يكون أيضاً شاعراً بلا لسان!

ولمّا كان شقيقي الأكبر "إسماعيل" بحكم مكانه في الأسرة قد اضطلع بزعامة المنزل، وأخذ على عاتقه القيام بما تفرضه هذه الزعامة... وجدت الفرصة سانحة للتحكم في أوقات فراغي إلى حد كبير،


لقاء مع :

محمود تيمور
حول :
أعماله الأدبية والمفهوم العالمي للفن والأدب القصصي

اجراه الاستاذ محمد رفعت المحامي

سألت الأديب الكبير «محمود تيمور» عميد القصة العربية المعاصرة عن مطالعاته التي أثرت في أسلوبه في كتابة القصة وفي بناله لما يكتب من قصص ، فقال لي :

— عاش جيلنا فترة طويلة في ظلال النزعة المحافظة التي كانت تسود المجتمع الشرقي في مستهل القرن المعاصر . ثم لم تلبث ظلال هذه النزعة المحافظة أن انحسرت على أثر تتابع البعثات الى ممالك أوربا وازدياد أسباب الاتصال بيننا وبين العالم المتحضر . وأخذنا نسمع نغمة جديدة تدعو الى التجديد في اللغة والأدب والسياسة والدين . ولكنها قوبلت من جمهرة المعاصرين بالاستنكار . وكان زعماء هذه النهضة : «سعد زغلول» و«محمد عبده» و«قاسم أمين» ثم «لطفي السيد» وتلاميذه فيما بعد .

ولما تهذب ذوقي في المطالعة أقبلت بشغف على قراءة «المنفلوطي» ، فقد كانت نزعته «الرومانسية» الحلوة تملك على مشاعري ، وأسلوبه السلس يسحرني . وكل انسان في أوج شبابه تطغى عليه نزعة الرومانسية والموسيقى ، فيصبح شاعرا ، ولو بغير قافية ، وقد يكون أيضا شاعرا بلا لسان !

ولما كان شقيقي الأكبر «اسماعيل» بحكم مكانه في الأسرة قد اضطلع بزعامة المنزل ، وأخذ على عاتقه القيام بما تفرضه هذه الزعامة من اتجاه الى العمليات ومحافظته على تقاليد الأسرة وما يتبعها من رسميات ، وجدت الفرصة سانحة للتحكم في أوقات فراغي الى حد كبير ، أصرفها وفق ميولي بعيدا عن الحياة العملية ومظاهر الرسميات ، فأشبعت ميلي الى المطالعة .

وكان نصيب الشعر وافرا في مطالعاتي هذه ، الشعر بنوعيه : العربي والافرنجي ، وخاصة شعر المعاصرين . وكنت أفضل منه غالبا ما كان خياليا مغرقا في الخيال . وكانت المدرسة المهجرية التي أنشأها اخواننا اللبنانيون والسوريون في المهجر ، قد بسطت نفوذها على الأدب المصري ، فأخذت بها ، وشغفت كبير الشغف بزعيمها «جبران» ، ذلك الشاعر الرمزي المغرق في الرمزية . وكانت «الأجنحة المتكسرة» أول كتاب حظي مني بأوفى حب وتقدير . فتأثرت به أولى كتاباتي ، وجعلها من الشعر المنثور ذي النزعة الرومانسية .

وكان لجبران وجماعته مجلة تدعى «الفنون» قرأنا فيها لونا جديدا من الأدب . كان يحاول أن يخرج عن نطاق التقليد في الفكرة والقالب ويستمد معينه من الغرب . وقد استحدث له أسلوبا جديدا خرج فيه عن بعض قواعد اللغة ، ونهج النهج الافرنجي ، فاستهجناه لطرافته وشذوذه عن المألوف . ولا جدال في ان ذلك الأدب على علاته ، كان يحوي عنصري التجديد ، فهو دم جديد جرى في عروق أدبنا المحافظ ، فنشط ودبت فيه حياة جديدة . وكانت القصة تعيب لا يستهان به في هذا الأدب «المتأمرك» ، والقصة — حتى ذلك العهد — بضاعة تكاد تكون غريبة عنا ، فتأثير هذه المدرسة في تلك الناحية من أدبنا ظاهر ملموس . وأخذ نفوذ هذه المدرسة يزداد على مر الأعوام ، اذ كثرت البعوث الى أوربا ، فلما عاد أعضاؤها ، أخذوا يبشرون بمبادىء جديدة في كل فرع من فروع الأدب . فكانت بداية نهضة جديدة .. نهضة لها خطرها .

وكانت على أبواب الحرب ، وعاد شقيقي «محمد» من أوربا محملا بشتى الآراء الجريئة . كان يتحدث بها الي ، فاستقبلها بعاطفتين لا تخلو من تفاوت : عاطفة الحذر ، وعاطفة الاعجاب .

هذه الآراء كانت وليدة نزعة قوامها التجديد ، ولكن جدتها أخذت تهدأ على توالي الأيام ، ومن ثم اتخذت طريقها الطبيعي في التطور . والأمر الذي كان يشغل فكر أخي ، ويرغب في تحقيقه ، هو انشاء أدب مبتكر يستهدي وحيه من دخيلة نفوسنا ، وصميم بيئتنا .

ويحسن هنا أن أذكر حادثا مهما أعتقد أنه كان نقطة تحول في حياتي الأدبية ، اذ وجه مجرى هذه الحياة وجهة معينة . أصبت بمرض «التيفود» — وكنت اذ ذاك في العشرين من عمري — وكانت وطأة المرض شديدة علي ، فلزمت الفراش ثلاثة أشهر قضيتها في ألوان شتى من التفكير ، وأخلاط من الأحلام ، واستطعت أن أهضم الكثير من الآراء التي تلقيتها من أخي ، او استمددتها مما قرأته من الكتب ، فلما أبللت من مرضي ، وأردت استئناف دراستي العالية — وقد كنت بدأتها فعلا — حال دون ذلك ضعف بنيتي ، فعشت فترة من الزمن متعطلا ، وأطلقت لنفسي عنان الحرية — شيئا ما — فخرجت من الكثير مما كان يقيدني من تحفظات الأسرة . وشعرت باشتداد ميلي للأدب ، فرسمت له دراسة شبه منظمة ، وخصصت له وقتا معينا من وقتي ، فكأني قد أردت بهذه الخطة استكمال النقص الذي لحقني من انقطاع دراستي العالية . فمما لا ريب فيه أن حادث المرض كان بداية طور جديد في حياتي الأدبية ، نقلني من دور التردد الى دور اليقين ، ومن دور الالمام والهوادة في التحصيل الى دور الجد فيه والاستيعاب .

٢١

قافلة الزيت

أصرفها وفق ميولي بعيداً عن الحياة العملية ومظاهر الرسميات، فأشبعت ميلي إلى المطالعة".

دور أدب المهجر

وأضاف: "كان نصيبي الشعر. وأقرأ في مطالعاتي هذه، الشعر بنوعيه: العربي والأفرنجي، وخاصة شعر المعاصرين. وكنت أفضّل منه غالباً ما كان خيالياً مغرقاً في الخيال. وكانت المدرسة المهجرية التي أنشأها إخواننا اللبنانيون والسوريون في المهجر قد بسطت نفوذها على الأدب المصري، فأخذت بها. وشغفت كبير الشغف بزعيمها "جبران"، ذلك الشاعر الرمزي المغرق في الرمزيـة. وكانـت "الأجنحة المتكسرة" أول كتاب حظي مني بأوفى حُب وتقدير، فتأثرت به أولى كتاباتي، وجلّها من الشعر المنثور ذي النزعة الرومانسية.

وكان لجبران وجماعته مجلة تُدعى "الفنون"، قرأنا فيها لوناً جديداً من الأدب كان يحاول أن يخرج عن نطاق التقليد في الفكرة والقالب، ويستمد معينه من الغرب. وقد استحدث له أسلوباً جديداً خرج فيه عن بعض قواعد اللغة، ونهج المنهج الأفرنجي، فاستعديناه لطرافته وشذوذه عن المألوف. ولا جدال في أن ذلك الأدب على علاته، كان يحوي عنصري التجديد، وهو دم جديد جرى في عروق أدبنا المحافظ، فنشط ودبت فيه حياة جديدة.

وكان للقصة نصيب لا يستهان به في هذا الأدب "المتأمرك"، والقصة/حتى ذلك العهد/ بضاعة تكاد تكون غريبة عنا، فتأثير هذه المدرسة في تلك الناحية من أدبنا ظاهر ملموس. وأخذ نفوذ هذه المدرسة يزداد على مر الأعوام، إذ كثرت البعوث إلى أوروبا، فلما عاد أعضاؤها، أخذوا يبشّرون بمبادئ جديدة في كل فرع من فروع الأدب. فكانت بداية نهضة جديـدة، نهضة لها خطرها..".

وكنا على أبواب الحرب، وعاد شقيقي "محمد" من أوروبا محملاً بشتى الآراء الجريئة. كان يتحدث بها إليّ، فاستقبلها بعاطفتين لا تخلو من تفاوت: عاطفة الحذر، وعاطفة الإعجاب.

هذه الآراء كانت وليدة نزعة قوامها التجديد، ولكن جدتها أخذت تهدأ على توالي الأيام. ومن ثمّ اتخذت طريقها الطبيعي في التطور. والأمر الذي كان يشغل فكر أخي، ويرغب في تحقيقه، هو إنشاء أدب مبتكر يستهدي وحيه من دخيلة نفوسنا وصميم بيئتنا".

ويستعيد تيمور ذكرياته حول تلك الفترة فيقول:

"يحسن هنا أن أذكر حادثاً مهماً أعتقد أنه كان نقطة تحوُّل في حياتي الأدبية، إذ وجّه مجرى هذه الحياة وجهة معينة. فقد أصبت بمرض "التفوئيد" - وكنت آنذاك في العشرين من عمري - وكانت وطأة المرض شديدة علي. فلزمت الفراش ثلاثة أشهر قضيتها في ألوان شتى من التفكير، وأخلاط من الأحلام، واستطعت أن أهضم كثيراً من الآراء التي تلقيتها من أخي، أو استمديتها مما قرأته من الكتب. فلما أبللت من مرضي، وأردت استئناف الدراسة العالية - وقد كنت بدأتها فعلاً - حال دون ذلك ضعف بنيتي، وعشت فترة من الزمن متعطلاً، وأطلقت لنفسي عنان الحرية، فخرجت من كثير مما كان يقيدني من تحفظات الأسرة. وشعرت باشتداد ميلي للأدب، فرسمت له دراسة شبه منظمة، وخصصت له وقتاً معيناً من وقتي. فكأني قد أردت بهذه الخطة استكمال النقص الذي لحقني من انقطاع دراستي العالية. فمما لا ريب فيه أن حادث المرض كان بداية طور جديد في حياتي الأدبية، نقلني من دور التردُّد إلى دور اليقين، ومن دور الإلمام والهوادة في التحصيل إلى دور الجد فيه والاستيعاب".

وتأثره بشقيقه

وحول تأثره بشقيقه يقول: "كان شقيقي "محمد" قد اقتحم المسرح، إذ كان ميدانه الأكبر. فألّف فيه بالعامية، وعالج موضوعات مستخلصة من حياتنا في فن جديد، امتاز بوصف مبدع، وتخيل دقيق، وأسلوب جذّاب. ومارس كتابة القصة، فاستحدث طريقة تكاد تكون غير مألوفة في أدبنا في ذلك الوقت، فنظم الشعر وترجم فيه إحساسه المرهف. وألّف في النقد المسرحي فابتدع لوناً جديداً مرحاً فيه هزل وفيه جد. وعلى الجملة كان أدب محمد تيمور أدباً مبتكراً، مادته الحياة الواقعية والنفس البشرية والبيئة المحلية.

هذا على حين أن والدي "أحمد تيمور" كان يعمل ويؤلّف في ميدان آخر، ميدان اللغة والتاريخ والأدب القديم، لا يبرح خزانته إلاّ لماماً، يعيش في جو المعجمات وحوادث العهد الغابر، وقد يقضي الساعات الطوال، بل الأيام، في الكشف عن لفظ أو تحقيق خبر.

في ذلك الوقت كنت أستشير في مطالعاتي بهداية شقيقي، فنصح لي، فيما نصح، بأن أطالع حديث "عيسى بن هشام" للمويلحي، وروايـة "زينب" للدكتور هيكل، فرأيت فيهما لوناً يختلف عن اللون الرمزي والرومانسي الذي كنت غارقاً فيه، لوناً واقعياً يهبط بالقارئ من سماء الخيال العليا - حيث يعيش الناس كالملائكة فوق الضباب - إلى الأرض التي نحيا عليها، حيث نرى الناس بشراً مثلنا على فطرتهم التي خلق عليها.

و"حديث عيسى بن هشام" يُعدُّ في نظري المرحلة الثانية للقصة في الأدب العربي بعد "ألف ليلة وليلة"، فقد نحا فيه مؤلفه منحى عصرياً، فخياله واسع وسرده ممتع لا تخلو شخصياته من أحكام في الوضع، وهو وإن كان قد تقيد بعض التقيـد بالمقامـات في الأسلوب والتأليف..

”عاش جيلنا فترة طويلة في ظلال النزعة المحافظة التي كانت تسود المجتمع في مستهل القرن المعاصر. ثم لم تلبث ظلال هذه النزعة المحافظة أن انحسرت على أثر تتابع البعثات إلى ممالك أوروبا، وازدياد أسباب الاتصال بيننا وبين العالم المتحضِّر“.

وامتدح لي شقيقي محمد غير مرة "موبسان" الكاتب الأقصوصي الفرنسي، فبدأت أطالعه، وما كدت أقرأ له مجموعة حتى فتنت به، وتابعت قراءتي إياه في شغف عظيم. واتسعت مطالعاتي فيما بعد في القصيص الأوروبي، وتشعبت، ولكنني حتى اليوم ما زلت محتفظاً بموبسان في المكان الأول في نفسي، فهو عندي زعيم الأقصوصة الأكبر.

ثم انتقلت بعد ذلك إلى القصص الروسي، وقرأت "تشيخوف" و"تورجنيف" ومن ما أعقبهما، فرأيت تأثير "موبسان" واضحاً في بعض إنتاجهم، وتمتاز القصة الروسية بأنها قطع منتزعة من نفس صاحبها ومن مشاهداته، يعرضها في غير كلفة ولا زخرف، وقد يقرأ الإنسان أقصوصة من هذه الأقاصيص، فلا يرى فيها موضعاً تاماً له بدايته ونهايته، بل يرى صفحة ساذجة من الحياة، ولكن تتراءى له خلف هذه السذاجة الظاهرة صفحات من صميم المآسي البشرية، لذلك نعتقد أن قوّة القصة ليست في حوادثها الثائرة الفاجعة، ولا مشوقاتها المبتذلة التي قد يتعمد القاص أن يجتلبها ليستر ضعفه وراءها، بل إن قوتها الحق في بساطتها وصدقها وصوغها في قالب فني رفيع". ←



"الجبال الثمانية"

حيث يتسلّق باولو كونيتي ذكرياته

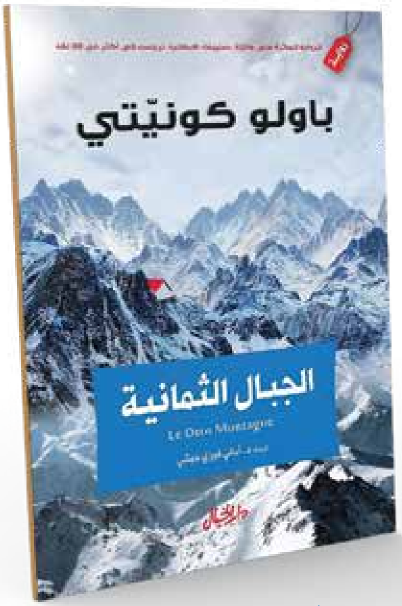
"كانت لأبي طريقته لتسلُّق الجبل. كانت طريقته تميل إلى التأمل، كلها صلابة وشجاعة. فهو يصعد من دون أن يعاير القوى، دائماً في سباق مع شخص أو شيء ما، وحيثما يبدو له المعبر طويلاً كان يقطعه من أكثر الخطوط انحداراً. كان ممنوعاً معه التوقف، والشكوى بسبب الجوع أو التعب أو البرد، ولكن يمكن للمرء أن يغني أغنيةً جميلة، وخصوصاً أسفل العاصفة أو الضباب الكثيف، ويمكنه أن يطلق الصيحات، وأن يلقي بنفسه في أكوام الثلج". هكذا يفتتح الروائي الإيطالي الشاب باولو كونيتي عمله "الجبال الثمانية" الذي فاز بجائزة "ستريغا" لعام 2017م، ليترجم بسرعة إلى أكثر من 30 لغة.

عبدالله ناصر

ولد كونيتي في ميلانو عام 1978م، وكان من هواة تسلُّق الجبال، فعمل مخرجاً للأفلام الوثائقية. وهكذا وُلِد أيضاً بطله بيترو في ميلانو، مولعاً بالجبال وبإخراج الأفلام الوثائقية. وهو من سيتكفل بالكلام وحده في هذه الحكاية، إذ يقوم السرد طوال العمل على ضمير المتكلم.
بيترو ولم يبلغ الثالثة عشرة بعد في المقعد الخلفي، وفي الأمام يقود الأب سيارته وإلى جانبه تجلس الأم ممسكة بخريطة الشمال الإيطالي، حيث تنتصب جبال الألب. تغادر العائلة ميلانو لقضاء الصيف في إحدى القرى الجبلية، تبتعد شيئاً فشيئاً تاركة وراءها الضجيج والعمران والمصانع والتلوث. تصل إلى القرية، فيغدو الأب غير الأب، يطيل النظر إلى أعلى القمم كما تفعل النسور على عكس الأم التي تجد نفسها في الأماكن المنحدرة، في الوديان وفي السفوح. إذا كان بيترو ابناً للمدينة، فأبواه كانا أبناء الجبال. عقدا هناك زواجهما الذي لم يحضره أحد من أفراد العائلة. تبدو القرية شبه مهجورة. فالكنيسة مغلقة، والمدرسة أيضاً والكثير من البيوت، حتى توشك أن تغدو مكاناً للأشباح لولا الماعز والأبقار التي ترعى هنا وهناك وبعض النسوة اللاتي انتقل أزواجهن من القرية إلى المدينة، ومن الرعي والفلاحة إلى العمل في المصانع.
في صبيحة اليوم التالي ينطلق الأب وعلى ظهره أدوات التسلُّق ليشتبك مع القمم الشاهقة، تصحو الأم فتعتني بالمسكن المتواضع وتتصرف لتأمين حاجتهم من الطعام وتوفير ما يكفيهم من الأخشاب بغرض التدفئة. أما الفتى بيترو فيخرج ليتعرَّف على المكان، يجلس قليلاً إلى النهر، ثم يقطعه متجولاً في المراعي المجاورة حتى يصل إلى سفح الجبل، حيث يحدق طويلاً في القمم البيضاء. وحين تشارف جولته على الانتهاء، يتعرَّف على برونو الفتى الذي لا يحلم بأكثر من النمو سريعاً ليصبح لباناً أو بنّاءً. تنعقد الصداقة بينهما فيهب كل منهما الآخر ما ينقصه. يتعلُّم برونو من بيترو ما فاته من المدرسة والمدينة، ويعلمه في الوقت نفسه ما فات عليه من أسرار الجبل والطبيعة وطرق صيد الأسماك، حتى يغدو برونو أخاً لبيترو بل وابناً مفضلاً للأب.

تصوير فذّ لشخصيتي الأب والأم

يحتل الأب في حياته وبعد موته حيِّزاً لا يستهان به من الرواية. فهو الصموت في البيت، الثرثار مع الغرباء، وحين يتحدث إلى ابنه يبدو حديثه كالألغاز، حتى إن بيترو يطرق رأسه مفكراً قبل أن يجيب مخافة أن يخطئ، وهو الذي يعيش في المدينة ويحلم طوال الوقت بصعود الجبال التي يعلق خرائطها على الحيطان حتى إنه لا يجد حرجاً في إطالة النظر إلى سيقان الناس ليتبين صلابتها ثم يحكم عليهم من خلال ذلك.
يصعد الجبال كما لو أن ثأراً قديماً بينه وبينها. فما إن يصل إلى القمة حتى يزهد بها وينحدر مسرعاً، مثل صخرة ثم يعاود الكرة في اليوم التالي. وسنعرف لاحقاً أنه فقدَ صديق عمره تحت انهيارٍ ثلجي. صديقه ذاك يدعى بيترو أيضاً، وهو خال الفتى بيترو. يقول كونيتي إن كل رواية في الغالب بمثابة سؤال يشغل بال الكاتب، وحين سُئِل عن الجبال الثمانيـة قال: "إن السؤال الذي كان يدور في بالي طـوال الوقت: ما هي حقيقـة أبي؟ أما الجواب ففي الجبال الثمانية".
الأم محاطة بالصديقات على عكس الأب الذي لا صديق له، ودودة ومضيافة ولطيفة المعشر. تهبُّ لنجدة المحتاجين وإن لم





الروائي باولو كونيتي وبيده جائزة "ستريغا" عن روايته "الجبال الثمانية"

يطلبونها. ولعل هذا ما دفعها في الأساس إلى الزواج من هذا الرجل الذي ظل أبوها يلومه على فقدان ابنه. تكتسب الأم شعبية كبيرة في القرية وفي المدينة وفي كل مكانٍ تطأه حتى إنها لا تفقد تلك الشعبية، بل تتزايد وهي تتقدَّم في العمر كما وصفها ابنها بالضبط: "لم يكن لديها أي نية لأن تكبر في السن تعيسةً ووحيدة".
برونو يرعى الأبقار ويقطع الأشجار ويعرف كل شبرٍ في جبال الألب إلى درجة يمكنه معها أن يتسلَّقها مغمض العينين ثم يهبط منها. يتعفف عن النزول إلى المدينة وينتابه السخط حين يتحدث أهلها عن الطبيعة بطريقة حالمة من دون معرفة حقيقية بطباعها وآلامها.
سيقيم في الجبل طوال الرواية بينما يطوف بيترو الجبال الثمانية، ويتسلَّق قمم الهملايا. وعلى الرغم من اختلافاتهما الكثيرة، إلا أنهما يتفقان في الشكوى من عقدة الأب. سينهي برونو بلكمة على الوجه علاقته بأبيه كما سيفعل بيترو أيضاً، ولكن بلكمة مجازية حين يقول إنه لن يصعد الجبل بعد اليوم، فهو يشكو في حقيقة الأمر من الأكروفوبيا أو فوبيا المرتفعات.
لكن الآباء لا يتركون أبناءهم في سلام حتى بعد أن يموتوا. سيفاجئ الأب ابنه ببقعة صغيرة في الألب كان قد اشتراها ليعود إليها ويعيد من جديد التعرف إلى نفسه وإلى أبيه أيضاً.



الحوارات قليلة ولكنها جديرة بالتأمل

تمضي الفصول بين هؤلاء الأربعة بين شدٍّ وجذب حتى لا يبقى غير برونو. النساء هنا لسن أكثر من ظلال للرجال. اعتمد الإيطالي السرد الأفقي ليحكي روايته، حتى إنها تبدو إلى حد ما كلاسيكية. الحوارات نادرة في العمل لكنها عندما تظهر تبدو غنيةً بالفلسفة وجديرة بالتأمل:

" كنت أنظر إلى المنازل المتهدِّمة، وأحاول أن أجبر نفسي على تخيل سكانها، لم أكن أفهم كيف يمكن لأحدهم أن يختار حياة بهذه القسوة. وعندما سألت عن هذا أجابني بطريقته الملغّزة. كان يبدو دائماً غير قادر على إعطائي حلاً بل إشارات مجردة. وعلي أنا أن أجتهد في الوصول إلى الحقيقة وحدي. قال لم يختاروها بالتأكيد، إذا ذهب أحدهم للبقاء في الأعلى، سيكون ذلك لأنهم في الأسفل لم يتركوه في سلام". (ص 48)

"في المساء كانت أمي تسألني أين كنت. أرد عليها وأنا أهز كتفي: هناك نتجوَّل. ولا أرضيها كثيراً، ونحن نجلس أمام المدفأة.

هل رأيت شيئاً جميلاً؟

بالتأكيد يا أمي، الغابة.

تنظر إلي بحزن كأنها تفقدني. فهي تؤمن بالفعل بأن الصمت بين شخصين هو أصل كل المصائب". (ص 77)

ثلاثة أجزاء لثلاث مراحل عمرية حول العلاقات وتفككها

قسّم باولو كونيتي روايته إلى ثلاثة أجزاء: "جبل الطفولة" و"منزل المصالحة" و"صديق في الشتاء". وكل جزء منها يتألف من أربعة فصول. ففي جبل الطفولة يتحدث عن الأصياف التي قضاها في القرية بصحبة برونو، وفي الجزء الثاني يبنيان بيتاً صغيراً في أعالي الألب، وفي الجزء الثالث يقضيان الشتاء معاً، وقد اقترب الاثنان من الأربعين وبات لكل منهما كثير مما يود أن يحكيه للآخر. قد تبدو الرواية في ظاهرها عن الجبال والطبيعة، ولكنها في حقيقة الأمر تدور حول العلاقات وترابطها وتفككها. تبدأ الحكاية من رابطة العائلة، علاقة الابن بأبيه، ثم الصديق بصديقه، وتنتهي بعلاقة الفرد بالمكان.

كان كونيتي قبل أكثر من عشر سنوات مفلساً بلا عمل في الوقت الذي يشكو العالم فيه من أزمة اقتصادية خانقة. قصد صالة السينما وحيداً لمشاهدة الفلم الشهير "في البرية"، وما إن خرج حتى أدرك أنه لا بد أن يعود إلى الجبل، حيث بدأ كل شيء. تراءت له القصة هناك، لم يختلق شيئاً على حد قوله، لا الأحداث ولا الشخصيات. فبرونو على سبيل المثال ليس إلا صديقه المقرب ريجيمو، وأم برونو في حقيقة الأمر ليست إلا أم ريجيمو، بل إن أم كونيتي تكاد أن تكون هي أم بيترو، حتى إنها عندما انتهت من







جبال الهملايا

قراءة الرواية رأت أنها هي تلك الأمر. لقد كان كلامها أكبر جائزة ينالها على حد قوله. ويضيف كونيتي أنه لا يستطيع تأليف قصة خارج عالمه. فهو يكتب دائماً عن حياته وحياة أصدقائه. كل الأماكن حقيقية والشخصيات كذلك. يجد الأمر شديد الشبه بالحُلم. فالناس في الحُلم حقيقيون لكن الحلم نفسه غير حقيقي، والأمر نفسه ينطبق على الرواية.

كان كونيتي قد بدأ حياته الأدبية في عام 2004م، بكتابة مجموعة قصصية "كتيب الفتيات الناجحات"، ثم أتبعها بمجموعة ثانية هي "شيء صغير على وشك الانفجار"، وثالثة "الفتى البري". وألَّف بعد الجبال الثمانية كتابين يتفرعان منها. الأول عن رحلته في جبال الهملايا "دون الوصول قط إلى القمة" والثاني "فتى البرية" أو "دفتر الجبل" وهو ذكريات قصيرة.

علاقات الصداقة وعلاقة كوينتي بأبويه وطريقة حديثه عن تطوّرها، بل علاقة أمه بأبيه أيضاً، وبراعته في تناوله علاقة الأشخاص بالأماكن، استجلبت خلف تلك الواجهة الجليدية دفئاً يستحق أن يُنقل، وعلاقات جديرة بأن تُحكى.

ترجمتها إلى العربية

صدرت الطبعة الأولى من الجبال الثمانية عن دار الخيال اللبنانية في قرابة الثلاثمئة صفحة من القطع المتوسط، بترجمة للدكتورة أماني فوزي حبشي الحاصلة على الدكتوراة في الأدب الإيطالي.

وقد فازت بالجائزة الوطنية للترجمة من إيطاليا نظير ترجماتها التي قدَّمت للأدب العربي كثيراً من الكُتّاب الكبار مثل ايتالو كالفينو في ثلاثيته الشهيرة "أسلافنا"، وامبرتو ايكو في "بندول فوكو"، وناتاليا جينزبورغ في "أصوات المساء" واليساندرو باريكو وغيرهم.

تقول الدكتورة أماني إنها ابتاعت الجبال الثمانية حال فوزها بجائزة "ستريغا" لقراءتها وربما ترجمتها. وما إن بدأت في القراءة حتى ساورها التردد والخوف بمجرد أن عرفت أن الرواية تدور في أجواء جليدية قارسة، أجواء لا تحبها ولا تحب التواجد فيها. تسببت أسماء الجبال الكثيرة الغريبة في إثارة قلقها. تُرى ماذا سيكون وقع كل تلك الأسماء الأجنبية على القارئ العربي. قررت أن تؤجل مشروع ترجمتها لانشغالاتها المتعدِّدة حتى عرضت عليها دار الخيال ترجمة العمل.

وتضيف حبشي: "لم أتردَّد في الواقع. فأنا أعرف طالما أن كتاباً ما شغلني لفترة ووجد الآن طريقه إلي، فهذه علامة على أنني لا بد أن أترجمه، فهو كتابي. لذلك وافقت على الفور وقرَّرت أن أقبل التحدي. ولعلها تكون فرصة لي أنا أيضاً لأغيِّر مفهومي عن الأجواء الباردة. ومع التعمق أكثر في الرواية، والتوغل أكثر في تلك القرى الجبلية وفي الكيفية التي تناول بها كونيتي العلاقات: علاقات الصداقة وعلاقته بأبويه وطريقة حديثه عن تطورها، بل علاقة أمه بأبيه أيضاً، وبراعته في تناوله علاقة الأشخاص بالأماكن، وجدت خلف تلك الواجهة الجليدية دفئاً يستحق أن يُنقل، وعلاقات جديرة بأن تُحكى. وانتقل خوفي من الأسماء وغرابتها إلى خوف على تلك المشاعر". ◼

"الخوف صوتياً"

امرأة تسمع المشاعر وتحلم بالأصوات

فهد الأسطاء

الخوف متعدِّد الأوجه، منه ما يسيطر على بعضنا في مواقف معيَّنة، مثلما قد يحصل عندما ندخل مكاناً مظلماً ومجهولاً، أو حين نتطلع من الأماكن المرتفعة ونشعر بالدوار فنصاب بذلك الشعور الذي يجمدنا ويجعلنا خارج سيطرة العقل. ولكن هناك خوفاً آخر يتولد من الأصوات التي نسمعها أو نتخيلها، وهو يلخص فزع الإنسان مما حوله.

في هذا السياق حاولت المخرجة الشابة مها الساعاتي أن تتعامل مع حاسة "السمع" في فِلْم "الخوف صوتياً" (24 دقيقة)، باعتباره مؤثراً قوياً في المشاعر، ويتأرجح تأثيره ما بين الخوف الرهابي فيسبب الأرق والهذيان، والخوف الأقل من ذلك حدة الذي يسبب الاضطراب السلوكي ويزج بالإنسان في أتون القلق.. إنها الغريزة الأكثر تأثيراً في النفس البشرية، والأقرب إليها من الغرائز المؤثرة الأخرى، كالأمل والألم والشوق.







بوستر فلم "الخوف صوتياً"

سياق واقعي لمشاعر متأججة

تدور قصة الفِلْم حول الشابة "أمل"، وهي موظفة في شركة، وتعمل في القسم النسائي كمصممة تدير القسم وتقدِّم الدورات التعليمية وتحظى بتقدير ومحبة من طالباتها في العمل.. تلك المشاعر التي قد تأتي في لحظات السعادة العابرة وتحقق النجاح. ولكن علاقة أمل تصطدم مع مدير الشركة (إبراهيم الحجاج)، ذلك المدير الذي يريد أن يبدو شخصاً واعياً، ذا تجربة في الحياة، ولا ينفك عن إسداء نصائحه المتكرِّرة وتعليماته المزدرية، وهو في الوقت نفسه غير مبالٍ، ومتعنت، ويتسم بكثير من الصرامة والاستخفاف بموظفيه، فيطلق التوجيهات الحادة طوال الوقت.

صوت الحياة وصوت الرعب

يبدأ الفِلْم مع الشابة وهي تمشي في الطريق، والليل يخيم على المكان، لتسمع موعظة من أحد الخطباء المتحمسين (في ليلة كسوف القمر)، الذي ينذر بالويل والثبور. وهنا يتجسد "صوت الخوف" (تركيب فني الصوت عبدالملك زبيله) الذي يفزع أمل إلى درجة أنها تتصل بإحدى صديقاتها وهي في حالة من الحيرة والبحث عمن يطمئنها، فيما تتناهى إلى أسماعها أصوات مزعجة ومخيفة.

إنه خوف منبعث من الترهيب الذي يبثه الخطيب في خطبته الليلية، فيهدِّد بالجزاء والعذاب. تلك اللحظة المكثفة في مواجهة الذات والوحدة والظلمة وكلمات الخطيب المثيرة للرعب شكلت عند أمل خوفاً مضاعفاً سيطر عليها.

نشاهد الفتاة وهي تمارس عملها في الشركة بكل حيوية وتعاون مع زملائها، ولكن يأتي الصوت الآخر المعبر عن الحياة ومن ثم الألم والقسوة، وهو صوت القطط المنساب في أرجاء الشركة. قطط لا نراها لكن صوت موائها يصل إلى مسامع جميع الموظفين، مما يزعج المدير ويثيره، خلافاً لأمل التي ترى فيه صوتاً للحياة والميلاد الجديد. ولكن المدير يطلب إخراج هذه القطط ورميها خارج مبنى الشركة، لنسمع بعد ذلك صوت القطة الأم التي فقدت أبناءها؛ يبدو صوتاً مقتطعاً من الحزن والألم، لدرجة التأثير على الموظفين في مشهد أقرب إلى الوهم من الحقيقة.. وهناك دائماً صوت الواعظ وكلماته المرعبة تتردَّد في مسامعها.

ثم صوت الوجدان العاطفي يظهر فجأة، وتسمعه من قرص مدمج في أحد مشاريع الطالبات اللاتي يتلقين الدورة، فيحرك فيها مشاعر الشوق واللهفة لمعرفة صاحب هذا الصوت، وتسعى للبحث عنه.. إنها أصوات مؤثرة على مشاعرها، وهي التي تدفع بها لأحلام اليقظة وتأخذها إلى كوابيس النوم.

حاولت المخرجة أن تتعامل مع حاسة "السمع" في الفلم، باعتباره مؤثراً قوياً في المشاعر، ويتأرجح تأثيره ما بين الخوف الرهابي الذي يسبِّب الأرق والهذيان، والخوف الأقل من ذلك حدة فيسبب الاضطراب السلوكي ويزج بالإنسان في أتون القلق.

حزينة بشخصية جادة

الشابة، كما تبدو، فتاة حيوية، ولكن الحزن يكسوها، وتخيم عليها الجدية. وفي الوقت نفسه تشعر بالشفقة على القطط. لذا فإن أقوى الأصوات تأثيراً عليها هو صوت القطة المكلومة بفقد صغارها، إذ كثيراً ما تداهمها الخيالات المؤرقة.. نلاحظ هنا أن المخرجة اعتمدت تصويرها بالألوان، خلافاً لبقية المشاهد التي تم تصويرها بالأبيض والأسود، ما يمزج بين الواقع والمتخيل.

بين موت الألوان وحيوية الأبيض والأسود

غير أن التصوير بالأبيض والأسود بدا تقنية فنية مؤثرة، خاصة إذا ما تتبعنا كل المشاهد ذات البُعد السريالي، وكانت ملونة؛ وكذلك المشاهد التي تعكس ما تراه في أحلامها، مما جعل النهاية "الملونة" موضع حيرة لدى المشاهد الذي لا يعرف ما إذا كان مشهداً واقعياً ملوناً خلافاً للثيمة الأساسية، أم إذا كان مشهداً ملحقاً بمشاهد التخيلات التي تأتي ملونة، عطفاً على المشهد المعبر عن الدمار والموت الذي يسببه صوت القطة المكلومة.

قد تكون فكرة التصوير بالأبيض والأسود مرتبطة بشكل منسجم مع طبيعة السياق، في حين يكون تلوين الأحلام محاولة لاكتشاف المخاوف التي تخشى البطلة من مواجهتها في الحقيقة، وعلى هذا فإن التكوين البصري للأحلام، بهيئتها الملونة، يأتي مناسباً.. بل ويعزز ظهور اللقطات الملونة في النهاية، بحيث تترك مجالاً لتفسير الخاتمة المفتوحة للفِلْم.

حوار ذكي ضمن لقطات مدروسة

يدور بين أمل وزميلها خالد (عبدالعزيز غرباوي) حوار ذكي وعميق ومليء بالإيحاءات والرمزية، ويتواصل الحوار مع أداء الممثلين بشكل يتعايش مع كل كلمة وكل إيماءة ونبرة صوت. كما تجدر الإشارة إلى تنقلات مواتية للكاميرا في المكان الواحد، وهما داخل السيارة. إنه مشهد لا يصنعه هاوٍ أو مبتدئ، بل هو في قمة الاحتراف الفني.





وثمة تكوينات جمالية لكل كادر يظهر على الشاشة، تكشف عن ذائقة مرهفة تجاه الصورة، ويعزِّزها استخدام اللونين اللذين يوضحان التباين في الظلال والأجزاء المضيئة. لقطات للسماء والأضواء والقمر وأسقف المبنى تتكامل مع موسيقى سيمفونية، ومقطوعات مختارة. مواء قطط مذعورة وجثث وموتى يصعّدون من حالة الخوف التي تنتاب البطلة. وكل ذلك يحمل معاني مكثفة تشي بالحالة الشعورية الجياشة التي تعيشها، والتي كتبتها مها الساعاتي بحس نابض بالوعي.

الخوف صوتياً

نموذج لاشتغال سينمائي رصين عالي القيمة الفنية. فكل ثانية فيه مشغولة بتمكن ودراسة. أنتجه وأخرج صوره يعقوب المرزوق، وأدارت الإنتاج هالة الإبراهيم. ساعد في الإخراج عبدالرحمن جراش، وصمم الصوت مها الساعاتي وأحمد العبدالمحسن. شارك في التمثيل: سالي زاك، آنا جارلنغتون، عبدالرحمن المصري، سدرا الغامدي، لينا العطاس، أروى الصابر، نزار الطيار، مي عنتر، علاء إسماعيل. إخراج مها الساعاتي.

شاركنا رأيك
Qafilah.com
@QafilahMagazine



الثقافة وخلافها

عبود عطية

كان الحديث يدور عن هواية جمع الطوابع، عندما بدا على ذلك الفتى ابن الستة عشر عاماً أنه لا يعرف عما يدور الحديث. فهو لم يرَ طابعاً بريدياً في حياته. ولا يمكننا أن نلومه على ذلك، طالما أن البريد الإلكتروني يكاد يكتم الأنفاس الأخيرة للبريد الورقي. ولكن شقيقته التي تكبره بأكثر من عشر سنوات، وسبق لها أن شاهدت طوابع بريدية، أعربت عن استغرابها بأن "مثل هذه الأشياء تُجمع"!. علماً أن جمع الطوابع الذي كان هوائه قبل أربعين سنة أكثر من هواة كرة القدم، لا يزال "اقتصاداً" قائماً، له منتجوه، وأسواقه، ومجلات متخصصة، وكتب سنوية للتسعير، ومزادات علنية...

لسنا هنا لتناول موضوع هواية معيَّنة بل للإشارة إلى تبدّل فحوى مفهوم الثقافة في عصر يدعي نشر المعارف على أوسع نطاق.

بداية، ولإعطاء ما لقيصر لقيصر، لا بد من الاعتراف بأن جيل شباب اليوم يعرف "أشياءً" كثيرة، وربما فاقت كمّاً ما يعرفه جيل آبائهم. كما أنهم يسافرون أكثر، ونظرتهم إلى الأمور أكثر حدة، ولا شيء يثير استغرابهم غير استغراب آبائهم من لا مبالاتهم.

ولكن ما هي هذه "الأشياء" الكثيرة التي يعرفها شباب اليوم أكثر؟

إنها "معلومات" اختارتها له "المفوضية الثقافية" المؤلّفة من المدرسة وشبكة الإنترنت ومنابر التواصل الاجتماعي والتلفزيون... ومن خلال مسابقات المعلومات العامة على سبيل المثال، التي تحمل أسماءً منافقة تعبّر عن التفوق، توهم هذه المفوضية الشاب بأنه فعلاً على قمة الهرم إذا عرف أين تقع عاصمة الماوماو أو من حقق هدف الفوز في ثالث مباراة كرة قدم أقيمت بين الموزامبيق ومالطا قبل خمسين سنة.

قد لا يعرف جيل الآباء كل هذا الكم من المعلومات التي يعرفها أبناؤهم، خاصة الجديدة جداً منها، ولكن عندهم "حديقة" يلجأون إليها عندما يريدون تكوين رأي، أو مواجهة قضية، أو التصرف بشكل سليم. وتتألَّف هذه الحديقة من خليط متجانس من خلاصة الكتب التي قرأوها وأهم ما فيها، ومن بعض أبيات الشعر والحكم القديمة المحفوظة في ذاكرتهم، والأعمال الفنية التي شاهدوها.. وهذه الحديقة هي ما يسمى "ثقافة".

إن أفضل المعلومات التي تضعها "المفوضية" في متناول الجميع عبر التكنولوجيا الحديثة هي في الحقائق العلمية. ومن دون التقليل من أهمية الحقائق العلمية، لا بد من لفت الانتباه إلى أن هناك فرقاً شاسعاً ما بينها وبين الثقافة. فكثير من جديد الحقائق العلمية يلغي أو يصوّب ما كان يُعدُّ سابقاً حقائق، أو يطورها. أما في الثقافة فالحقائق والمكوّنات تتراكم. ففي حين يمكن لمن يدرس الطب أن يكتفي في ممارسته لمهنته بآخر وأحدث ما توصل إليه الطب (وربما توجب عليه ذلك)، فإن الفن الحديث على سبيل المثال لا يلغي القديم، بل هو إضافة إليه، والرواية العربية المعاصرة لا تلغي روايات النصف الأول من القرن العشرين. وفي حين أن الحقائق في العلوم تبقى منحصرة في دائرتها الخاصة، فإن الحقائق في الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تبقى على تشابك في ما بينها، وهذا التشابك، مضافاً إلى كل أنواع الحقائق، بما فيها العلمية، هو ما نسميه ثقافة.

وبتفحص الغذاء الثقافي المقدّم اليوم للأجيال الصاعدة عبر أدوات "المفوضية"، يمكننا أن نعرف محتواه من السعرات الثقافية بالتساؤل: كم مرة طالعنا اسم نجيب محفوظ أو إحسان عبدالقدوس على فيسبوك خلال السنوات الخمس أو العشر الماضية؟ وبكم تغريدة يحظى الشيخ حمد الجاسر أو ابن عثيمين سنوياً على تويتر؟ وهل يذكر أحدنا ورود اسم رفاعة الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني في أي من برامج التلفزيون خلال السنوات الخمسين الماضية؟ وهل قرأ أحدنا نقداً لروايات تاريخ الإسلام لجرجي زيدان في أي صحيفة أو مجلة خلال السنوات السبعين الماضية؟

عندما نعرف الأجوبة على هذه الأسئلة لا يعود من حقنا أن نستغرب عدم معرفة شاب بوجود شيء اسمه "طوابع بريد".. فثمة فجوة هائلة بين معارف اليوم والأمس. ومن الصعب مناقشتها، لأن كل الأمثلة والمكوّنات عند أي من جيلي الأمس واليوم هي شبه مجهولة تماماً عند الآخر.

شاركنا رأيك
Qafilah.com
@QafilahMagazine

براءة الاختراع



بشكل عام، يمكن القول إن براءة الاختراع هي المفصل الكامن بين نجاح اختراع أو ابتكار ما على مستوى المختبر من جهة، وانتقاله إلى مرحلة الإنتاج لصالح مستهلكيه أو المحتاجين إليه، مثل براءة اختراع الإضاءة الكهربائية التي سجَّلها أديسون وسوان؛ وبراءة اختراع البلاستيك التي سجَّلها بايكلاند، وصولاً إلى براءات الاختراع الكثيرة المتعلِّقة بالمعالجات الدقيقة في التكنولوجيا الحديثة التي سجَّلتها شركة إنتل، وغيرها الكثير.

فالابتكار الذي يشكِّل أسلوب حياتنا العصرية، هو أيضاً أساس التقدُّم الاقتصادي، وهو المحرِّك الرئيس للثورات الصناعية المتلاحقة التي ما فتئت تجني ثروات كبيرةً في أنحاء مختلفة من العالم. وقد أظهر لنا تاريخ هذا التقدُّم، منذ ما يربو على قرنين ونصف القرن، أن هناك عاملاً آخر مساوياً للابتكار بالأهمية، إن لم يكن أهم، وهو حماية حقوق المخترع في ابتكاره أو اختراعه. وأظهرت البيانات والأرقام القديمة والحديثة أن هناك علاقةً إيجابيةً قويةً بين تطوُّر وحماية حقوق الملكية الفكرية في شكل براءات الاختراع، والثورات العلمية والتكنولوجية والصناعية والفنية المتصاعدة.

ماهية براءة الاختراع

براءة الاختراع هي عبارةٌ عن وثيقة أو شهادة أو مستند حماية، تمنحها الدولة أو أية جهة مخوَّلة رسمياً، وطنيةً كانت أم إقليميةً، لفترة زمنية محدَّدة لأحد المبتكرين على اختراع قام به؛ وغايتها تحفيز وتشجيع الابتكار في سبيل التقدُّم الاقتصادي. وهذه هي أهم الشروط الذي يجب أن تتوفر في الاختراع والحقوق المكتسبة من البراءة المعطاة له:



أ. موافقة المخترع على مشاركة المعلومات عن تفاصيل اختراعه مع الجمهور، وهذا هو أهم عامل في نظام البراءات، إذ تصبح كل المعلومات الذي توصَّل إليها المخترع في متناول أيٍّ كان. ومقابل ذلك يحتفظ المخترع بالحق الحصري للتميز الإبداعي والاستفادة المادية من اكتشافه، ويوفر هذا العامل الجهود عن طريق تجنب إضاعة وقت غير ضروري "لإعادة اكتشاف العجلة".

ب. يجب أن يكون الاختراع جديداً ومفيداً للحصول على براءة اختراع. كما يجب أن يمثل تقدّماً كبيراً، وإضافة جديدة إلى مستوى التقدُّم الجاري في أي حقل، وليس فقط مجرد تغيير عما هو معروف بالفعل.

ج. تُمنح براءات اختراع بشكل متكرر لتحسين المواد أو لمسار العمليات التي سبق أن أعطيت براءات سابقاً، إذا توفرت الشروط لذلك.

د. لبراءة الاختراع عديد من سمات الملكية الشخصية؛ يجوز بيعها للآخرين أو رهنها أو قد تنتقل إلى ورثة المخترع المتوفى. ونظراً لأن براءة الاختراع تمنح المالك الحق في استبعاد الآخرين من صنع الاختراع أو استخدامه أو بيعه، يجوز له تفويض الآخرين القيام بأيٍ من هذه الأشياء، والحصول على عائدات أو تعويضات أخرى مقابل الامتياز.

هـ. معظم القوانين المتعلِّقة ببراءات الاختراع حول العالم تفرض على صاحب حق الملكية هذا أن يُفَعِّل اختراعه خلال فترة زمنية محددة، وإلا يتم إسقاط هذا الحق.

حقوق المُلكية الفكرية

تُعدُّ براءات الاختراع نوعاً من أنواع الملكية الفكرية التي تنقسم إلى ثلاثة أنواعٍ رئيسة:

1. **براءة الاختراع (patent)** هي إحدى حقوق الملكية محدودة المدة، وتنقسم إلى عدة أنواعٍ كما سنرى لاحقاً.

2. **حق الطبع والنشر (copyright)** وتتعلق بحقوق الأعمال الأدبية والفنية وتشمل الكتب والمقالات والموسيقى واللوحات والنحت والأفلام وبرامج الكمبيوتر وقواعد البيانات والإعلانات والخرائط والرسومات التقنية، وتبلغ مدة صلاحيتها عادةً مدى حياة المؤلف و70 سنة بعد وفاته. وتختلف قليلاً بعض تفاصيل مدة هذه الصلاحية بين بلد وآخر. كما أن صلاحيتها على الصعيد الدولي تُعدُّ حتى الآن، إشكالية غير مُتفق عليها عالمياً.

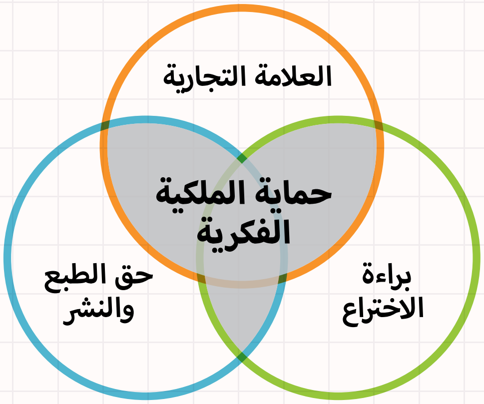
3. **العلامة التجارية (trademark)** هي علامة أو تصميم أو تعبير يعرِّف عن منتج أو خدمة خاصة بمصدر معيَّن، تمييزاً له عن تلك الخاصة بمصادر أخرى. وتُعطى مدة صلاحية لفترة معينة، مثلاً 10 سنوات تُجدد باستمرار طالما أنها تباع وتُشترى في السوق.

وهناك أيضا نوعان أقل أهمية:

1. علامة البلد geographical indication مثلاً: "صنع في المملكة"

2. التصميم الصناعي industrial design مثلاً: تصميم طاولةٍ معينةٍ أو زخرفةٍ خارجيةٍ لسلعةٍ ما

ويجب الإشارة هنا إلى أن حدود هذه الحقوق تتقاطع أحياناً، كما في الرسم أدناه، وليست واضحةً تماماً في بعض الابتكارات، مثلاً في حقول البرمجيات؛ بعض التطبيقات مثلاً، يمكن أن تحصل على براءة اختراع وحق الطبع والنشر وعلامة تجارية في الوقت عينه.



أنواع البراءات

هناك ثلاثة أنواع رئيسة من البراءات:

1. براءات المنفعة (Utility Patents)، ومدة صلاحيتها 20 سنة، وتنقسم إلى عدة أنواع:
   - أ. الآلات والأجهزة
   - ب. مسار عمليات التصنيع أو أنظمة الأعمال
   - ج. تركيبة المادة أو المركبات الكيميائية
   - د. تحسينات على براءات الاختراع السابقة

2. براءات التصميم (Design Patents)، وتتعلق بابتكار تصميم جديد أو زخرفة جديدة على مادة مصنوعة، ومدة صلاحيتها 14 أو 15 سنة.

3. براءات الاختراع النباتية (Plant Patents)، وتتعلق بابتكار أو اكتشاف أو تكاثر خضري (لاجنسي) للنبات، ومدة صلاحيتها 20 سنة.



براءة الاختراع هي عبارةٌ عن وثيقة أو شهادة أو مستند حماية واستئثار، تمنحه الدولة أو أية جهةٍ مخولةٍ رسمياً، وطنيةً كانت أم إقليميةً، لفترةٍ زمنيةٍ محددة لأحد المبتكرين على اختراعٍ قام به؛ وغايتها تحفيز وتشجيع الابتكار في سبيل التقدُّم الاقتصادي.

تاريخ براءات الاختراع والمراحل التي مرّ بها

قبل انتشار نظام براءات الاختراع القانوني، كانت المعلومات المتعلِّقة باكتشاف طرق أو أساليب حرفية للصناعات التي كانت منتشرة كالفخاريات والتعدين وغيرها، تُعدُّ من الأسرار. وكانت العائلات تحتفظ بها لنفسها وتورثها لأحفادها؛ وهذا ما كان يحد من انتشار المعرفة والخبرات العملية. وقد ظهرت عدة أشكال بدائية للبراءات منذ 500 سنة قبل الميلاد وحتى القرن الخامس عشر، ولكن من دون أن يكون لديها معايير قانونية أو فنية محدَّدة. وبدأ انتشار أنظمة البراءات الحديثة حول العالم على الشكل التالي:

أ. ظهرت أولى البراءات القانونية في عام 1474م في البندقية، وعرفت بقانون البندقية. ويعد كثير من المؤرخين أن هذا القانون وَضَع المعايير التي انطلقت على أساسها كافة أنظمة البراءات للقرون اللاحقة.

ثم وضعت الأنظمة والقوانين التالية:

ب. النظام الأساسي البريطاني للاحتكارات في عام 1624م.

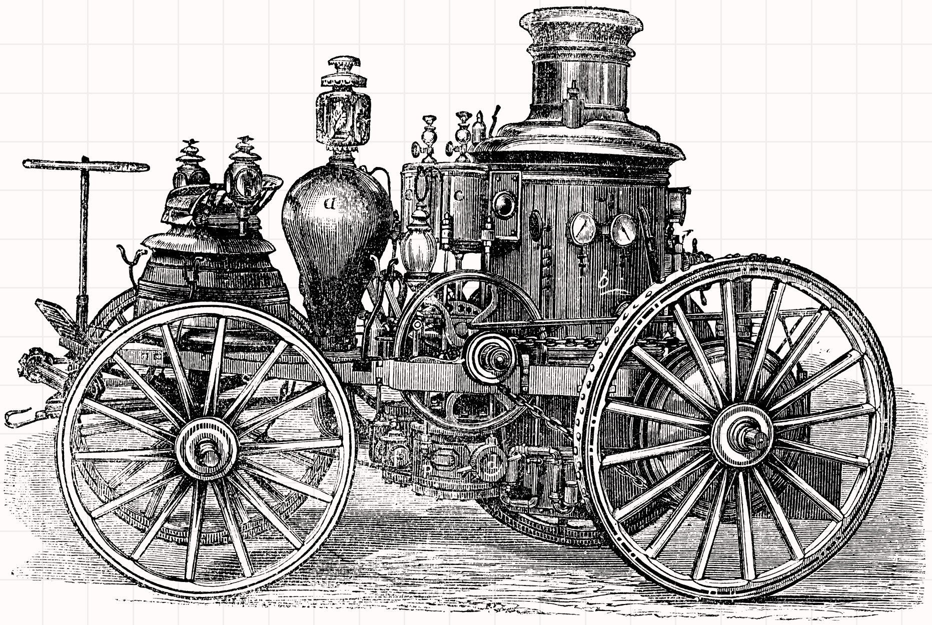
ج. أول قانون براءات الاختراع للولايات المتحدة الأمريكية في عام 1790م.

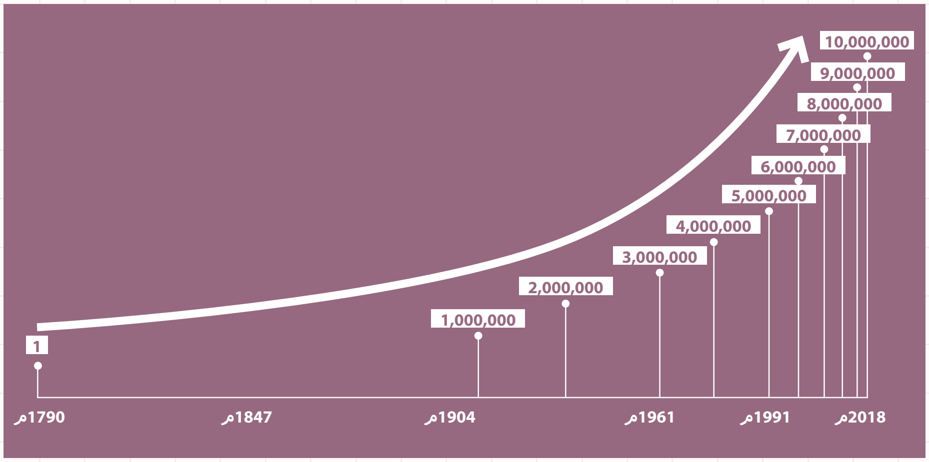
د. أول نظام براءات اختراع في المملكة العربية السعودية 1989م.

وحتى وقت قريب، كانت هناك اختلافات واسعةٌ في أنظمة البراءات التي تنفذها مختلف البلدان. تراوحت مدة البراءات المعترف بها من بلدٍ لآخر من 16 إلى 20 سنة. ففي بعض البلدان، مثل فرنسا، تم تقصير هذه المدة لأن بعض الاختراعات اعتُبرت ذات فائدةٍ عامة. أما في البلدان الشيوعية كالاتحاد السوفياتي، فتمّ التعامل مع الملكية بشكل مختلف؛ إذ لم يتم الاعتراف بالبراءات بحد ذاتها، بدلاً من ذلك، كان المخترعون يحصلون على شكل من أشكال التعويض عن عملهم. وحذت الصين، في ذلك الوقت حذو الاتحاد السوفياتي، ولكن تمت مراجعة هذا القانون في عام 1985م. وقد عكست التغييرات، في عديد من النواحي، قانون براءات الاختراع في البلدان الأوروبية.

من يصدر براءات الاختراع؟

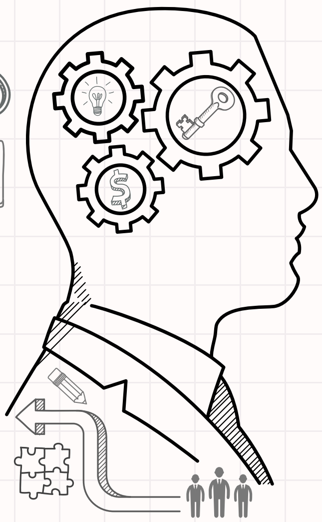
تُمنح البراءة من قبل مكتب براءات اختراعٍ وطني ورسمي، أو مكتب إقليمي يقوم بهذه المهمة بالنيابة عن عدد من البلدان المشتركة في اتفاقية أو اتفاقيات معينة لحماية الملكية. وهذه هي أهم المنظمات المعنية بشؤون براءات الاختراع على الصعيد الوطني والدولي:





سُجلت البراءة رقم 1 في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1790م والرقم 10,000,000 (عشرة ملايين) سنة 2018م





• **المنظمة العالمية للملكية الفكرية (WIPO)**
وهي تابعة للأمم المتحدة في جنيف، عبارة عن منتدى عالمي لكافة خدمات الملكية الفكرية بما فيها البراءات، وتضم 191 دولة في عضويتها، وتأسست في عام 1967م.

• **انتشار المنظمة العالمية لحقوق الملكية على صعيد العالم**

1. المنظمة الإفريقية للملكية الفكرية OAPI
2. المنظمة الأوراسية لبراءات الاختراع EAPO
3. المكتب الأوروبي لبراءات الاختراع EPO
4. مكتب براءات الاختراع في دول مجلس التعاون الخليجي GCCPO
5. مكتب الولايات المتحدة لبراءات الاختراع والعلامات التجارية USPTO
6. الإدارة الوطنية للملكية الفكرية أو مكتب الصين لبراءات الاختراع CNIPA

اتفاقيات دولية

لقد بذلت جهود كبيرة لتسهيل عملية الحفاظ على حق المخترع خارج بلده وفي أكبر عدد من البلدان، وتوفير الجهد البيروقراطي على المخترع أو المخترعين؛ فعُقدت عدة اتفاقيات دولية حول حماية هذا الحق في معظم دول العالم، وهذه هي بعض أهم هذه الاتفاقيات:

1. اتفاقية باريس لحماية الملكية الصناعية، عقدت في باريس في عام 1883م، ضمت إلى عضويتها بدايةً 11 بلداً معظمها بلدان أوروبية بالإضافة إلى البرازيل وغواتيمالا، وأعطت المخترعين الذين تقدَّموا بطلب أولاً في بلد عضو، حق الاستفادة منه في الدول الأعضاء الأخرى. ولاحقاً، تم تعديل بنود الاتفاقية عدة مرات، ودخل إلى عضويتها عديد من الدول الأخرى ليصل عددها إلى 177 دولةً في يناير 2019م.

2. معاهدة التعاون بشأن البراءات PCT في واشنطن 1970م، وتضم في عضويتها 152 دولةً حالياً، وهي تحت إدارة المنظمة العالمية للملكية الفكرية.

3. معاهدة بودابست في عام 1977م، وتضم 80 دولة في عضويتها حالياً، وهي تحت إدارة المنظمة العالمية للملكية الفكرية.

4. اتفاقية الجوانب التجارية لحقوق الملكية التجارية، مراكش 1994م، وتضم 162 دولة جميعها أعضاء في منظمة التجارة الدولية.

5. معاهدة قانون البراءات، جنيف 2000م، وتضم 59 دولة، وهي على تعاون وثيق مع المنظمة الأوروبية بشأن البراءات.

أبرز المشكلات الفنية والقانونية

تواجه الجهات الرسمية المخولة رسمياً منح براءات الاختراع عدة إشكاليات فنية وقانونية، أهمها:

أ. عدم توفر الخبرات الكافية لفاحصي الابتكارات والاختراعات الجديدة، إذ ليس بإمكان أية جهة توظيف اختصاصيين بالتفاصيل الدقيقة لكافة الحقول العلمية والتكنولوجية وغيرها.

ب. غياب عمل مماثل لمادة الاكتشاف من قبل. إذ إن طبيعة الاكتشاف جديدة. وعلى سبيل المثال، في السنوات القليلة الماضية كانت الزيادة الدراماتيكية للبراءات هي في مجالات جديدة كلياً مثل البرمجيات السحابية، والطائرات من دون طيار، والتعلُّم الآلي، والسيارات ذاتية القيادة، وغيرها.

ج. صعوبة تسجيل البرمجيات من ناحية حجمها الكبير. في الولايات المتحدة مثلاً، ازدادت براءات البرمجيات بين عامي 2000م و2013م، بنسبة 168.6% بينما ازدادت البراءات بشكل عام 122.6%.

هـ. في حالات التنازع على مطالبات الاختراع على الصعيد الدولي، تمنح معظم الدول براءة الاختراع للشخص الذي قدَّم الطلب أولاً. الولايات المتحدة في المقابل، تعطِ الأولوية للشخص الذي يمكنه الإثبات أنه المخترع الأول، بغض النظر عما إذا كان قد قدَّم أولاً أو لاحقاً.



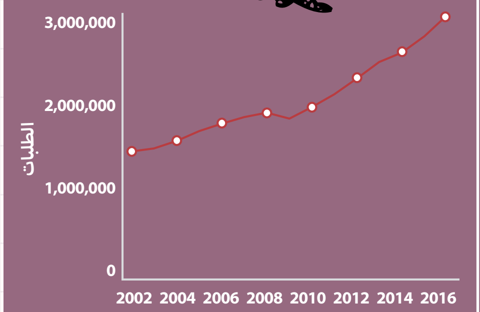
براءات الاختراع الصادرة عالمياً

طلبات لبراءات الاختراع (وليس البراءات الممنوحة) لأعلى عشرة مكاتب سنة 2017م حسب إحصاءات الويبو:

	البلد	الطلبات
.1	الصين	1,381,594
.2	الولايات المتحدة	606,956
.3	اليابان	318,479
.4	كوريا	204,779
.5	المكتب الأوروبي	166,585
.6	ألمانيا	67,712
.7	الهند	46,582
.8	الاتحاد الروسي	36,883
.9	كندا	35,022
.10	أستراليا	28,906

أعلى عشر دول حيازة لبراءات اختراع صادرة عن معاهدة التعاون بشأن البراءات PCT في عام 2017م:

	البلد	البراءات
.1	الولايات المتحدة	56,680
.2	الصين	48,900
.3	اليابان	48,206
.4	ألمانيا	18,948
.5	كوريا	15,752
.6	فرنسا	8013
.7	بريطانيا	5569
.8	سويسرا	4485
.9	هولندا	4430
.10	السويد	3975



رسم بياني لمجموع الطلبات على المستوى العالمي من سنة 2002 إلى 2016م حسب الويبو

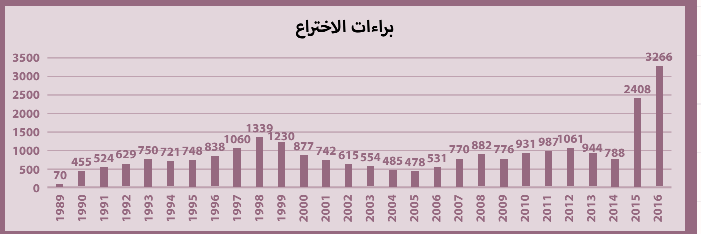
براءات الاختراع في المملكة العربية السعودية

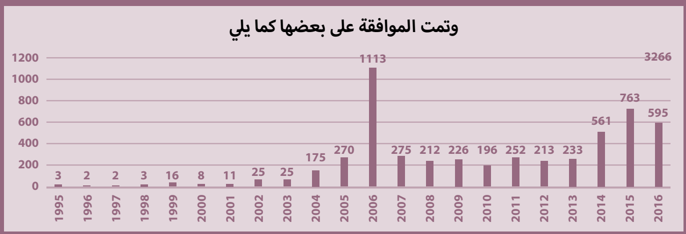
انضمت المملكة العربية السعودية إلى عضوية المنظمة العالمية للملكية الفكرية في 1981م. وقد أوكل إلى مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية ممثلة بمكتب البراءات السعودي، تولي حماية أربعة أقسام منها هي: الاختراعات والتصميمات التخطيطية للدارات المتكاملة والأصناف النباتية والنماذج الصناعية.

وانضمت المملكة إلى الاتفاقيات الدولية الرئيسة حول براءات الاختراع، وهي:

- اتفاقية باريس في 2004/3/11م
- اتفاقية التعاون بشأن البراءات 2013/8/3م
- الاتفاقية حول الجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية 2005/12/11م
- معاهدة قانون البراءات 2013/8/3م

وكما يبدو في الرسم البياني الصادر عن مكتب البراءات السعودي، فإن عدد طلبات البراءات المقدَّمة إلى هذا المكتب بدأ يزداد بوتيرة ملحوظة ابتداءً من عام 2015م.





وإضافة إلى ما هو ظاهر في الجدول، يشار إلى أنه في عام 2017م، تمت الموافقة على 664 طلباً. وتذكر أحد التقارير أن هذا الرقم هو ضعف عدد البراءات التي حصلت عليها الدول العربية مجتمعة. كما جاءت المملكة بالمرتبة 23 من أصل 92 دولة حسب التقرير.

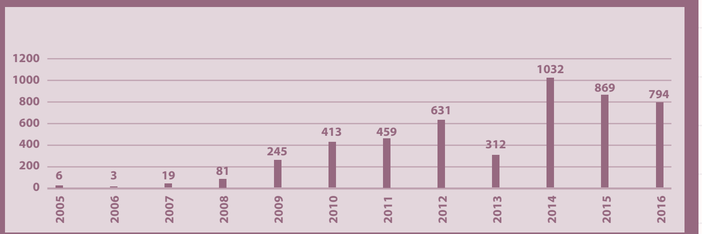
وتتوزع جنسية أكثر خمس دول من مقدِّمي الطلبات سنة 2016 على الشكل التالي:

	الدولة	عدد الطلبات
.1	السعودية	1064
.2	الولايات المتحدة	939
.3	ألمانيا	181
.4	هولندا	141
.5	اليابان	126

وتمت الموافقة سنة 2016 عليها كما يلي:

	الدولة	عدد الطلبات
.1	السعودية	386
.2	اليابان	123
.3	ألمانيا	115
.4	الولايات المتحدة	96
.5	المملكة المتحدة	37

أصدر المكتب أيضاً براءات للنماذج الصناعية، وتتعلق بالزخرفة لسلعةٍ معينة، على الشكل التالي:







تُمنح البراءة من قِبَل مكتب براءات اختراع وطني ورسمي، أو مكتبٍ إقليمي يقوم بهذه المهمة بالنيابة عن عددٍ من البلدان المشتركة في اتفاقيةٍ أو اتفاقياتٍ معينة لحماية الملكية.

البراءات تشجِّع الابتكار

يجمع الاقتصاديون على أهمية براءات الاختراع لتشجيع الاكتشاف والاختراع العلمي والتكنولوجي لأنها تكافئ المخترعين بطريقة تتناسب مع طبيعة ابتكاراتهم.

ففي دراسة أجرتها عام 2008م منظمة التعاون والتنمية (OECD)، جاء أن "المستويات الأقوى من حماية براءات الاختراع ترتبط ارتباطاً إيجابياً وكبيراً بتدفقات المنتجات عالية التقنية وتدفع إلى زيادة النفقات على البحث والتطوير".

وقد أثبتت التجربة أن نظام براءات الاختراع يسهم في نشر المعرفة على النطاق الوطني والعالمي.

وبالفعل، تبيَّن أن هذا النظام هو واحد من أكثر الأدوات فعالية في تشارك المعرفة ونقل التكنولوجيا إلى بلدانٍ أخرى على الإطلاق. ووجدت دراسة أجراها الاقتصاديان الفرنسيان فرنسوا لي فيك وبان مينير في عام 2006م، أن 88 في المائة من الشركات الأمريكية والأوروبية واليابانية قالت إنها تعتمد بالفعل على المعلومات التي تم الكشف عنها في براءات الاختراع لمواكبة التقدُّم التكنولوجي وتوجيه جهود البحث والتطوير الخاصة بهم.

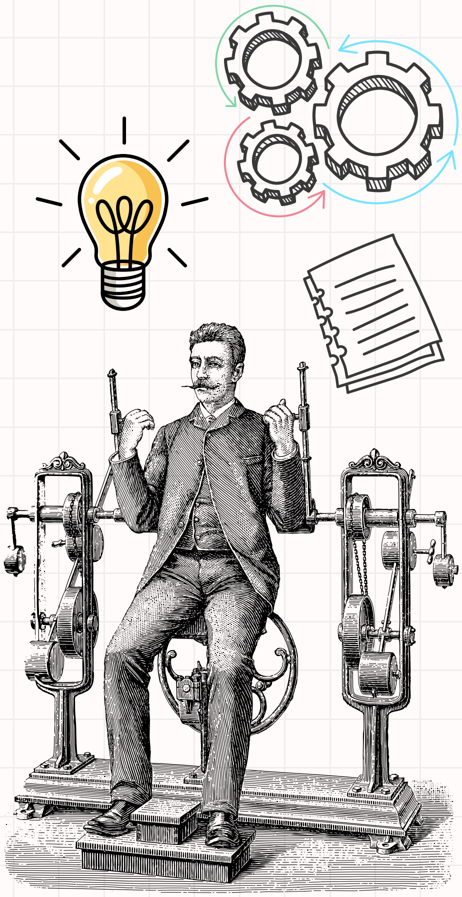
وهذا ليس شيئاً جديداً؛ فقد ذكر إلياس ريس، وهو مخترع من القرن التاسع عشر، أنه عندما قرأ عن براءة اختراع صدرت في عام 1886م، لاكتشافٍ قام به تومسون حول طريقة جديدة في التلحيم الكهربائي، تفتح ذهنه حالاً عن مجال واسعٍ لتطبيقات جديدة، رأى أن بإمكانه اكتشافها وتطبيقها.

ومن المعروف أن توماس أديسون كان دائماً يتردَّد على مكتب براءات الاختراع من أجل دراسة براءات الاختراع للمخترعين الآخرين، التي كانت تشحذ شرارة أفكاره الخاصة.

ولربما اعتقد كثيرون أن الاختراقات العلمية الكبيرة تؤدي إلى إغلاق الباب أمام مزيد من الاختراعات أو عرقلتها. لكن دراسةً أجريت في عام 2013م بهذا الخصوص حول توماس أديسون وبراءة اختراعه للمصابيح المتوهجة سنة 1880م (رقم 223,898)، تبيَّن أنها قد حفزت الآخرين لإطلاق فيض من الاكتشافات في المجال نفسه، أدت إلى تطوير تقنيات جديدة ذات أهمية تجارية مثل لفائف تسلا، والموصلات محكمة الإغلاق، وعملية ترسيب البخار الكيميائي، وخيوط التنغستن والإضاءة الفسفورية التي أدت إلى مصابيح الفلورسنت اليوم.

ولنأخذ على سبيل المثال أكبر الصناعات الجديدة المولدة للوظائف في الستين سنة الماضية في الولايات المتحدة وهي: أشباه الموصلات (الإلكترونيات الاستهلاكية)، والحواسيب الشخصية، والبرمجيات، والتكنولوجيا الحيوية، والهواتف المحمولة، والتجارة الإلكترونية عبر الإنترنت.. فقد تم إطلاقها ونمت بقوة على أساس اختراعات حصلت على براءة اختراع ابتكرتها شركات ناشئة. وتمكنت هذه الصناعات من الازدهار بسبب سهولة حصولها على المعلومات.

والمثال القوي على علاقة أنظمة براءات الاختراع بتشجيع الابتكار هي الصين؛ عندما استبدلت نظامها القديم بآخر مشابه للنظام الأوروبي، فانطلقت فيها نهضة علمية وتكنولوجية كبيرة جداً.



مكتب براءات الاختراع في دول مجلس التعاون الخليجي

يقع هذا المكتب في الرياض، ونشر في الموقع الرسمي للمنظمة العالمية لحقوق الملكية، تقريراً حول البراءات المقدَّمة ووضعها على الشكل التالي من عام 2015م، وحتى 2019م:

1. البراءات الممنوحة

المجال العلمي	عدد البراءات الممنوحة
التكنولوجيا الحيوية والصيدلة	1107
كيمياء	2616
هندسة كيميائية	1915
هندسة ميكانيكية وكهربائية	2202
هندسة بترولية وغاز طبيعي	1845
المجموع	9685

البراءات ومعدَّلات النمو الاقتصادي

توضح الأدلة التجريبية أهمية البراءات والملكية الفكرية كعاملٍ أساسي في النمو الاقتصادي. لا سيما في الاقتصادات القائمة على المعرفة. وتلعب الملكية الفكرية والبراءات دوراً أساسياً في قرارات الاستثمار في الابتكار. وإضافة إلى تعزيز الإنتاجية والربحية، فإن الملكية الفكرية والبراءات لها قيمة نقدية، تماماً كباقي الموجودات غير الملموسة، وتُعدُّ إضافة مهمة إلى الميزانية العمومية لأي شركة وزيادة قيمتها السوقية.

ويبين الجدول الذي أعدته منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) كيف أن براءات الاختراع مرتبطة ارتباطاً قوياً بمستوى الدخل.

ويتضمن الجدول أدناه الحد الأدنى الفعلي للأجور في السنة مقوماً بالدولار 2017م يقابله عدد براءات الاختراع الصادرة عن معاهدة التعاون بشأن البراءات، لكل 10,000 نسمة: فهولندا مثلاً، الأعلى أجراً في العالم أصدرت عن طريق معاهدة التعاون بشأن البراءات، أكثر من براءتين لكل عشرة آلاف نسمة. بينما أصدرت المكسيك، الأقل أجراً براءة واحدة لكل نصف مليون نسمة:

البلد	الحد الأدنى للأجور	عدد براءات الاختراع الصادرة عن معاهدة التعاون بشأن البراءات، لكل 10000 نسمة:
1. هولندا	27,374.46	2.17
2. بلجيكا	26,510.56	1.02
3. أيرلندا	25,857.88	0.97
4. فرنسا	24,350.08	1.11
5. المملكة المتحدة	23,999.89	0.98
6. كندا	17,273.34	0.78
7. اليابان	13,633.05	1.99
8. أمريكا	13,582.12	1.43
9. إسبانيا	13,174.55	0.36
10. اليونان	13,099.21	0.1
11. سلوفينيا	10,767.05	0.7
12. كوريا	10,351.71	1.46
13. البرتغال	9,442.18	0.13
14. بولندا	6,443.7	0.05
15. جمهورية التشيك	6,025.01	0.2
16. هنغاريا	5,815.24	0.22
17. استونيا	5,484.9	0.34
18. جمهورية سلوفاكيا	5,066.27	0.06
19. تشيلي	3,763.74	0.03
20. المكسيك	1,409.54	0.02
المجموع	263,424.48	14.12

جودة البراءة

رأينا حتى الآن أهمية الناحية الكمية لبراءات الاختراع، ولكن هل هي متساوية من الناحية النوعية؟ للإجابة عن هذا السؤال، لا بد من الإشارة إلى الصعوبة البالغة في تقييم جودة البراءة للأسباب التالية:

أ. القيمة القانونية وهي عبارة عن إعلان رسمي لسريان مفعول الاكتشاف، وتعد الخطوة الأولى في مسيرة الألف ميل المزروعة غالباً بالشوك.

ب. القيمة الاقتصادية وتتحدَّد:

1. في قدرة البراءة على استثناء الآخرين من العمل في المجال نفسه ضمن الفترة المعطاة. فكثيراً ما تتعرَّض البراءات إلى تنازع يتطلب اللجوء إلى المحاكم لتحديد الصلاحيات.
2. إثبات ما إذا كانت براءة الاختراع الصادرة صالحة أو منتهكة، عملية مكلفة وشاقة من الناحية القانونية والعلمية والفنية.
3. من الناحية العملية، عندما يتم التنازع على براءة الاختراع، قد لا يكون من الممكن الحفاظ على صلاحيتها المستحقة.
4. حماية هوامش الربح وتوليد إيرادات وجذب المستثمرين.

ج. في معظم الدول الصناعية هناك كيانات غير منخرطة في الأعمال التجارية، هي شركات ترخيص براءات الاختراع من دون أن تمارسها. فلا تقوم عادة بتطوير أو بيع المنتجات؛ بل تُرخص لها فقط. إذ تهتم فقط بتحقيق أرباح من خلال الترخيص والتقاضي، ولديها سمعة فرض براءات سيئة للاستفادة مما يعرف "تسوية الإزعاج".

هـ. إن عديداً من الشركات العملاقة تحصل وتحفظ عشرات الآلاف من براءات الاختراع التي يمكن الشك في صلاحيتها تحت التمحيص. وتقوم إحدى استراتيجياتها على الكمية وليس على النوعية، إذ يضيع هذا النوع السيء في المحفظة الكبيرة جداً من البراءات. وعادة ما تستخدم هذه البراءات "بشكل دفاعي"، أي من أجل حرية التصميم ومنع الآخرين من أن يسبقوا، وليس من أجل الترخيص الخارجي أو توليد الدخل المباشر.

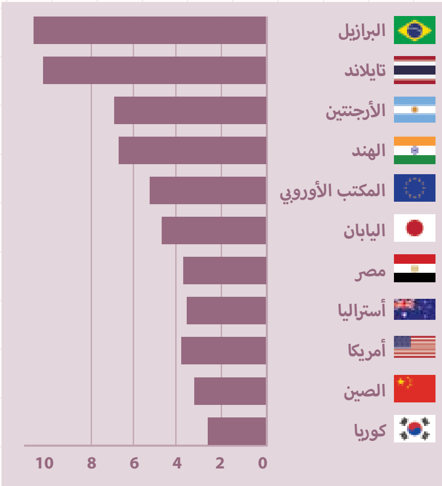
و. يقول بروس بيرمان، صاحب كتاب "من الأصول إلى الأرباح" إن "90% أو أكثر من المحافظ المهمة ذات التقنية العالية تتكوَّن من براءات مشكوك فيها تُستخدم فقط للضغط، وفي مجالات مثل البرمجيات واستراتيجيات العمل قد يكون الرقم أعلى من ذلك".

ز. قوة البراءة للصمود في السوق؛ وفي هذا الخصوص يقول تقرير لشركة بلومبيرغ عن العدد الهائل للبراءات في الصين، إنَّ معظمها يتم التخلص منها في السنة الخامسة، لعدم تمكن أصحابها من دفع رسوم الترخيص. وعندما يتعلق الأمر بالتصميم، فإن أكثر من تسع براءات من كل عشر يتم إهمالها.

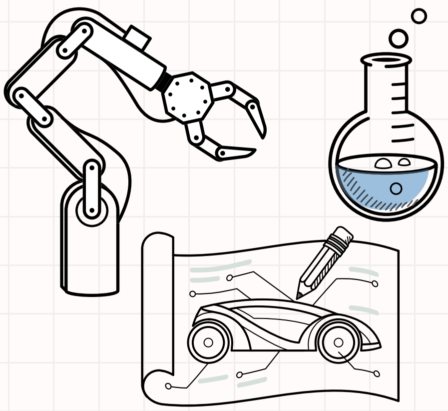
ح. معظم القوانين المتعلقة بانتهاك حقوق الملكية الفكرية لا تقع تحت أحكام جنائية، بل تُعدُّ شأناً مدنياً وعقابها ليس قاسياً ولذلك يتكرر باستمرار انتهاكها.

ط. التأخر في الموافقة هو من أهم المشكلات التي يعاني منها منح براءات الاختراع غير الفنية والقانونية، خاصةً عند الترخيص في الخارج، لتصل في بعض البلدان إلى أكثر من عشر سنوات.

وتتعكس مشكلة الوقت الطويل لإعطاء الموافقة خاصةً في قطاع التكنولوجيا النقالة كما في الرسم البياني التالي:



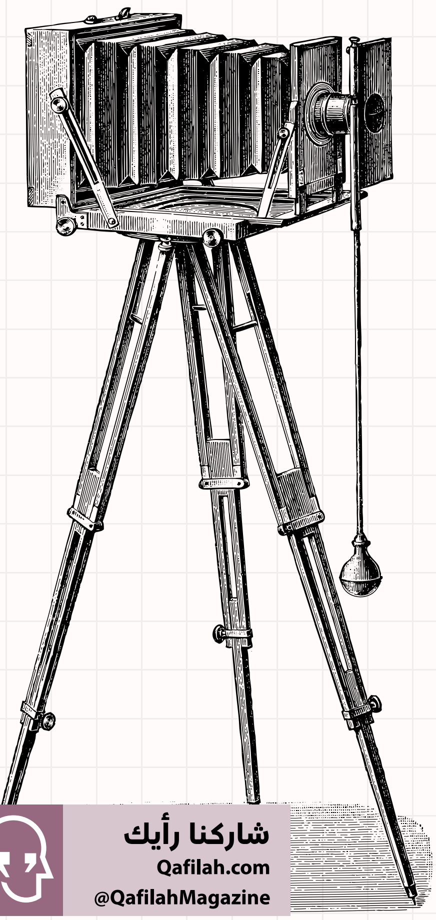
الوقت المطلوب (بالسنة) لمنح براءات الاختراع في قطاع التكنولوجيا النقالة في عدد من الدول



يجب أن يكون الاختراع جديداً ومفيداً للحصول على براءة اختراع. كما يجب أن يمثِّل تقدُّماً كبيراً، وإضافة جديدة إلى مستوى التقدُّم الجاري في أي حقل، وليس فقط مجرد تغيير عما هو معروف بالفعل.

المصادر:

- Web.mit.edu
- Rufuspollock.com
- Bloomberg.com
- Statista.com
- Industryweek.com
- Wipo.int
- Alarabiya.net
- Ipwatchdog.com
- Forbes.com
- Link.springer.com
- Gccpo.org
- Researchgate.net
- Hbs.edu
- Onlinellm.usc.edu
- Ipwatchdog.com
- Upcounsel.com
- Nber.org
- Britannica.com
- Kacst.edu.sa
- Uspto.gov
- Ub.edu.sa



الملف:

الصبـاح فتـرة من فتـرات النهـار، وأكثر من ذلك بكثير.
إنه البداية التي تتجدَّد يومياً. بداية نهار جديد.
وبداية نهار جديد تعني بداية العودة إلى الحياة وحراكها بعد سكون الليل.
وككل بداية، يرسم الصباح مسار اليوم، وما سنواجهه فيه.
وبفعل تكرار هذه البداية، باتت للصباح طقوسه الاجتماعية ودلالاته الثقافية الخاصة التي تختلف كلياً عن تلك التي تتعلَّق بباقي فترات اليوم مثل العصر أو المغيب أو الليل.
طقوس ومفاهيم تمتد من أبسط العادات الفردية إلى الممارسات الاجتماعية بأوسع معانيها، لها حضورها الخاص في الآداب والفنون والثقافات.
في هذا الملف وانطلاقاً من التحية الصباحية، يستوقفنا **الدكتور عادل النيل**، أمام عالم الصباح بأبرز ما فيه، من صياح الديك وفنجان القهوة إلى أهمية ضوئه في تاريخ الفنون.



الصباح



"عندما يأتي الصباح تفتح الزهرة شفتيها لاقتبال قبلة الشمس.." هذه الصورة البيانية الزاهية التي صاغها جبران خليل جبران تختزل كثيراً من دلالات البداية اليومية، وما تنطوي عليه من جمال يحثنا على التفاؤل والأمل. فكل شيءٍ يبدأ من الصباح، حيث لا أجمل من أن نصافح ضوء الشمس، ونعانق أيام الحياة بحب ودفء. فنحن نولد في صباح كل يوم، عندما نستيقظ لنستأنف تلك الرحلة الإنسانية المهيبة من الركض وراء تفاصيل الحياة.

فهل تعرف ماذا يقول لك الروسي حين يخاطبك صباحاً بقوله "دوبرأيه أوترا"، أو القبطي حين يقول "نانيه أطؤوي"، أو الصيني بلغة الماندرين "نيهاو"، أو التركي بقوله "جونايدن"، أو الإنجليزي بلغة أقرب "غود مورنينغ"؟ إنهم جميعاً ينطقون بتحية ذات معنى واحد وهو "صباح الخير".

وبالفرنسية يقولون "بونجور"، وهي تحية تتسع أكثر لتستوعب إلى جانب صباح الخير القول "نهارك سعيد"، أو "يوماً طيباً" ولكنها لا تقال إلا صباحاً. ومثلها في الألمانية "جوتين تاج"، وفي الفارسية تداخل مع العربية في جناس ناقص من خلال شكل الحروف حيث يُقال "صبح بخير". أما في العربية، فثمة تفعيلات عديدة من ثنائية الصباح والخير، ومن أكثرها تداولاً اليوم "صبَّحكم اللهُ بالخير"، وبالأمس "عِمْ صباحاً"، أما "صبّحه الله بخير" فدعاء.

ولتلك التحية تأثيرها النفسي والوجداني العميق. لذلك غالباً ما تصحبها ابتسامة تخترق الحواجز، وتقصّر المسافات بين الناس.

وهذه التحية هي الأكثر شيوعاً بين مجتمعات العالم، على اختلاف ثقافاتها ولغاتها. وهذا ما استوقف الكاتب الراحل يوسف إدريس في كتاب "بصراحة غير مطلقة"، حيث وجد مشكلة كبيرة في كلمة "صباح الخير"، واستغرقه النظر فيها ليلة بطولها. إذ لفت انتباهه تشابه المعنى اللغوي لها في أكثر من لغة ومن بينها الإنجليزية، ما جعله يتساءل: "كيف لهذه التحية أن تتشابه بين الإنجليز في شمال الأرض مع العرب في جنوبها؟ والأدهى تشابهها في جميع اللغات، وبالتالي كيف يقول الناس الكلمات نفسها بذات المعاني لبعضهم بصورة يومية؟". فهذه التحية كانت موجودة عند المجتمعات الراقية والبدائية على السواء، عند الفراعنة كما هي عند الهنود الحمر. فهي لا تتعلق إذاً بأيّ نمط ثابت، عدا انفعال النفس الإنسانية واستجابتها الفطرية للتقارب والتواصل، والإحساس بالآخر في فترة من النهار تتسم بالتفاؤل بالخير عند الجميع.

مداه الزمني بين الفجر والظهر

بين الفجر والصباح تماس وتماهٍ دلالي، غير أن هناك فارقاً يسير في المعنى والمقصود. فالفجر يُعد في بعض الأحيان بداية شفق الصباح، وأحياناً فترة الشفق، وأحياناً أخرى وقت شروق الشمس. وهو أول ضوء تـتم رؤيتـه من الصباح، ولحظة انكشاف ظلمة الليل عن ضوء الصباح، كما أنه حُمرة الشمس في سواد الليل. والفعل أفجر بمعنى دخل في الفجر، وانفجر الصُبحُ، وتفجّر وانفجر عنه الليل.

وللعرب فجران، أحدهما مستطيل، وهو الكاذب، ويسمى "ذنب السرحان". وهو مستطيل لبياضه الذي يبدو في السماء طولاً ويعقبه ظلام. وثانيهما الفجر المستطير، وهو الذي ينتشر في الأفق.

وفي الواقع لا يوجد فجر واحد، وإنما هو على ثلاثة أنواع، يتم تحديدها حسب كمية ضوء الشمس الموجودة في السماء، وكذلك من خلال زاوية مركز الشمس (بالدرجات تحت الأفق) خلال فترة الصباح.

وأول تلك الأنواع هو الفجر الفلكي، وفيه لا تكون السماء مظلمة بالكامل. ويحدث ذلك عندما تكون الشمس بزاوية 18 درجة تحت خط الأفق. وثاني الأنواع هو الفجر البحري، الذي يبدأ عندما يكون هناك ما يكفي من الإضاءة للبحّارة لتمييز الأفق في البحر، غير أن السماء تكون مظلمة، والشمس عند زاوية 12 درجة تحت الأفق صباحاً.

أما النوع الثالث فهو الفجر المدني، ويبدأ عندما يكون هناك ما يكفي من الضوء لمعظم الكائنات، بحيث يمكن تمييزها، وتستطيع أن تبدأ بعض أنشطتها. ويحدث هذا الفجر عندما تكون الشمس عند زاوية 6 درجات تحت الأفق في الصباح.

ولوقت الفجر كثير من الفوائد التي تتعلق بالصحة العامة. فهو بحسب العلماء الوقت المناسب للتفكير والإبداع وصفاء الذهن. وقد توصّل علماء بريطانيون إلى ابتكار جهاز يحاكي أجواء وقت الفجر، أسهم في تقليل الإحساس بالكآبة التي ترتبط بفقدان الشمس خلال فصل الشتاء.

الصباح في القرآن الكريم

ورد الصباح في أكثر من ثلاثين آية في القرآن الكريم، وذلك بصورة صريحة ومباشرة وبجميع الاشتقاقات والدلالات التي ترتبط به. وكان لهذا الوقت حضوره اللافت كوقت مخصوصٍ بالعبادة، حتى إن الله تعالى أقسم بالصبح لعظم مكانته بين أجزاء الزمن، وكذلك الفجر الذي اختصه بسورة كاملة، و6 مرات ورد فيها في جميع سور القرآن الكريم.

والمواضع التي أقسم فيها الله تعالى بأجزاء الزمن، رغم أنه لم ترد كلمتا الزمن أو الزمان مطلقاً في القرآن الكريم، فالقسم بالصبح ورد مرتين في قوله تعالى:

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (سورة المدثر، الآية 34)، وفي قوله تعالى:

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (سورة التكوير، الآية 18)، فيما وردت كلمة الصباح مرة واحدة في قوله تعالى:

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ (سورة الصافات، الآية 177).

وتعـدَّدت الآيـات التي وردت فيها كلمـة الصُبـح من دون القسم، كما في قوله تعالى:

﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (سورة هود، الآية 81).

وفي غير موضع يأتي الصباح بكثير من الدلالات والمعاني التي تختلف باختلاف المعنى المقصود، الذي غالباً ما يرتبط بتركيز السور المكية على العقيدة فيما يتعلَّق بالاستدلال على وجود الخالق الأوحد، وبديع حكمته في الكون، مع حضور واضح للبلاغة اللغوية في الآيات، كما في كلمـة الإصبـاح أيضاً في قوله تعالى:

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (سورة الأنعام، الآية 96).

ومن الاشتقاقـات الأخرى التي وردت في القـرآن الكريـم، كلمة صبحـاً في قوله تعالى:

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾ (سورة العاديات، الآية 3).

وأيضاً مصباح في عدة مواضع، منها قول الله تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور، الآية 35)، وقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ (سورة الملك، الآية 5).

ولعل استخدام الفعل أصبح هو الأكثر في حالة الإفراد والجمع لبيان الحال التي صار إليها أو صاروا إليها المخاطَبون أو المعنيون بالخطاب القرآني، وعلى تلازم فعل "أصبح" و"أصبحوا" بعديد من المعاني الدالة على الحال، مثل: نادمين، خاسرين، كافرين، ظاهرين، فارغاً، خائفاً، إخواناً، غوراً، هشيماً، كالصريم، صعيداً، مخضرة، من النادمين، الخاسرين، أصبح يقلّب، أصبحوا يقولون، أصبحوا لا يرى، كما في قوله تعالى:

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (سورة الأحقاف، الآية 25).



نائمون ويقظون وفق ساعة بيولوجية

فيما تهب معظم الكائنات الحية من سُباتها الليلي إلى الحياة وحراكها، يجد بعض الناس صعوبة في الاستيقاظ باكراً، وهذا ما يطرح سؤالاً مهماً حول ما إذا كنا سنكون في أفضل حالاتنا في الصباح الباكر أم في وقت متأخرٍ من الليل؟. وللإجابة عن هذا السؤال علينا أن نستطلع ما يقوله علم الجينات، حيث توصَّل باحثون إلى وجود صلة بين تفضيل الناس للصباح أو المساء وجين متحوّر كامن. وفي الواقع، يشارك هذا الجين في تنظيم الساعة الداخلية للجسم، أو ما نسميه "الساعة البيولوجية". وهو يأتي على شكلين: طويل وقصير. فالأشخاص الذين لديهم تفضيل شديد للصباح الباكر من المرجح أن يكون لديهم نسخة من الجين الطويل.

وفي المقابل، فإن أولئك الذين لديهم تفضيل شديد للأمسيات، يكونون أكثر عُرضة لسيطرة الجين الأقصر. لذا، يبدو من الواضح أن تفضيل الصباح أو المساء هو سمة سلوكية معقَّدة. فمع دراسة أشخاص ممن يعانون من "متلازمة مرحلة النوم المتأخرة عائلياً"، وجد العلماء أن السبب يرجع إلى تحوّر أيضاً في الجين نفسه لكن بشكل مختلف عن السابق. بينما تم العثور على تحوّر في جينات أخرى لأشخاص لديهم عادات متباينة في النوم سواء باكراً أو في وقت متأخر. والخلاصة أن السلوك في اليقظة أو النوم المتأخر له أساس وراثي.

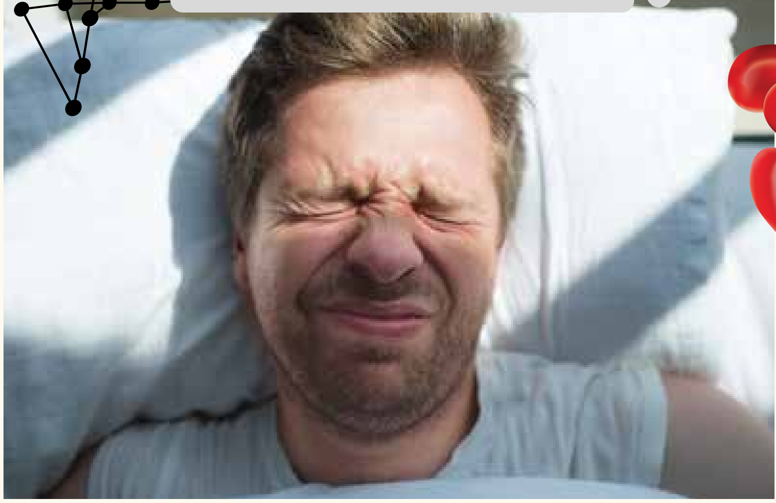
غير أن الثابت في الاتجاهات البحثية والعلمية، أن للاستيقاظ باكراً أهميته الخاصة بالنسبة لصحة الإنسان، وحمايته من عدد من الأمراض. ففي دراسة لباحثين من جامعة "إكسيتر" البريطانية، تبيّن أن الذين ينامون ويستيقظون باكراً أقل عُرضة للمعاناة من الاكتئاب بنسبة 35% بناءً على جيناتهم. وقدّم ذلك أحد أقوى الأدلة

للاستيقاظ باكراً أهميته الخاصة بالنسبة لصحة الإنسان، وحمايته من عدد من الأمراض. فالذين ينامون ويستيقظون باكراً أقل عُرضة للاكتئاب بنسبة 35% بناءً على جيناتهم.

على أن الذين يسهرون طوال الليل، معرَّضون بشكل أكبر لمشكلات صحية ذهنية. وعلى الرغم من مزايا عديدة للصباح فيما يتعلق باليقظة والصحة، إلا أن دراسة أخرى لباحثين من جامعة هارفارد الأمريكية توصَّلت إلى أن ساعات الصباح الباكر، وخلال آخر مراحل النوم هي أخطر وقت تحدث فيه الأزمة القلبية، بما فيها الذبحة الصدرية، والموت المفاجئ وغيرها من أمراض القلب. والتفسير العلمي لذلك هو أنه عند الاستيقاظ من النوم، تميل الصفائح الدموية إلى الالتصاق بجدران الأوعية الدموية من الداخل، لأن المادة المذيبة للمواد المتجلطة في جسم الإنسان تكون في حالة شبه سبات خلال ساعات الصباح الأولى، وهذا ما قد يؤدي إلى تكوين الجلطات التي قد تسد الشريان التاجي أو الأوعية الدموية المؤدية إليه.



الأشخاص الذين لديهم تفضيل شديد للصباح الباكر من المرجّح أن يكون لديهم نسخة من الجين الطويل







الصباح الباكر هو أخطر وقت تحدث فيه الأزمة القلبية

إفطار الصباح

يمثّل إفطار الصباح إحدى العادات البشرية الثابتة لدى غالب مجتمعات العالم. ويبدو أن لذلك تأثيراته الصحية المباشرة على طاقة الإنسان وأداء واجباته اليومية بحيوية ونشاط. وكانت العرب تسمّي ما يؤكل ويُشرب عند الصباح "الصَبوح"، وعند المساء "غَبُوق".

وتختلف مكوّنات الفطور الصباحي باختلاف المجتمعات. ففي بعضها يقتصر على مشروب ساخن مثل الحليب أو القهوة أو الشاي. والواقع أن شرب القهوة صباحاً يكاد أن يكون طقساً عالمياً. وقد سبق للقافلة أن نشرت ملفاً خاصاً عن القهوة والشاي في عددها لشهري يوليو وأغسطس 2003م. ومما جاء فيه أنه عند تناول أي مشروب يحتوي على الكافيين مثل القهوة أو الشاي فإن هذه المادة تنتقل فوراً إلى الدم الذي يوزعها على كافة أنحاء الجسم. ويبلغ معدل الكافيين ذروته في الدم بعد مدة تتراوح ما بين 30 و60 دقيقة على تناول المشروب. وبعد 12 ساعة، يكون الجسم قد استهلك كل الكافيين وتخلّص منه. والمعروف أن استهلاك كمية قليلة من الكافيين يؤدي إلى زيادة نشاط الجهاز العصبي، مع ما يستتبع ذلك من شعور بالحيوية والقوة وتنشيط الذاكرة، وطرد للخمول والنعاس، وتسكين بعض أنواع الصداع.

وتؤكد الاستطلاعات أن تسعة أعشار سكان العالم معتادون على استهلاك الكافيين صباحاً، فنسبتهم في أمريكا تصل إلى 85 في المئة من البالغين، وترتفع هذه النسبة في أوروبا الشمالية لتصل إلى 92 في المئة في فنلندا والسويد.

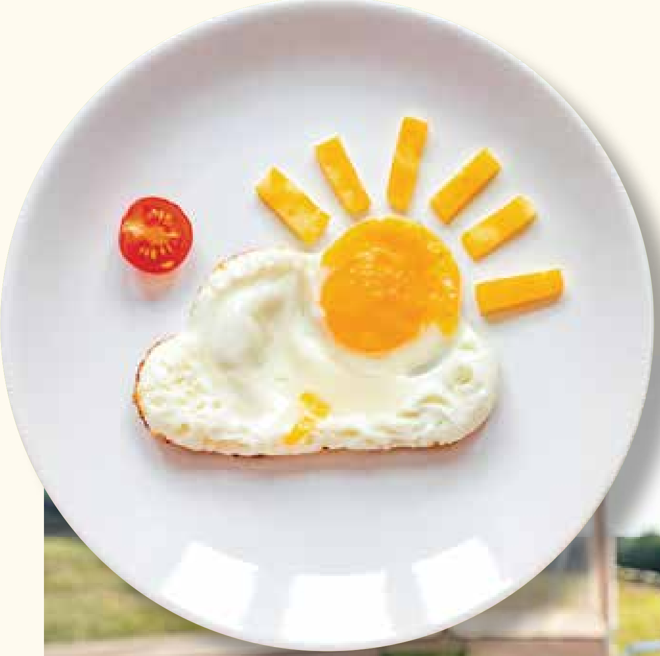
وفي بعض المجتمعات الأخرى، يتساوى الفطور الصباحي في قيمته الغذائية مع وجبة الغذاء أو العشاء، ليشمل الحبوب واللحوم والخضار المطبوخة.

يمكن لأي إنسان.

أن يستشعر الفارق في طاقته عند تناوله الإفطار من عدمه، وهذا ما أكده عدد من خبراء الصحة في روسيا بتوصلهم إلى أن تناول تفاحة طازجة كل صباح يُعدُّ وسيلة فعّالة وصحية تساعد على الاستيقاظ وتنشيط البدن.

رغم الاختلافات المستجدّة حول أهمية إفطار الصباح، يبقى تناول وجبة متوازنة هو الطريقة الأمثل لانطلاقة يومية نشطة.

ولكن الفطور الصباحي يبدو على مستوى الفوائد المرجوة منه مسألة أكثر تعقيداً من أن تحظ بإجماع الباحثين. فمن الدراسات العلمية ما ربط بينه والصحة العامة في ما يتعلق بتحسين الذاكرة، وتركيز الذهن، وخفض مستوى الكولسترول، وتقليل خطر السُّمْنة، والسكري، وأمراض القلب. غير أنه رغم ترجيح فوائده لمرضى السكري تحديداً.





السفر في الصباح

لا توجد قاعدة تؤكد على أنّ السفر في الصباح الباكر أفضل من السفر في الليل أو في منتصف النهار مثلاً، لكنّ الثابت أنّ ما يُحدد ذلك هو قطع مسافة السفر بسهولة وراحة أكثر، وما اعتاد عليه الإنسان.
قديماً، كان السفر في الليل يتيح قطع مسافة السفر بسهولة خاصة في الصيف. وكانت العرب تقول: "عند الصباح يحمد قوم السرى"، والمعنى أنّ الذين يسيرون في الليل، يحمدون سيرهم عند الصباح؛ لأنهم قطعوا مسافة ليست بالقصيرة، لم يروا خلالها معالم الأرض فينشغلوا بها وبحسابها. إلا أنّ المعروف أن الرحيل (أو بدء السفر) كان في البكور، وكانت بعثات الجيوش وقوافل التجار تنطلق عادة في الصباح.
أما اليوم، فمن الواضح أنّ الصباح لا يزال محتفظاً بحق السفر، وخصوصاً مع وسائل النقل الحديثة، والتي تُحقق إلى جانب سهولة السفر ورفاهيته أموراً عديدة منها: الاستمتاع بأجواء الصباح الباكر، وتفادي الازدحام، والشعور بالاسترخاء والاستجمام، والوصول إلى الوجهة الأخرى في وقت مبكر من اليوم، مما يُساعد على إنجاز الأعمال، أو حتى الاستمتاع بالسفر، هذا إذا كان السفر بالطائرة، أو القطار. ويؤكد خبراء السفر أنّ الرحلات الجوية الصباحية تنطوي على كثير من الإيجابيات؛ نظراً لأنها تلتزم بجدولها الزمني ونادراً ما تتخلف عنه، كما تكون الاضطرابات الجوية في أقل مستوياتها، فضلاً عن أن الرحلات المبكرة تتميز بتوفر المقاعد، وانخفاض أسعار تذاكرها.

أما السفر بالسيارة، فيفضِّله الناس عادة السفر في أي وقت من الصباح بعد أخذ قسط كافٍ من النوم، وتناول الإفطار، لأنّ السيارة مكيفة، والرؤية في النهار تكون أفضل مع متعة المشاهدة، والإنسان يكون في حالة نشاط وحيوية، ومحاطاً بعدد كبير من الناس على الطرقات، ويصل إلى وجهته مبكراً.
لكنّ استطلاع بعض الآراء أفاد بأن الغالبية ترى أن الوقت الأفضل للسفر هو الصباح لأسباب عديدة، وبعضهم أشار إلى أن وسيلة السفر، وموسمه (شتاءً أو صيفاً)، والغرض منه (هل هو للعمل أم للسياحة)، والاستعداد النفسي والشخصي والعائلي، من الأمور التي تساعد على تحديد الوقت الأنسب للسفر، حتى أن أحدهم عبّر تعبيراً جميلاً بقوله: "في الصباح الباكر، أشعر أنني أقبض على يومي متلبساً بكل ساعاته الثمينة".
أما الذين اتجهوا لإعطاء الأفضلية للسفر ليلاً أو مساءً، فقد كانت أسبابهم تدور حول أنهم يفضلون ذلك بعد أن يكونوا قد أنجزوا مهامهم والتزاماتهم تجاه عملهم أو أسرهم، أو أنهم ممن يفضلون السهر، وهذا يساعدهم على قطع مسافة السفر في هدوء الليل، وقلة الزحام على الطرق، والشعور بأن الوقت يمضي من دون إحساس بتعب السفر، أو مشاهدة معالم الطريق.



صباح الأدباء والسرد الأدبي



نجيب محفوظ وروايتيه "صباح الورد" و"حديث الصباح والمساء"

للصباح وصفاء الذهن فيه قبل أن تعكِّره الحركة النهارية مكانة مهمة عند الأدباء. فإضافة إلى استلهامه موضوعاً أو مسرحاً لحدث في العمل الأدبي، فإن كتّاباً كثيرين كانوا يرون في الصباح الوقت الأفضل للإبداع.

الأمريكي أرنست همنغواي كان يكتب كل صباح مع ظهور أول الضوء، عند السادسة صباحاً تقريباً، وربما استمر حتى الظهر. ومثله المكسيكي كارلوس فوينتس الذي يصف نفسه بأنه كاتب صباحي، إذ كان يكتب بانتظام بدءاً من الثامنة والنصف صباحاً، ويواصل ذلك حتى الثانية عشرة والنصف ظهراً.

وكذلك يفضّل الروائي الأمريكي هنري ميلر الكتابة في الصباح، ويستمر فيها لما يتراوح بين الساعتين أو الثلاث ساعات مع كل صباح جديد. وعلى غرار هؤلاء، نجد ممن يرون أن الصباح هو الوقت الإبداعي الأفضل للكتابة الأرجنتيني بورخيس، والفرنسي ميلان كونديرا، والأمريكي بول أوستر، والأمريكية سوزان سونتاج، والإيطالي أمبرتو إيكو، والتركي أورهان باموق، وكلهم من ألمع الأسماء في عالم الأدب، فبعضهم حصل على جائزة نوبل في الآداب.

وهناك عديد من الروايات التي حملت الصباح في عناوينها، وكان موضوعاً لأحداثها أوجزءاً منها. ففي الأدب العربي، أنتج الروائي الراحل نجيب محفوظ روايتين احتل الصباح عنوانيهما، أولهما "صباح الورد" وهي مجموعة مكوّنة من ثلاثة أجزاء: أم أحمد، صباح الورد، أسعد الله مساءك. وهي شبيهة إلى حدّ كبير بروايته الثانية التي تُصنف ضمن الأدب الملحمي، وهي رواية "حديث الصباح والمساء"، التي تم تحويلها إلى مسلسل تلفزيوني بالاسم نفسه.

وفي الأدب العالمي، ظهرت رواية بعنوان يبدو غريباً في عام 1954م، للروائية الفرنسية فرانسواز ساغان، وهي رواية "صباح الخير.. أيها الحزن"، وقد كتبتها وهي يافعة وأثارت بها جدلاً كبيراً، وجعلت منها اسماً مهماً في الأدب الروائي بل أسطورة أدبية فرنسية. وفيما وصفها ناشر روايتها بـ"الوحشة الصغيرة الساحرة"، وصفت هي هذا العمل بأنه "فضيحة عالمية"، وقالت في مقدِّمته: "أتردَّد في إطلاق الاسم الجميل والخطير لـلحزن.. الضمير هو إحساس كامل، وأناني إلى حد يعتريني الخجل منه، بينما يبدو الحزن بالنسبة لي جديراً بالتكريم. لم أكن أعرف الحزن. ولكن فقط الضمير والندم، وفي أحيان نادرة، الحب".

ومن حزن ساغان، ينتقل الصباح إلى الكاتبة الدومينيكانية جين ريز، التي كتبت بمزاجها العنيف والمتقلّب رواية "صباح الخير منتصف الليل" التي احتشدت بكثير من البؤس والكآبة والإحباط. ورغم أجواء الحداثة السردية في النص، إلا أن البطلة ساشا قدَّمت كثيراً من الأفكار التي تدور في حياة البائسين والمحبطين. وذلك جزء من الواقع غفل عنه، أو تغافل النُّقاد عنه وهم يشرّحون هذا النص بقسوة شديدة.

ومن بين الروايات العالمية التي لاقت رواجاً لافتاً أيضاً رواية "سماء حمراء في الصباح" للروائية النيوزلندية إليزابيث ليرد التي تنحو إلى مسار يتعلق بذوي الاحتياجات الخاصة. وكذلك "صباح غائم" التي أبدعها الروائي الروسي ألكسي تولستوي، وهي جزء من ثلاثية عمله "درب الآلام" التي تضم: "الشقيقتان"، "العام الثامن عشر"، و"صباح غائم"، وظل يكتبها طوال عشرين عاماً متناولاً المأساة التي خلفتها الحرب على بلاده.

ومن بين الروايات العربية اللافتة بقيمتها الإبداعية، رواية "صباحات جنين" للروائية الفلسطينية سوزان أبو الهوى، التي نشرت في عام 2014م، وتمت ترجمتها إلى 26 لغة. وكذلك رواية أنور حامد "يافا تعد قهوة الصباح" التي صدرت عام 2012م، وتدور أحداثها السردية في أربعينيات القرن العشرين.

وللكاتب المصري عبد الوهاب مطاوع رواية "أعط الصباح فرصة" وهي مجموعة صور أدبية تدعو إلى النظر للحياة بعين التفاؤل.

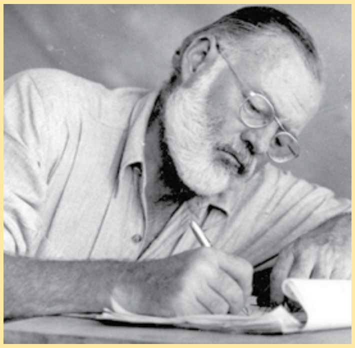
ولا يمكن مغادرة سرد الصباح من دون المرور بالفيلسوف الهندي أوشو مؤلف كتاب "صباح الخير: تأملات في الصباح يوماً بعد يوم" الذي يعرض فيه أحاديثه مع أصدقائه ومحبيه، ليظل أثره باقياً في جميع أنحاء العالم.



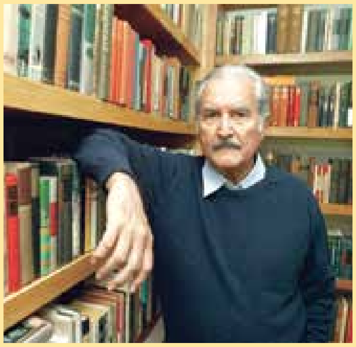
جين ريز وروايتها "صباح الخير منتصف الليل"



سوزان أبو الهوى وروايتها "صباحات جنين"



الروائي أرنست همنغواي



الروائي كارلوس فوينتس

من غنّى صباحاً ومن غنّى للصباح


سيد درويش


محمد قنديل


محمد عبده


سيد عبدالعزيز


آرثر فريد

ليس هناك أكثر من الصباح للتحليق مع الفيلسوف الهندي أوشو في عالم الجمال والنغم. فتلك الطيور تصدح بأجمل ألحانها صباحاً لتبعث في النفس كثيراً من الكوامن الجميلة التي تفيض إشراقاً وبهجةً. ولنا أن نعلم أن علماء الطبيعة يقدّرون عدد الطيور المغردة بحوالي 9600 نوع، تغرّد جميعها في كل أنحاء العالم وبيئاته بدءاً من الساعة الرابعة صباحاً. في ذلك الوقت الباكر، يصفو الصوت وتقل الضوضاء وكثافة الهواء، فتمتع الطيور نفسها بالتغريد قبل أن تمتعنا به. ويعزو علماء الأحياء غناء الطيور في هذا التوقيت إلى تأكيد سيادتها على أراضيها والمناطق الخاصة بها. كما أن الطيور المهاجرة تغرّد في هذا الوقت، إيذاناً بوصولها إلى منطقة استقرارها. ومن أشهر تلك الطيور: البلبل والشحرور والروبن، والقلاع والسمنة الأمريكي (عصفور أبو الحناء)، والنمنمة.

أما في مجال الغناء، فقد كان للصباح نصيبه. وفي العالم العربي كان سيد درويش أشهر من غنَّى للصباح، ومن أعماله في هذا المجال أغنيتان لا تزالان تتكرران على أسماعنا منذ نحو قرن، وهما:

"طلعت يا محلى نورها شمس الشموسة"، وأغنية ثانية تقول:

"الحلوة دي قامت تعجن في البدرية
والديك بينده كوكو كوكو في الفجرية
يللا بنا على باب الله يا صنايعية
يسعد صباحك صباح الخير يا سطى عطية
طلع النهار فتّاح يا عليم
والجيب ما فيش ولا ملليم..

وفي مصر أيضاً، اشتهرت أغنية محمد قنديل **"يا حلو صبّح"**، من كلمات مرسي جميـل عزيز وألحان محمد الموجي، وهي من أغاني فِلْم "شاطئ الأســرار" الذي صـدر عام 1958م، من بطولة عمر الشريــف وماجــدة وإخراج عاطف سالم، وفيها يغني:

يا حلو صبّح .. يا حلو طل
يا حلو صبّح .. نهارنا فل
من قد إيه وأنا بستناك
وعيني ع الباب والشباك
عشان أقول لك واترجاك يا حلو
يا حلو يا .. يا حلو صبّح

ومن السعودية، غنى محمد عبده **"يا نسيم الصباح"**، حيث مطلعها:

يا نسيم الصَّباح سلِّم على باهي الخد
نبهه من منامه
قلَّه إنِّي على وعده بحبِّه مقيَّد
حتَّى يوم القيامه

ومن السودان برزت أغنية **"مسو نوركم"**، وهي من كلمات الشاعر سيد عبدالعزيز، ويقول مطلعها:

مسو نوركم شوفوا المن جبينه صباح
والصباح إن لاح لا فايدة في المصباح

وله كذلك أغنية **"صباح النور"**:

صباح النور عليك يا زهور   صباحك يوم يُقاس بدهور

ويمكن لقائمة الذين غنوا للصباح أو تغنوا به عربياً وعالمياً، أن تطول إلى ما لا نهاية. ولكن لا بد من الإشارة سريعاً إلى أغنية "صباح الخير" الأمريكية التي صدرت في عام 1939م، كتبها الشاعر الغنائي آرثر فريد لفِلْم يحمل العنوان نفسه "صباح الخير". أما الأغنية التي فاقتها شهرة ورواجاً وكانت بالاسم نفسه، فقد كانت أغنية ناسيو براون التي صدرت أيضاً في فلم سينمائي وفي العام نفسه.

الضوء الأفضل لإبراز الجمال



كلود مونيه، ولوحته "شرفة على شاطئ سينت آدريس"



يوهان فيرمير، ولوحته "منظر لديلفيت"

يعرف المصورون الفوتوغرافيون أن أفضل وقت لالتقاط صورة خارجية هو إما في الصباح الباكر وإما قبيل الغروب. لأن ضوء الشمس عندما تكون منخفضة يولّد ظلالاً واضحة ويضيء الجوانب المعرَّضة له بقوة، فتظهر الصورة ذات أعماق مختلفة شديدة الوضوح. أما عندما ترتفع الشمس في قبة السماء، فإن الظلال تصبح عامودية، ومن شبه المستحيل التقاط صورة جميلة لمنظر طبيعي آنذاك.

هذا القانون الفني التشكيلي ليس من اكتشافات المصوِّرين الفوتوغرافيين، بل هم أخذوه عن الرسَّامين الذين سبقوهم إليه بنحو خمسة قرون. إذ إن كل اللوحات الزيتية التي تمثل مناظر طبيعية أو أحداثاً تاريخية جرّت في الخارج، رُسمت كما تبدو الطبيعة إما في الصباح الباكر، وإما عند المغيب.

ففي لوحته "شرفة على شاطئ سينت آدريس" صوّر رائد المدرسة الانطباعية الفرنسي كلود مونيه انطباعه ذات صباح صيفي دافئ، ثم بعد خمسة أعوام أبدع بريشته لوحته "انطباع شمس مشرقة" التي تكمن قيمتها في رسم الضوء عند شروق الشمس وأعطت اسمها للتيار الانطباعي ككل. هذا التيار الذي جال فنَّانوه من رينوار إلى سيسلي وديغاس وسيزان على مختلف المناطق في فرنسا، يرسمون تبدل الضوء في المكان الواحد بمرور الوقت، ودائماً بالانطلاق من ضوء الصباح.

ولكن منذ ما قبل الانطباعية كان الصباح حاضراً في صياغة شخصية كثير من أبرز الأعمال الفنية المعروفة عالمياً. ففي نظر الروائي الفرنسي مارسيل بروست، فإن أجمل لوحة رآها هي لوحة الفنان الهولندي يوهان فيرمير "منظر لديليفت"، وقد رسمها صباح يوم بارد فيه مزيج من غيوم تتلاشى عقب ليلة مطيرة، وقد سقطت أشعة الشمس على الماء والشاطئ.

كما أن الفنَّان الإيطالي كاناليتو الذي كان شبه متخصص في رسم قنوات المياه في مدينة البندقية ومرفئها، جاءت معظم لوحاته توثيقاً دقيقاً لما كانت عليه هذه المناظر إما صباحاً وإما مساءً. وهي من اللوحات القليلة التي كانت وراء ظهور الانطباعية بعدها بنحو قرنين من الزمن.

كما أبرز الفنان البريطاني جون ويليام ووترهاوس، الصباح في لوحته "سيدة جزيرة شالوت" التي تحكي في سردها البصري أسطورة عن سيدة بها لعنة كانت تعيش منعزلة في جزيرة قاصية، ثم غادرتها في صباح خريفي، غير أنها توفيت. فجسّد ووترهاوس حكايتها في تلك اللوحة.

وفي غرفة زينتها الصباحية، تظهر الفنانة الروسية زينيدا سيريبريكوفا في لوحتها "صورة ذاتية". فيما يبحر بنا الهولندي البيرت كاب عبر لوحته "نهر ماس عند بلدة دوردريخت" لنرى ضوء الصباح الباكر يلامس المباني البعيدة، وإلى جانبها الميناء وأشرعة المراكب تعلوها الغيوم.

ومن بين اللوحات الشهيرة أيضاً لوحات "ضوء الصباح"، للفنان الأمريكي جيفري لارسون، التي يقدِّم فيها رؤية فائقة الجمال والحساسية والإبداع للصباح وشروق الشمس.

ومن الشعراء من يحبه ومنهم من يخشاه

الصباح صنو الإبداع، فكما هو في السرد ملهمٌ، كذلك يفعل في الشعر عبر التاريخ، فحضر في الشعر العربي عبر العصور، ومنها قول شاعر العصر العثماني حمد بن قاسم بن زاكور الفاسي، صاحب ديوان "الروض الأريض" في قصيدته العمودية من بحر الموشح:

عللاني فلقد جاء الصباح
بسلاف الرَّاح
وامزجاها بلمى غيدٍ صِباح
واملَآ الأقداح
واسقياني فلقد غنَّى وصاح
طائر الإصباح

أما ابن مليك الحموي فيقول مستقبلاً الصباح:

هزم الصباحُ طلائع الظلماء
وأتاك تحت عصابةٍ بيضاء

ويتجلّى عشق ابن سناء الملك للصباح حتى يدخل به إلى أنسنة تجعل منه محبوبة يتغزّل فيها حين يقول:

عانقني حتى الصباحِ الصباح
وقلت من بُرَحِ الهوى لا بَرَاحْ
ولم يزل خدّي على خدِّه
وهذه عادته في الملاح

ويمضي زمان الشعر بالصباح حتى نصل إلى التونسي أبي القاسم الشابي، وهو يخاطب حبيبته:

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام
كاللحنِ كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة
القمراء كالوردِ كابتسامِ الوليد

وفي نصٍّ آخر يشدو بقوله:

قدَّس اللَّه ذكره مِن صباح ساحر
في ظلال غابٍ جميل
كان فيه النَّسيم يرقص سكراناً
على الورد والنَّبات البليل

ومن الشعراء أيضاً خص الدكتور غازي القصيبي الصباح في قصيدته "كلمات من ملحمة الوجد":

وهذا الصباح
نهضت فلاحظت أن السماء أرق
لأني أحبك
إن الورود أشد احمراراً
لأني أحبك
إن الغيوم ترش الرذاذ
لأني أحبك
قلت: صباحك نور وورد وغيم
وحب

فيما لا يتخلف العاشق نزار قباني عن المرور على الصباح كما في نصّه:

إذا مر يوم ولم أتذكر به أن أقول: صباحك سكر
ورحت أخط كطفلٍ صغيرٍ كلاماً غريباً على وجه دفتر
فلا تضجري مِن ذهولي وصمتي ولا تحسبي أن شيئاً تغيّر
فحين أنا لا أقول: أحب.. فمعناه أني أحبك أكثر



ويطل الصباح في شعر الفلسطيني محمود درويش في نصه:

سأمدح هذا الصباح الجديد سأنسى الليالي كل الليالي
وأمشي إلى وردة الجار أخطف منها طريقتها في الفرح

ومن عادى الصباح

غير أن لبعض الشعراء ممن وجدوا في الليل والسهر حاضنة لعواطفهم موقفاً مغايراً من الصباح يصل إلى حدّ كراهيته واستعدائه، لدوره في إفساد متعة النوم أو الوصال مع الحبيب. ومن هؤلاء نجد على سبيل المثال لسان الدين ابن الخطيب في العصر الأندلسي، الذي يقول في موشحه الشهير "جادك الغيث":

حين لذّ النومُ شيئاً أو كما
هجم الصبحُ هجومَ الحرسِ
غارت الشهبُ بنا أو ربما
أثرت فينا عيون النرجسِ

ويمكننا أن نجد في العصر الحديث الموقف المعادي للصباح نفسه ولسبب مشابه، عند الشاعر المصري إبراهيم ناجي الذي يقول في قصيدته "الأطلال" التي غنتها أم كلثوم:

يقظةٌ طاحت بأحلام الكرى
وتولى الليلُ والليلُ صديق
وإذا النور نذيرٌ طالعٌ
وإذا الفجر مطلٌ كالحريق

الصباح صنو الإبداع، فكما هو في السرد ملهمٌ، كذلك يفعل في الشعر عبر التاريخ، فحضر في الشعر العربي عبر العصور.



صباح شهرزاد

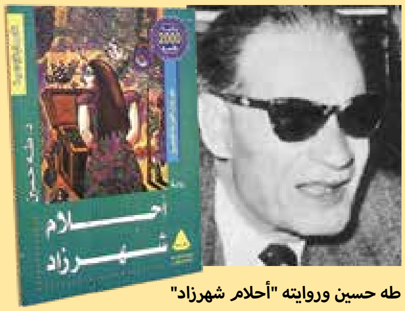
لعل أشهر الصباحات التي سارت بها الركبان ذكراً هو صباح شهرزاد، آخر جواري شهريار الملك في حكايات ألف ليلة وليلة. وهذا الاسم علم مؤنث فارسي، يعني: الأميرة أو بنت البلد. وهو من الأسماء المركَّبة: "شهر: المدينة"، و"زاد: الابنة".

وحسبما تم ذكره عن هذه الجارية، فقد تمتعت بفطنة وذكاء وقدرة فائقة على السرد والحكي، فظلت تحكي قصة كل ليلة لملكها إلى أن يأتي الصباح، فتقول الحكايات: "وأدركت شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح". وهي حكايات وصل عددها إلى الألف، ومن هنا جاء اسمها "ألف ليلة وليلة".

ولم تمر هذه الحكايات في التاريخ الأدبي والفني من دون أن يكون أثرها الكبير والمباشر في كثير من الأعمال في مختلف المجالات الفنية والإبداعية. فقدتم إنتاج كثيرٍ من الأعمال الدرامية المقتبسة عنها للسينما والتلفزيون. فيما كتب الأديب الراحل طه حسين رواية "أحلام شهرزاد" مستعرضاً جماليات البلاغة والتفرّد الأدبي في السرد الذي لازم هذه الحكايات.

وحتى على الصعيد العالمي، كان لهذه الحكايات تأثيرها في صناعة أحد أشهر المتتابعات السيمفونية، وهي سيمفونية شهرزاد، التي ألّفها الروسي نيكولاي ريمسكي كورساكوف في عام 1888م، واستوحى إيقاعاتها التي تتكوَّن من أربع حركات، من حكايات ألف ليلة وليلة، وأصبحت أشهر أعماله.





طه حسين وروايته "أحلام شهرزاد"



نيكولاي ريمسكي كورساكوف

مجلة "صباح الخير"

برزت في الصحافة العربية خلال القرن الماضي مجلة "صباح الخير" المصرية، وهي مجلة أسبوعية، صدر أول أعدادها في 17 يناير 1956م عن مؤسسة روز اليوسف، رغم أن مالكتها السيدة فاطمة اليوسف أعلنت عنها في خطاب لمدير قلم المطبوعات في 17 أبريل 1951م.

وفي افتتاحية العدد الأول من المجلة كتبت اليوسف: يسألني الناس لماذا اخترت اسم "صباح الخير"، وأقول: إنه اسم أتفاءل به.. لقد خلقت بطبيعتي أحب الصباح وأكره الغروب.. فمهما كانت الظروف، أشعر دائماً مع كل صباح بأنني قوية.. مبتهجة.. مشرقة.

ولم تكن "صباح الخير" المصرية هي المجلة الأولى بهذا الاسم، وإنما سبقتها أخرى أمريكية، كانت مجلة فكاهية سياسية، بدأ إصدارها في مايو 1919م على يد إليس أو. جونز، وهو محرر سابق في مجلة "لايف"، ورسام الكاريكاتير آرت يونج. غير أنها مع ارتفاع تكاليف نشرها توقفت في أكتوبر 1921م.





الصباح لغوياً



يمنح ثراء اللغة العربية الصباحَ حيوية واسعة في المعنى والاشتقاق. فالصبح في المعاجم اللغوية هو الفجر أو أول النهار، الفترة التي تسبق أو تلي مباشرة شروق الشمس. ويُجمع على أصباح (بفتح الهمزة)، والفعل أصبح بمعنى دخل فيه، ودنا وقت دخوله في الصباح، وأيضاً: صار، وظهر وبان. وقولك: "تُصبح على خير"، أي أدعو لك بليلةٍ سعيدةٍ. ومثله، صبّحه الله بخير: دعاء له، وصبّحته: سلمت عليه بذلك الدعاء.

وأصبح على وزن "أَفعل" من "صَبحَ، يَصبَحُ"، جعل نفسه "تَصبَحُ"، أي ترى وتبصر ما حولها، أو تستيقظ وتنتبه من رقادها.

والصُّباح هو شعلة القنديل، فيما الإصباح (بكسر الهمزة) مصدر أصبح، بمعنى الصُبح. وإصباح الشَعر ما خالط بياضه حمرة. يقول المعرّي في اللزومية السادسة:

يأتي على الخلق إصباحٌ وإمساءٌ

وكلّنا لصروف الدهر نسّاء

ويأتي الصباحُ على وزن "فـَعال" اسم فعل مبالغة من "صَبحَ، يَصبَحُ"، والمقصود الرؤية والإبصار بعد تحوّل الظلام إلى ضياء. فيما يأتي الصُبح على وزن "فـُعل" اسم فعل من "صَبحَ، يَصبَحُ"، اسم زمان منه، وهو وقت الرؤية والإبصار بعد تحوّل الظلام إلى ضياء.

يقول النحوي الزجاج محمد بن الليث: إن الصُبح والصباح والأصباح واحد، وهو أول النهار. ويشير اللغويون إلى أن اللفظ ينتمي إلى مجموعة ألفاظ "الوعي واليقظة ضد الغفلة والنوم"، وهي: (فَاقَ، يَفِيقُ)، (صَبحَ، يَصبَحُ)، (يَقِظَ، ييقَظُ -يَقُظَ، يَيقُظُ)، (هَجدَ، يَهجُدُ)، (سَمَرَ، يَسمُرُ)، (سَهِرَ، يَسهَرُ). وقد سُمّي الصباح صبحاً لحمرته، كما سُمّي المصباح مصباحاً لحمرته.

ديك الصباح



للديك ساعته البيولوجية الخاصة به مثل الإنسان. لذلك نجده منتظماً في صياحه عند الصباح الباكر من كل يوم جديد، وأثبتت ذلك دراسة أجراها باحثان من جامعة ناغويا اليابانية أنه إذا تم وضع ديك في بيئة مضاءة طوال الوقت، فإنه مع بدء تباشير الصباح سيمارس عادته وسلوكه في الصياح.

ولم يتوقف البحث عن دراسة سلوك الديك الصباحي، والتزامه الثابت بالصياح في وقت دقيق إلى حدٍّ كبيرٍ، بل اتجهت إلى دلالات الصياح التي تختلف باختلاف شعوب الأرض، حيث يقول عالم الإنسانيات الأمريكي رالف لينتون في كتابه "شجرة الحضارة": "كان القرويون من سكان جنوب شرق آسيا يربُّون الدجاج لإخافة الأشباح والأرواح الشريرة".

وكان للديك نصيبه من الحضور في النصوص الأدبية، فقد ذكره الشاعر الضرير بشار بن برد ممتدحاً الجارية رباب:

ربابة ربة البيت

تصبُّ الخلّ في الزيت

لها عشر دجاجاتٍ

وديكٌ حسن الصوت

وفي كل سينما فِلْم بعنوان "صباح الخير"

ترتبط الأعمال السينمائية والتلفزيونية بما يتم إنجازه روائياً أو قصصياً، لما يوفِّره ذلك من قاعدة للحبكة وكتابة سيناريو متميّز. ولذا، تم إنتاج عديد من الأفلام والمسلسلات في السينما والتلفزيونات العالمية والعربية ذات صلة بالصباح سواء في العنوان أو المضمون الذي يدل عليه الصباح ومقتبسة في معظمها عن الأدب المكتوب، واللافت فيها تكرار التحية "صباح الخير" عنواناً لها، رغم تنوُّع موضوعاتها.

من أوائل الأفلام التي تم إنتاجها عربياً في هذا الجانب فِلْم "صباح الخير" الذي تم عرضه في عام 1947م، وكتب قصته وأخرجه حسين فوزي، وأدّت فيه الراحلة صباح دور البطولة، وغنّت فيه أغنيتها "صباح الخير على لبنان" التي كتبها حسن توفيق ولحنها محمد فوزي، ضمن مجموعة من أغاني الفِلْم.

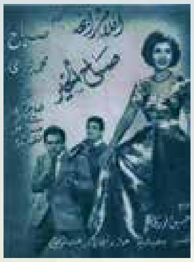
وتناولت السينما العالمية كذلك الصباح في موضوعاتها وعناوينها. وكان أول الأفلام باسم "صباح الخير" تم إنتاجه في روسيا في عام 1955م، أعقبه فِلْم ياباني في عام 1959م، وأيضاً تم إنتاج فِلْم رسوم متحركة ياباني قصير بعنوان "صباح الخير" في عام 2008م.

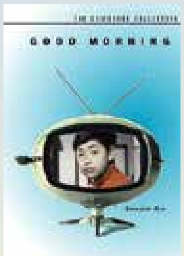
وتم إنتاج الفِلْم البريطاني "ليلة السبت وصباح الأحد" في عام 1960م، ويُعد أحد أفضل أفلام سلسلة "شبان غاضبون" التي أنتجتها بريطانيا في أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن الماضي. واستند الفِلْم إلى الرواية الأولى للروائي آلان سيليتو التي أصدرها في عام 1958م، وكتب السيناريو له أيضاً، وأدّى دور البطولة فيه ألبرت فيني.

وبالعودة إلى السينما العربية، فقد تم إنتاج المسلسل الدرامي المصري "حديث الصباح والمساء" في عام 2001م. ويستند هذا المسلسل إلى رواية للأديب الراحل نجيب محفوظ بالاسم نفسه، ويتناول تاريخ مصر الاجتماعي والسياسي، وكتب المعالجة الدرامية والسيناريو والحوار له السيناريست محسن زايد، وأخرجه أحمد صقر، فيما أدّى دور البطولة فيه عدد من نجوم الدراما المصرية، منهم ليلى علوي، وعبلة كامل، ودلال عبد العزيز، وخالد النبوي، وغيرهم.











..وللصباح إعلامه الخاص

وتأخذ وسائل الإعلام المرئي والمسموع خصوصية الفترة الصباحية بكثير من الجدية، حتى ليمكن أن يكون حال هذه الوسائل الإعلامية في الصباح مختلفاً تماماً عما هو بعد الظهر أو مساءً.

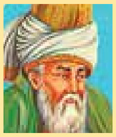
فمعظم تلفزيونات العالم قدَّمت أو لا تزال تقدِّم برامج حوارية خفيفة نسبياً بعنوان "صباح الخير"، يتبعه اسم بلد التلفزيون: صباح الخير أميركا، صباح الخير روسيا، صباح الخير نيوزيلندة.. ويبث التلفزيون السعودي عبر القناة الأولى برنامجه الصباحي (قهوة الصباح) على الهواء مباشرة، ومثله في غالب الفضائيات العربية.

واللافت في البرامج الصباحية أنها تتوجه بالدرجة الأولى إلى الأطفال الذين هم دون سن الذهاب إلى المدرسة من رسوم متحركة وأغنيات، وإلى ربات البيوت بحوارات حول قضايا اجتماعية. ومما أثمر عنه هذا التوجه هو ظهور نوعية من المسلسلات العاطفية والاجتماعية الطويلة، التي صارت تُعرف باسم "الأوبرا الصابونية". لأن هذه المسلسلات كانت تتوجه إلى النساء صباحاً، وهو الوقت الذي تتوجه إليهن بشكل خاص الإعلانات التلفزيونية، وأكثرها كان حول أنواع مختلفة من الصابون وأدوات التنظيف.

تم إنتاج عديد من الأفلام والمسلسلات في السينما والتلفزيونات العالمية والعربية ذات صلة بالصباح سواء في العنوان أو المضمون الذي يدل عليه الصباح ومقتبسة في معظمها عن الأدب المكتوب.

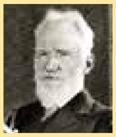


قالوا في الصباح



"لا تترك هذا الصباح، لا تتركه يمر من غير أن تلقي نظرة على قلبك، فالذين نسوا قلوبهم في الصباحات، نسوا شمسهم التي لا تغيب".

جلال الدين الرومي



"أنا لا أؤمـن بالظروف، فالناس الذين يتقدَّمون في هذه الحياة هم أولئك الذين يستيقظون في الصباح للبحث عن الظروف التي يريدونها".

جورج برنارد شو



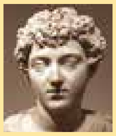
"الصباح هو أفضل أوقات النهار عندي، كأنما كل شيء يبدأ نابضاً من جديد، ويبدأ الحزن يعتريني مع الظهيرة، وحين تنزل الشمس أكرهها، أعيش بالمشاعر نفسها يوماً بعد يوم".

هاروكي موراكامي



"ألّا تنام ليلاً يعني أن تدرك كل لحظة أنك لست طبيعياً، ولذلك انتظر بفارغ الصبر مجيء الصباح والنهار، حيث يكون من حقي ألاَّ أنام".

أنطون تشيخوف



"حينما تستيقظ في الصباح تأمل كم غالية هي هبة الحياة، فتتنفس وتفكر وتستمتع وتحب".

الإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس



"لم أعرف شخصاً أصبح ذا شأن يتمدَّد في فراشه حتى وقت متأخر من الصباح".

الكاتب الإرلندي جوناثان سويفت



"الصباح رائع ..عيبه الوحيـد أنه يأتي في وقت غير مناسب من اليوم".

الكاتب الأمريكي غلين كوك


الحِرَف اليدوية
تراثنا .. ماضينا
وروح الحاضـــر
زَيِّن منزلك بقطعة من نسيج الوطن

القافلة

Al-Qafilah Bi-Monthly Cultural Magazine

A Saudi Aramco Publication

March - April 2019

Volume 68 - Issue 2

P. O. Box 1389 Dhahran 31311

Kingdom of Saudi Arabia

Saudiaramco.com



Saudi Aramco website

Qafilah website